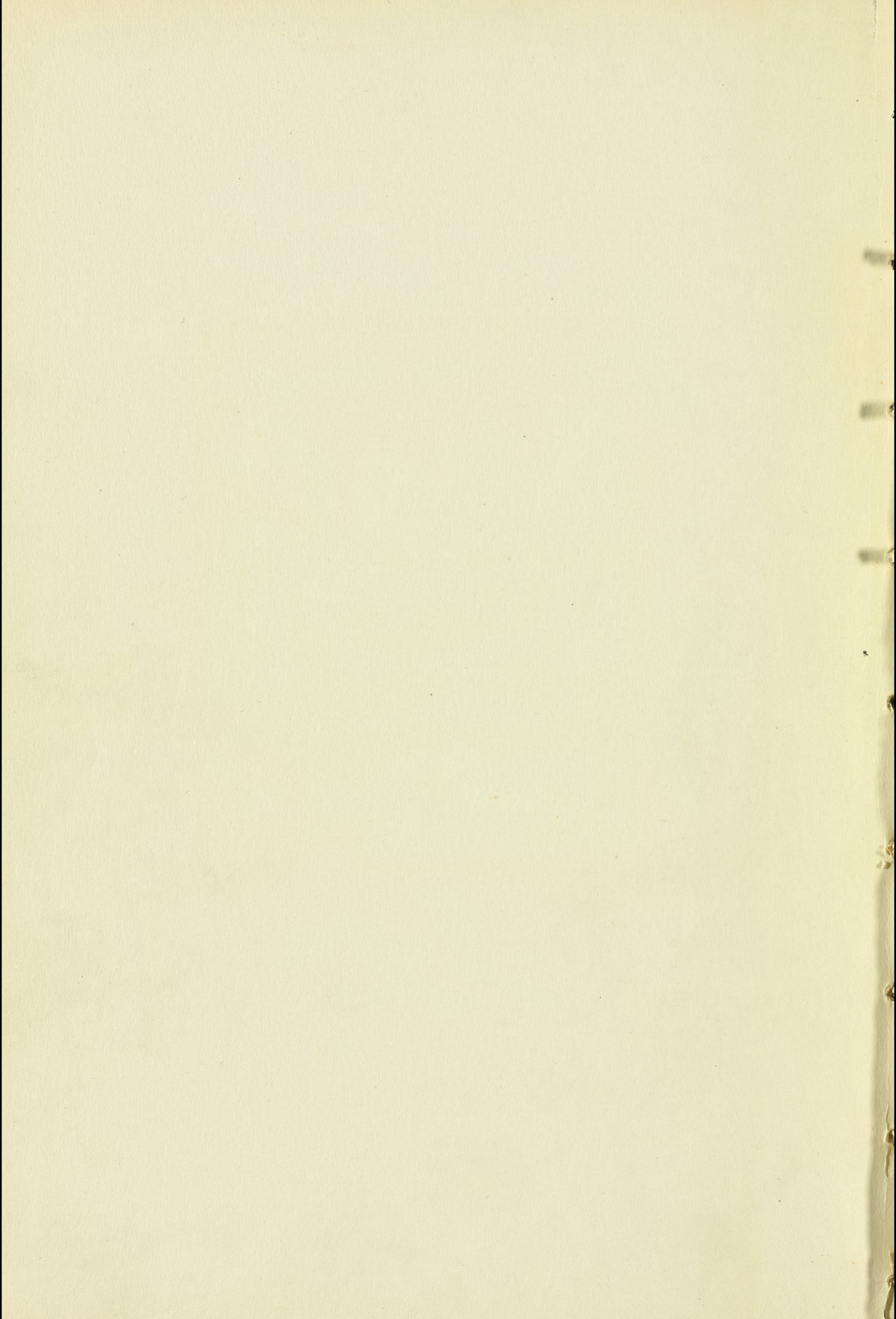


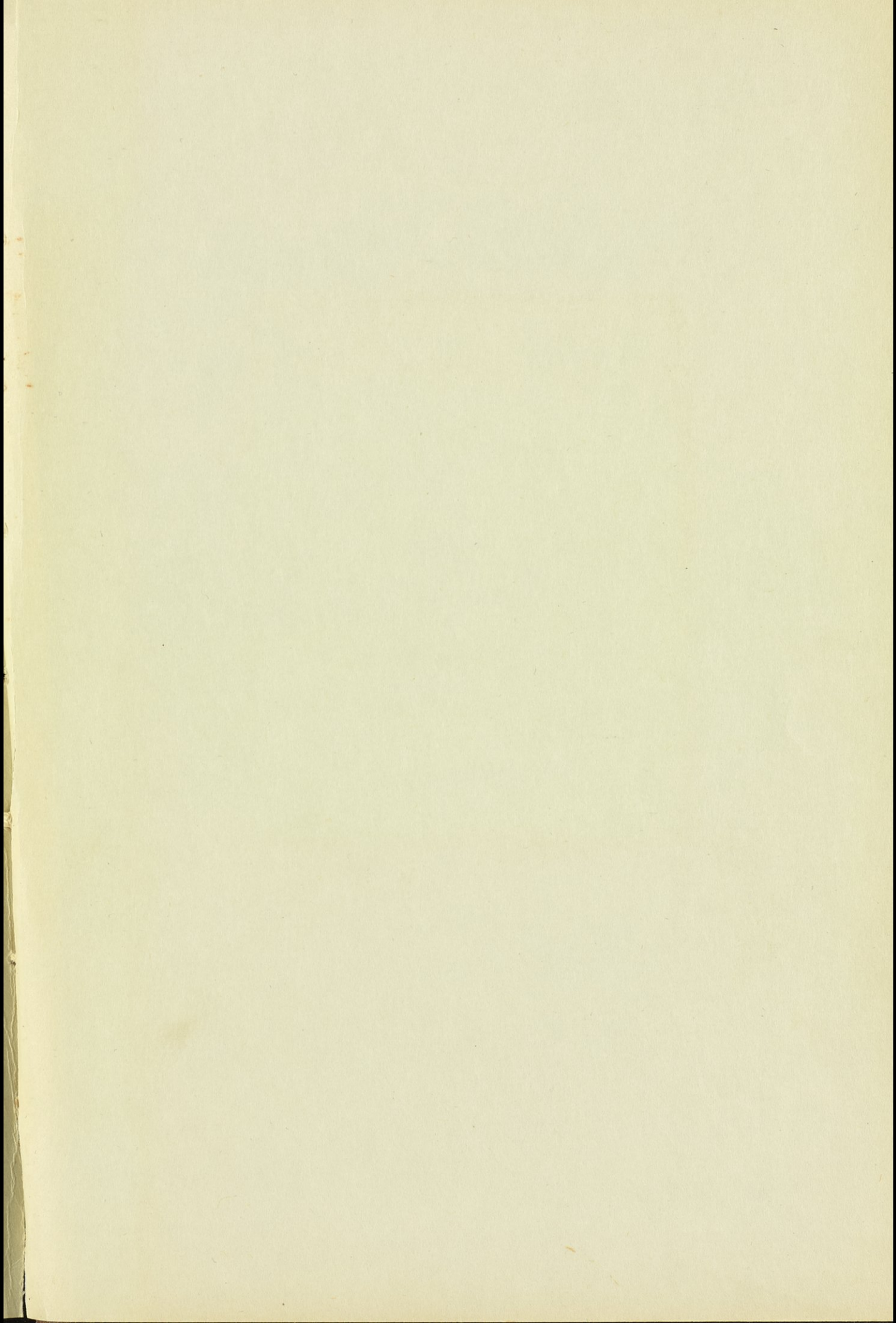


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ



رِسَالَةُ ابْنِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ

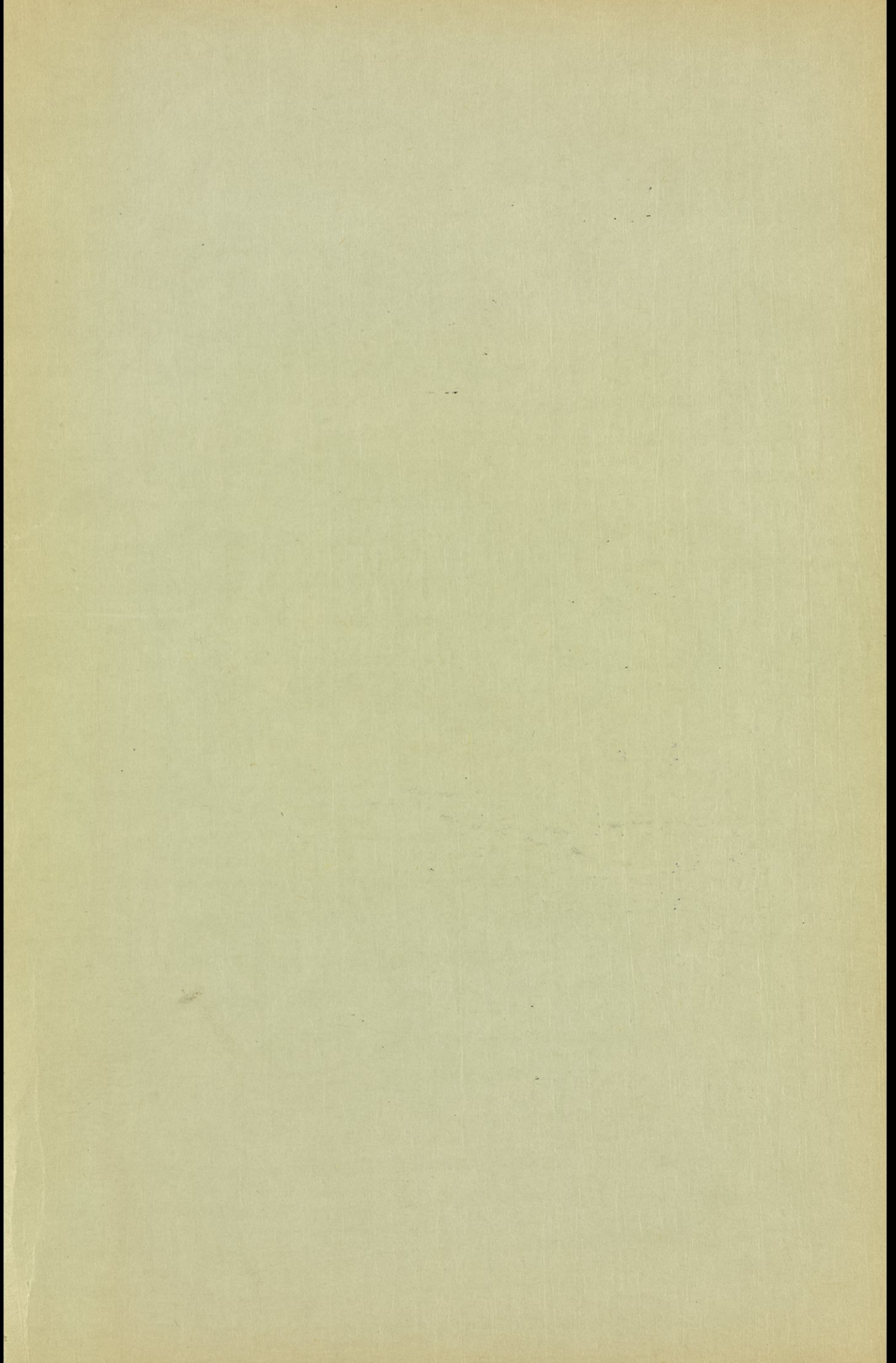
فِي وَصْفِ الرَّحْلَةِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَخَزَرِ وَالرُّوسِ وَالصَّقَالِبِ

سَنَةِ ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

مُفَقِّهًا وَعُلَمَاءً عَلَيْهَا وَقَدَّمَ لَهَا

الدكتور سامي الدهان

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

رسالة ابن فضلان

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد

في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة

مدينة

سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

المجمع العلمي العربي

بدمشق

محققا وعلس عليها وقدم لها

الدكتور سامي الدهان

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



947.05
I 65

دمشق
١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م

الإهداء

إلى روح المرحوم العلامة الرئيس محمد كرد علي
ذكري خالدة على الزمان
وأكباراً للأبائيه على العربية

محمد بنامي الدهان

947

1875

مقدمة للمحقق

تمهيد - رحلة ابن فضالان - تحقيق الرسالة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

في صيف سنة ١٩٥١ ، زرتُ أستاذنا العلامة الرئيس الجليل محمد كرد علي — رحمه الله وطيب ثراه — في بيته بدمشق ، وكان يتصفح المجلات والصحف التي ترد إلى المجمع العلمي ، يطلع على ما فيها ويقرأ مقالات المستشرقين والعلماء العرب لا تفوته صفحة أو إشارة ، فإذا به يدفع إليّ مجلة هنغارية ، صدرت في بودابست قبل شهر ، وفيها مقالة بالألمانية عن رحلة ابن فضلان ، كتبها أحد المستشرقين معلقاً على ما نشر أو ترجم من الرحلة ، يصحح ما يرى من وجوه التصحيح ، ويقترح روايات جديدة ، مشيراً في ذلك إلى نص الرحلة بالعربية وقد أثبتته في صور شمسية مع المقال .

قلبتُ المجلة بين يدي ، ورددتها إلى أستاذنا الفقيه ، ولم أدرك سرّ توجيهي إلى المقال ، فإذا بالرئيس يحدثني عن أهمية هذه الرسالة وعن حاجة المثقفين العرب إلى قراءتها وفهمها ، واستخراج العبر منها ، واكبار الأجداد في هممتهم وسعيهم وثقافتهم ، فهي تصف بلاد الروس والبلغار والأتراك في القرن العاشر للميلاد ،

وصفاً لا يكاد يقع إلا في هذا المصدر ، والروس أنفسهم عادوا إليه وقرؤه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مئة عام ، وجعلوه في مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لا غنى عنه . وهم ما يزالون منذ سنين عديدة يعودون إليه ، في مقالات وفي دراسات ، ليزدادوا به فهماً ومعرفة ، ففيه أسماء وأعلام ، وفيه ألبسة وأطعمة ، وعادات وتقاليد ، تتكشف رموزها وإشاراتنا عن أشياء جديدة كلما أنعم المستشرقون نظرهم في قراءة النص وفي تقليب غوامضه وحل مشكلاته .

وهذه الدراسات والمقالات وصل إلينا بعضها ، وفضل السبيل بعض آخر ، فلم يعرف أكثر العرب ما كان من هذه الذخيرة الدفينة ولم يقفوا على أثرها في أدب القرن الرابع للهجرة ، بل في آدابنا كلها ، وذلك لأن أقساماً من الرحلة طُبعت في الغرب ، وترجمت ، ولكن هذه الطبوعات لم تصل إلى خزائننا العربية العامة ، بله خزائن الأفراد فهي على هذا مجهولة لم تر النور في مطابعتنا العربية وهي نادرة الوجود .

وهنا حشني الرئيس الجليل - رحمه الله - على العناية بها وإخراجها كاملة وتحقيقها والتعليق عليها . ففرحت بالثقة ، وظننت أن الأمر هين ليين ، وعدت من دار الرئيس بالغنيمة كما كنت أعود دائماً .

فلما أقبلت على الصورة الشمسية أقرؤها ، وأنعم النظر في عباراتها ، وقفت طويلاً دون الفهم ، وتعثرت طويلاً في التخريج ، وأدر كني بعد الإعادة والتكرار يأس من فهمها ونشرها ، وعرفت سبب عزوف الناشرين العرب عن تحقيقها ،

فهي نسخة مفردة وحيدة يتيمة مصحّفة أشدّ التصحيف ، مبتورة في كثير من تعابيرها ، تغصّ بأسماء الألبسة والأعلام والأماكن ، فكأنّ كلّ كلمة من كلماتها موضعُ الريبة والشك ، تحوج إلى المراجعة والتثبت والتعليق . وكادت أنصرف عن العناية بها ، لولا أنّ صديقي المستشرق « نيكيتا أليسييف »^(١) - وهو يجيد الروسية - أرشدني إلى المصادر الروسية والألمانية ، وأرادني كذلك على المضى في العناية بها ، وقد كان هو نفسه يُعنى بها كرسالة للدكتورية ، فاذا به ينصرف عنها إلى غيرها ، ويعلق عليّ الأمل في إخراجها .

ولقيتُ بعد ذلك في كمبريج المستشرق الانكليزي (دنلوب) فحدثته في أمرها ، فإذا هو معنيّ كذلك بتوضيح بعض ما فيها ، وإذا به يدفع إليّ مقالاً نشره في التعليق على بعض عباراتها ، مما يخصّ قبائل الترك فيها ، فرجعتُ إليه وأفدتُ منه ، ولكنه يلمّ بناحية واحدة من نواح ما تزال غامضة صعبة .

وحين زرتُ جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ١٩٥٤ قدّم إليّ الأستاذ « ريتشارد فراي » رسالة وقّعها مع صديقه الأستاذ « بلاك » ، وجعلها في التعليق على ما في رسالة ابن فضلان كذلك ، وخصّ عنايته بتصحيح بعض كلمات في أوراق معدودة من الرسالة .

وفي السنة نفسها أبلغني سيادة رئيس الجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك شرف اختياري في الوفد الجمعي إلى الاتحاد السوفياتي ، بدعوة من أعضاء الجمع

العلمي هناك ، فكان أول همي أن أفوز بنسخة من الرسالة مترجمة إلى الروسية مع التعليقات ، وقد تفضل عليّ بها الأستاذ (ف . بيلايف) ، مشكوراً ، وفيها الصورة الشمسية الواضحة لرسالة ابن فضلان ، وكانت تعليقاتها منارة لي وهدى . وعكفتُ منذ ذلك الحين على هذه الرسالة أقرأ أسطورها الغامضة وعباراتها الناقصة ، وأقابلُ ما فيها على ما نقلَ ياقوت الحموي وما أورد غيره من الجغرافيين العرب ، حتى تمَّ لي انجازُها وأنا على مثل الشكِّ في بعض عباراتها ، فإنَّ خَلَّتْ من الأخطاء فقد سدَّ الله خطاي ، وإنَّ أصابني فيها بعضُ العِشَارِ فالمعذرة ممن يؤمن بضعف الانسان عن أدراك الكمال ، والفضلُ الأول للرئيس المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ، فقد هياً لبعثها ونشرها لأول مرة في الدنيا العربية ، والفضل كذلك لسيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك ، أطال الله في عمره^(١) ومتعته بالصحة ، فهو خير خلف لخير سلف ، رحب بالرسالة كما رحب سلفه ، فجعلها في مطبوعات مجمعنا العلمي ، مشكوراً .

فالحمد لله الذي أعان على إتمام تحقيقها وتقديمها على هذا الوجه وله الشكر والدعاء في البدء والختام .

(١) لقي الاستاذ الجليل وجه ربه خلال طبع هذه الصفحات ، فأورثنا حسرة وحرناً وفرغاً لا يعوض

الفصل الأول

رحلة ابن فضلان

كتب الرحلة في العصر - حال العصر - الوفد والخطة -
وصف الرحلة وأهميتها .



رعدة ابن فضال

كتب الرعدة في العصر

يبدو أن الشعب العربي كان مفطوراً على حب الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أبناء متواترة عن تنقله وأسفاره ، في سبيل الرزق والتجارة والمعرفة . زار كثير من أفراده بقاعاً وأقاليم بعيدة ، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبشة ، وطوف كثير من أبنائه في بلاد نائية ، فكأنه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك . وقد كان للقبائل رحلات ، وللأفراد أسفار ، ذكر بعضها في الشعر ، فكانت رحلات الشعراء إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم حتى لقد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة . وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء .

ولما جاء الاسلام اندفع الشعب العربي إلى خارج الجزيرة وبلغ في عصر واحد تخوم المشرق والمغرب ، فعرف بلاداً كانت في قمة الحضارة والرقى ، أخذ عنها ، وأفاد منها ، فأدخل منها في حياته وعيشه وملبسه ما أدخل ، ووقف عند

مستوى حضاري رفيع ، ظل يرقى به ، ويحافظ عليه ، حتى تحدرت من حوله الأمم وسقطت همتها في الرقي ، وبقي وحده منارة وينبوعاً ، تستنير بهديه الشعوب في حلقة حياتها وظلمة انحدارها .

وما أشرق القرن الثامن للميلاد حتى كان للعرب ملك فسيح الرقعة في امبراطورية عريضة ، حدودها تخوم الهند في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال القوقاز في الشمال وصحارى افريقية في الجنوب .

وكانت ادارة هذه الامبراطورية تفرض أموراً كثيرة منها معرفة الجزية والخراج ، فقد كان معظم الولايات تعدّ الخليفة العباسي رئيسها الديني ، تؤدي إليه الأموال ، فبعض باسم الضمان ، وبعض باسم المصالحة ، وآخرون باسم الهدية ، وكانت هذه الأموال تقوم بكثير من نفقات الخلافة ، وتعزز السلطان وتحفظ مهابته وكيانه . فكان من أوجب الأمور لمعرفة الجباية وجمع الأموال أن يعرف الحاكمون حال المسالك والممالك ، والبلاد والأقاليم ، وأن يقوم بوصف ذلك رجال وقفوا كثيراً من وقتهم على الرحلة وتسقط المعلومات والأخبار ، فنشأت كتب الرحلة ، وظهرت كتب الجغرافيا ، على نمط قريب مما ألف اليونان في هذا الباب .

ومنذ القرن الثالث الهجري ، كثر التأليف في المسالك والممالك فألف المصنّفون في الأقاليم والتقسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار ، فكتب الكندي وابن خردادبة ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه

الهمداني، وابن رسته، وابن حوقل، والاصطخري وغيرهم، ووصفوا بلاد المشرق والمغرب من الصين إلى الأندلس، وذكروا حال الشعوب وتقاليدها وعقائدها ووصفوا حال البلاد وطرقها وحاصلاتها وخراجها على الوجه الذي تم لهم. فبلغ بعضهم إلى الدقة والتوفيق حين سجل ما رأى، ونقد ما سمع. وفشل بعضهم في جمع كل ما طرق سمعه من أخبار لا يكاد العتل يصدقها. ولكنهم على كل حال كانوا صورة لما يدور في حلقات العلم والمعرفة لعصرهم من آراء ومعلومات وأخبار قد نقف أمام بعضها موقف الشك والنقد، بعد عشرة قرون أو تزيد، وقد توفرت لنا سبل عديدة لم تكن متوفرة لذلك الزمان، فأصبح رسم الدروب والمناطق ووضع الخرائط والمصورات بحثاً علمياً مستقلاً في أبعاد حدود الرقي، وغدت الرحلة والتنقل والمشاهدة على أيسر ما يستطيع الانسان أن يفعل، ولكن الفضل أبدأ للمتقدم، والموازنة المنصفة تقتضينا أن نذكر ما بين زمانهم وزماننا من وسائل ووسائل وطرق.

والحق أن بعض هؤلاء المؤلفين رأى بنفسه وعين وشاهد - كما قلنا - وكان على إمام بما يرى، فقد كان ابن خرداذبة عاملاً للبريد والخبر خلال أواسط القرن الثالث للهجرة، في نواحي الجبل من أرض فارس، وقال المقدسي إنه رحل وسافر وأنفق في أسفاره ما يزيد على عشرة آلاف درهم. وقال ابن حوقل إنه شاهد كل ما كتب عنه وعائنه إلا الصحراء الكبرى، وعن المقدسي وابن حوقل أخذ أكثر الجغرافيين.

ولكننا نلاحظ أن هذه الكتب في جملتها قد أوجزت حين رسمت أحوال الشعوب وتقاليدها ، وملابسها ، فجعلت حصتها من الصفحات كنسبة رقعتها من الأرض ، لم تتبسط ولم تفصل الأمر . ولعلها كانت تنظر قبل كل شيء إلى الخراج والمال ، والى صلة هذه الأصقاع بعاصمة الخلافة ، فقد بدأت هذه الامبراطورية العربية تفقد وحدتها السياسية منذ منتصف القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت روابط الدين والثقافة وحدها جامعة لشمل هذا الملك الواسع ، ولم أطرافه . وقامت صلات التجار مقام السفراء الاقتصاديين اليوم ، فنهض المسلمون إلى أطراف الأرض ينقلون البضائع ويشترون السلع ، وبلغوا إلى أقصى بحار الصين وسواحل البلطيق والأندلس والأطلسي وجزر المحيط الهندي ، وخلفوا في هذه الممالك نقوداً وآثاراً ، يكتشفها الباحثون يوماً بعد يوم ، وعليها أثر هؤلاء التجار .

وذكر المقدسي في كتابه ، أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الأوربية الشمالية ، عدّ منها الجلود والفراء والشمع والقلائس والعسل والسيوف ، وقال انهم كانوا يستجلبون الرقيق من الصقالبة . والصقالبة في عرفهم كانت تشمل السلافيين والجرمان وبعض سكان أوربة . وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار الى الأقاليم النائية ، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه .

تلك كانت رحلات التجار ومساعدتهم الفردية، وكانت السلطات والحكومات

تبعثُ بوفودها - كما نقول اليوم - إلى الأقطار والممالك ، وتحملها مسؤوليات ومهمات تقوم بها ، إماً سياسية ، أو ثقافية ، أو دينية ، أو تجارية ، أو استطلاعية خاصة . ومن هذه الوفود بعثة برية أرسلها الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ) إلى سدّ يأجوج ومأجوج ، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، حفظ منها - ياقوت الحموي في معجمه على لسان « سلام الترجمان » ، ما يحسن الرجوع إليه والتفكّكه بنوادره ، والوقوف على عقليّة الرحالين في ذلك الزمان . ومنها كذلك وفد أرسل إلى الصين أيام المحادّثات بين السامانيين وملك الصين ، وفيه أبو دلف وصف الرحلة وصفاً بديعاً . ومن هذه الوفود الرسمية بعثات جاسوسية من الرجال والنساء كانت تستطلع الأخبار ، كما حدّث ابن حوقل عن عهد هارون الرشيد أنه أرسل رجلاً يتجسس الأخبار من بلاد الروم عشرين سنة وكان سأله هارون الرشيد عن عجائب الأمور ، فكان يخبره .

ونحن لا نطمح في هذه المقدمة أن نستقصي أخبار الرحالة^(١) المسلمين وأسماء الوفود الرسمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ووصف ما وقع منهم وما تركوه من كتب ، فذلك كثير واسع . ولكننا أردنا أن نمهد للحديث عن هذه الرحلة ، ونبسّط أهميتها ، ونرسم عاصمة الخلافة ، ونحدّث عن ابن فضلان ورحلته .

(١) للدكتور زكي محمد حسن كتاب في الرحالة والرحلة يحسن الرجوع إليه ، عنوانه « الرحالة المسلمون

في العصور الوسطى » بصر ١٩٤٥ .

حال العصر

ذكر المؤرخون أن المقتدر بالله أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد ، بويح بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، وقال عنه ابن الطقطقي^(١) إنه كان سمحاً كريماً كثير الإنفاق ، أكثر من الخلع والصلوات وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان ، وكانت خزينة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . وذكر أن دولته كانت ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم ، وهو مشغول بلذته فخربت الدنيا في أيامه ، وخلت بيوت الأموال ، حتى قال بعض المؤرخين إنه أنفق سبعين مليون دينار ضياعاً وتبذيراً ، ما عدا نفقات الدولة ، فقد اضطر في استرضاء الجند والغلمان أن يبيع ضياعه وفرشه وآنية الذهب ، وقد خلع وأعيد ثم قُتل ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق سنة ٣٢٠ هـ . وقد استوزر هذا الخليفة أبا الحسن علي بن الفرات ، وكان من أجل الناس وأعظمهم ، ثم استوزر علي بن عيسى بن الجراح ، وحامد بن العباس . وهؤلاء الثلاثة كانوا من ألمع الوزراء وأقواهم في تدبير الملك ، ولكن الفتن الداخلية والخارجية سدّت عليهم سبيل العمل المثمر ، فحالف المملكة سوء الحظ ولولا ذلك لكانت خلافة المقتدر من أجدى العهود على الناس ، وعلى الرغم من هذا قام الوزراء بأعمال كثيرة بسط أمرها المؤرخ الصابي في كتابه « تحفة الأمراء

(١) انظر الفخرى . ط . أوربة ص ٣٠٥ .

في تاريخ الوزراء»^(١) وفصله تفصيلاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد يرغب في دراسة العصر والحكم وحال الشعب .

والذين يريدون أن يقفوا على حال الخلافة وهيبتها وسمعتها في الخارج - كما نقول اليوم - يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التاريخ ليروا إلى أي مدى كان الوزراء يطمحون في إعلاء شأن الحكم وإظهار حال السلطان . فقد بسط ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم »^(٢) « حادثاً نخب أن ثبته هنا ، لنصور حال بغداد وحكومتها سنة ٣٠٥ للهجرة أي قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان قال مسكويه : « ودخلت سنة خمس وثلاثمائة : وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام ، على طريق الفرات بهدايا عظيمة وأطاف كثيرة ، يلتمسان الهدية . وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم ، فأنزلا في دار صاعد بن مخلد . وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعدّ فيه كل ما يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف ، وأن يقام لهما ولهن معها الأتزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة ، حتى يتسع بذلك كل من معهما .

« والتمسوا الوصول إلى المقتدر بالله ليلغاه الرسالة التي معها فأعلمنا أن ذلك متعذر صعب ، لا يجوز إلاّ بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدنا إليه ، وتقرير الأمر معه ، والرغبة إليه في تسهيل الأذن على الخليفة ، والمشورة عليه بالاجابة إلى

(١) طبع هذا التاريخ المستشرق آمدروز في بيروت سنة ١٩٠٤ ، وأعيد طبعه بمصر بعد ذلك .

(٢) تجارب الأمم لمسكويه ، طبع آمدروز ، بمصر ١٩١٤ ، ٥ / ٥٣ .

ما التمسنا . فسأل أبو عمر عدّي ابن عبد الباقي الوارد معها من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الأذن لهما في الوصول إليه ، فوعده بذلك في يوم ذكره له .

« وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً في دار صاعد الى الدار التي أقطعها بالخرّم ، وأن يكون غلمانه وجنده وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه ، وبسط له في مجلس عظيم مذّهب السقوف في دار منها ، يعرف بدار البستان ، بالفرش الفاخر العجيب ، وعلقت الستور التي تشبه الفرش ، واستزاد في الفرش والبسط والستور ، ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر ، إلاّ فعل . وجعل على مصلى عظيم من ورائه مسند عال ، والخدم بين يديه ، وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، والقواد والأولياء قد ملأوا الصحن . ودخل إليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ماهاهما . »

وتابع مسكويه وصفه المفصل البديع ، فرسم الرواق والرجال قد امتلأت بهم الدار ، وصحن البستان ، والمجلس الذي جلس فيه الوزير ، وذكر أن معها المترجم يصف لهما ويشرح ، وأنهما جاءا في طلب الفداء فوعدهما الوزير ، والتمس لهما مقابلة يوصلها فيها إلى الخليفة ، فلما كان اليوم المرسوم اصطف الجنّد من دار صاعد إلى دار السلطان فوقفوا في الزي الحسن والسلاح والتام « وتقدم بأن تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح » ووصف مسكويه كيف أخذ الرجال من ممرّ يُفضي إلى صحن ، ومنه إلى ممرّ فصحن ، يخرقان

الصحنون والممرات حتى كلاً من المشي وانبهرأ ، لكثرة الرجال والسلاح ، ثم أدخل على الخليفة المقتدر .

وكان المقتدر جالساً على سرير ملكه ، وحوله الأولياء وقوف على مراتبهم فلما دخلا قبلاً الأرض ووقفوا حيث استوقفهما الحاجب ، فأديا الرسالة ، فأجابهما عنه الوزير وانتهت المقابلة . فلما خرجا من حضرته خلع عليهما مطارف خز وعمائم خز . وأطلق على القواد الشاخصين من بيت المال مائة ألف وسبعون ألف دينار . وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما ، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد ، وتمّ الفداء .

ولعلنا أسهبنا في الرواية والنقل والتلخيص ولكننا أردنا أن نرسم حال بغداد والخلافة والوزراء ، والجند ، والمراسم ، قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان وخروجه من بغداد ، وأن نصور البلد الذي خرج منه في حضارته وعمرانه وزيه وتقاليده وأن نشير إلى الغنى والثروة والجاه والمنعة والقوة وبراعة التمثيل ، مما يبرز أعرق الممالك في الحفاظ على التقاليد القديمة من دول أوربة اليوم . فما نظن أن واحدة منها تقف اليوم في مراسمها من الجند واللباس والفرش وتوزيع المال والاعداق ، لما كانت تفعل بغداد منذ عشرة قرون . بل اننا لا نكاد نرى سبيلاً للموازنة في اصطناع الهيبة وإنظار السفراء وبهر أبصارهم بين ما كانت عليه بغداد وماهي عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب .

وسنرى أثر هذا كله عند ابن فضلان ، فهو بعد أن عرف ما في عاصمته

ومملكته من ترف وحضارة ، أصبح يستصغر أحوال الممالك التي رآها ، وخاصة أوربة الشمالية ، فرسمها رسماً غريباً ، يشعروننا بأنه كان ينظر إليها في عجب كما ينظر بعض سفراء الغرب اليوم إلى من يسمونهم بسكان الممالك المتخلفة . وهذا أوان الحديث عن الرحلة وصاحبها .

الوفد والخطبة

رسمنا جانباً من حال الخلافة والخليفة ، لنتهي إلى أن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة ، يتهافتُ الملوك والامراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصلات وأوثق المحالفات . حتى أن « الصقالبة » وهم من سكان الشمال في أوربة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان »^(١) اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، قد طلبوا عون الخلافة ومساعدتها . فقد ذكر ابن فضلان أن ملكهم « ألمش ابن يلطوار »^(٢) طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقيهه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام ، وتبني له مسجداً ، وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له . وقد بسط ابن فضلان أمر هؤلاء المخالفين

(١) عاصمة البلغار المتهدمة ، على ستة كيلو مترات ونصف من نهر الفولغا .

(٢) ذكرنا في حواشي النسخة ثقلب الناسخ في رسم الاسم ، فقد وضعت مرة باسم الحسن بن يلطوار ، ومرة أخرى باسم « ألمش بن يلطوار » وقد حام المستشرقون كثيراً حول تحقيق التسمية ، فما ظفروا بطائل لأن تاريخ روسية لذلك الزمان لا يثبت التفاصيل ، ولا يعني بها ، بل لا يعرف تاريخاً واسماً ، فالعرب مصدر هام من مصادرهم ، وخاصة هذه الرسالة .

فقال إنهم ملوك الخزر وهم من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصباً ، والخزري يهودي ، وابنة الصقلي مسالمة . وقد رأى ابن فضلان أن مملكة الصقالبة واسعة وأموالها جمّة وخراجها كثير فسأل الملك عن سبب استنجاهه بخليفة المسلمين فأجاب بأنه يتبرك بأموال المسلمين ويعتزّ بدولتهم^(١) .

وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيبة الخليفة ، ويرسم مكانة السلطان في أوربة آنذاك ، وخاصة حين يستنجد به ملك لمملكة واسعة ، ويسعى معه إلى حاف ثقافي ديني عسكري ، كما نعبر عن ذلك اليوم .

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس^(٢) أو كلاهما معاً — فقد كانت سنّ الخليفة سبعمائة وعشرين سنة — ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالبة يسعى لها وهو « عبد الله بن باشتو الخزري » وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلاً خزري الأصل ، ولعلمهم اختاروه لمعرفة اللغة العربية ، أو لشقتهم به وبحسن إسلامه .

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم سوسن الرسي مولى نذير الخرمي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلاي ، وأحمد بن فضلان ، ومعهم دليل هو رسول الصقالبة . ويُخيّل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان

(١) الرسالة بالورقة ٢٠٩ ظ .

(٢) في الرسالة أن ابن فضلان حمل كتابين من الوزير ومن الخليفة معاً .

الروسية ، فالأول (سوسن) يبدو في نسبته من بلاد الروس قد استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن اسلامه وتقدمت به مراتبه^(١) والثاني بارس الصقلاي واسمه ونسبته دليلان على أصله^(٢) . وأما الثالث فهو تركي الأصل يجيد لغات الأتراك التي يمرّ ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولغا ، وقد كان حداداً في خوارزم ، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار وهو الذي أقنع نذير الخرمي بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر بالله — فيما تقول الرسالة — وأما الرابع أحمد بن فضلان فهو فيما تعلمنا الرسالة يجهل اللغات الأجنبية ، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشرعية الاسلامية ، وإليه فيما رأينا رئاسة الوفد وقياده ، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء ، وهو نفسه يقول^(٣) : « فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه ، وتسليم الهدايا ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين » . وقد علمنا من الرسالة أن الوفد سيحصل على المال اللازم للفقهاء والمعلمين ولبناء الحصن من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق^(٤) ، وقد خلع قبلها ، وصودرت أملاكه ووزعت جراياتها ، وجعلت للدولة تُنفقها كما فعلت في نفقات هذا الوفد . وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال : « الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام » ولعلمهم في مرتبة الملحقين المعاونين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم (بالورقة ١٩٩ و) .

(١) كان حاجب المكتفي فيما يبدو — انظر التعليقات الآتية .

(٢) بارس الحاجب قائد وثر ، وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان ، كما في التعليقات .

(٣) الرسالة بالورقة ١٩٧ هـ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات من أجل الناس ، وزر للمقتدر ثم خلع ، وتفصيل أمره في

التعليقات الآتية .

وقد حمل الوفد فيما حمل « أدوية » كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الخرمي وهذه شهادة أخرى على تقدم المملكة العباسية ، وغنى حضارتها ، ووفرة الأدوية عندها ، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك .

وصف الرحلة

وفي الرسالة تفصيلات دقيقة على إيجازها وقصرها ، تحدد لنا تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها ، وتتيح لنا أن نرسم الطريق الذي مرت فيه ، والأوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر أو مفازة .

فقد رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (الموافق ٢١ حزيران ٩٢١) وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً باقليم الجبال ، فهمذان فالري قرب طهران اليوم ، وعبر نهر جيحون ، فبلغ الى بخارى ، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا ، عند ملك الصقالبة ، يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ هـ (الموافق ١١ أيار ٩٢٢) ، فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب ، لاقى خلالها مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء .

فقد ذكر أنه تنكر في القافلة قبيل نيسابور خوفاً على نفسه ثم دهمه الشتاء في الجرجانية على نهر جيحون ، فإذا باب من الزمهريز قد فُتِح ، وإذا الريح عاصف شديدة ، فإذا خرج من الحمام الى البيت جمدت لحيته فأصبحت قطعة واحدة من الثلج ، وإذا هو يبيت في بيت داخل بيت ، ويتدثر بالأكسية والفراء ، ومع ذلك

يلتصق خدّه على المخدّة لشدة البرد . وحين أوغل في بلد الترك لقي الضر والبرد حتى أشرف على التلف فيمن معه . ولقيه واحدٌ من قطاع الطرق فأوقف القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فنجّا منه بالهدية والحسنى وعبر الأنهار في جهد جييد والغرق يتهدّد مع القافلة كلها .

وهو على هذه الأخطار التي واجهته ، والدسائس التي تربصت به ، والمشقة الطويلة التي عاناها ، كان شديد الإيمان بالله ، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه لا يخون الأمانة ولو خانها رفاقه ، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال الرسالة ، فتراه يضرع إلى الله أن ينجيه من شرّ ما يلقاه ، ويبرأ إليه من شرور الناس الذين يراهم في طريقه . يتقزز من القذارة والأوساخ . والاسلام أمر بالنظافة وجعلها من الإيمان . ويهوله أن يرى النساء إلى جانب الرجال ، بل يفزعه أن يراهنّ في عرى مخجل فيدعوهنّ إلى التستر^(١) ، فإذا شاهدهن في الماء بغير ثياب طار صوابه ، وفزع إلى الله من شر الكفر الذي كان يسمعه من الكفار في سبيله . وكم تلفت إلى أمور الدين وهو في أشدّ المواقف خطراً ، فعنى على القوم أنهم « لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة^(٢) » ، وكم ستر وجهه حين تكشف النسوة عن عوراتهن . وكان يرتجفُ لسماع أسئلة ملؤها الكفر ، فيستغفر الله لسائله حين يقول له « ألربنا عز وجل امرأة؟ » ولقت نظره أن الرجال هناك ينتفون لحاهم ويرسلون سباهم فشبّههم بالتيوس . وغمّه أن يسجد

(١) في الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ : « وما زلت أجهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك »

(٢) الرسالة ، بالورقة ٢٠٠ و .

أقوام لحشب ينحتونه على أشكال مخزية ، أو أن يتخذوا أرباباً كثيرة ، فيتلو للحال آية الله الكريمة : « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » وساءه أن تعبد طائفة من الطوائف سمكاً أو حيات أو كراكي .

بل إنه ليمسك بالدين وتقاليد الاسلام ، فيأمر الملك برد السلام على أمير المؤمنين ، ويمنعه من تسمية نفسه بالملك ، لأن الله هو الملك وانما يستطيع أن يلقب نفسه بعبد الله وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلوات الله عليه في هذا الصدد ثم انه يأمر المؤذن بافراد الاقامة وكان يثنيها إذا أذن ، حتى لقد عرف الملك شدة تقواه فسماه « أبا بكر الصديق » وآثره وقربه وباعد أصحابه ، وقد اعترف بأن رجلاً أسلم على يديه وكان اسمه « طالوت » فسماه « عبد الله ^(١) » وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم باسم « محمد » وعلم الرجل سور القرآن القصار ، فكان فرحه بذلك أكثر من فرحه إذا صار له ملك الصقالبة .

ويطول بنا الأمر ان رحنا نستعرض ما في الرسالة من تمسك ابن فضلان بدينه ، وفرحه لشعائر الاسلام ، وغضبه لانتهاك حرمة المسامة حين ذكر أن ملك الخزر اليهودي يغضب المسامة الروسية على الزواج منه . وذلك كثير في الرسالة يشير إلى أن الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام ، فقد وفد لهذا ، وذكر أن البعثة كانت تريد تفقيه الشعب هناك بالدين في جملة مهماتها . ونظن أنه انما فصل الأمر في احراق الروس أنفسهم ، واحراق جارية مع الميت ، كان

(١) الرسالة ، بالورقة ، ٢٠٧ ظ .

لكرهه ذلك ، وغضبه من مرأى الجارية يتناولها الفجار من اصحاب الميت في
أوضاع ياباها الاسلام والدين والنوق .

*
* *

والعجب أشد العجب في هذه الرسالة ، يخطها رجل فقيه ، فيجيد في الوصف
على أروع ما يجود فيه الأدباء ، يصور ما يجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة
والخوف والفرح ، والعجب والدهشة ، فيقربنا من المشاهد التي رأى تقريب
أديب أريب لا فقيه مبشر . ولولا أنه ذكر مهمته وألح على بيانها ، وأكثر من
النصح والنهي ، لسلكناه في الأدباء والقصاصين فحسب ، وذلك لبراعة قلمه وحسن
بيانه وجودة عبارته ، وشدة أسره ، وعظيم ايجازه في التعبير ، ودقته في اللفظ
وانسيال الجمل على قلمه في سهولة ويسر ، وفي تتابع من غير تقطيع ولا استطراد .
فلم نقع على تقعر في المفردات ، ولا تكلف في الانشاء ، فأسلوبه من السهل الممتنع
وبيانه من الإيجاز بحيث يقع في صدور الكتاب وفي طليعة المنشئين . وأما رسالته
من حيث المنهج فهي أشبه بالقصة ، تتأسك حلقاتها وأحداثها ، كرواية متشابكة
متصل أولها بآخرها .

وهو على ايراده الأرقام والأعداد في ذكر التواريخ والمسافات والأبعاد
والأيام ، لا يبتعد عن أسلوب الأديب ، ولا يتقرب من أسلوب الجغرافي . فلا
نرى له ذكراً لدرجات الطول والعرض ومواقع البلدان ، ودرجات الحرارة
وموازنة الأقاليم بعضها ببعض كما يصنع الجغرافيون . ويعتمد في حكايته للأحداث

التي مرت به والأشخاص الذين لقيهم على المحاورة المباشرة ، كقصة كتبت لأيامنا وهذا سر نجاحه في رسالته ، وسر الإعجاب بها والعكوف عليها ، حين اتخذها المستشرقون موضعاً للترجمة والنقل فرأوا فيها قطعة من الأدب الرائع في الرحلة .

وقد أفاده أدب القرآن والحديث في أسلوبه ، فاقبس منهما من غير أن يتكلف ذلك ، كأنه تشبّع به فسأل بيانه مُشرقاً متيناً لا ضعف فيه ولا انحطاط . فإذا بدا بعض التفكك في هذه النشرة فمردّه إلى حال النسخة وتصحيحها وإلى التوقيع الذي أدخل عليها في التصحيح ، فالثوب الرائع لا يصلح رتقه إلاّ الناسج الرائع . وأنى لبياننا أن يصلح من بيانه ما أفسد الدهر والنساخ .

أهمية الرحلة :

يقول المستشرق الأستاذ « فرهن » حين قدّم لدراسة ابن فضلان في الألمانية ان تاريخ روسية وما جاورها في العصور القديمة غير معروف وهو ما يزال غامضاً مبهماً في أكثر نواحيه لم يضىء من جوانبه أحد من الأوربيين . وفي زمن نسطور « Nestor » كتب عن البنزطيين والفرنك والسكاندنافيين ولكن ما كتب لم يتوسع في أخبار الروس . فإذا كان الغرب قد أغفل روسية فان العرب والشرقيين تحدّثوا عنها ، فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسية في عهد البعيد ، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون عجيبة من أقصى الهند والصين إلى المحيط الأطلسي . فقد كتبوا عن مجاورتهم في حدود واسعة ، ووصفوا الهند والنيجر

والفولغا . وذلك لأن تعاليم الدين الاسلامي توحى بطلب العلم وتفرضه وتطلب السعي إليه .

ذلك ما قاله المستشرق منذ مائة عام في فضل العرب على الغرب من حيث كتب الرحلة ، أثبتناه ، لنبيّن أهمية ما كتبه الأجداد ، وفيهم ابن فضلان ، ولنشير إلى يدهم في الكتابة عن أقطار الغرب ، وعن روسية خاصة . فالقوم لا يعرفون من تاريخها القديم كبير أمر . فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسدّ ثغرة كبيرة في الحديث عنهم لماضيهم البعيد ، ولعلها وحدها تنير صفحات واسعة في حياتهم ، وتتحدث عن معيشتهم في أمانة ودقة وتوفيق .

ونحن لا ننظر إلى الرسالة من هذه الناحية فحسب ، وإنما نرى أن الرجل قد صور الرحلة والعادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر ، في مختلف المناطق التي مر بها أو قام فيها ، فلم يغفل كثيراً مما يحتاج إليه ذلك الزمان ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل أكثر ما يرى السائح ، وينقل إليه ما يدور خلال السياحة من حوار ودسائس ، ويصف الحكام والأمراء ورجال الشعب على حدّ سواء ويرسم الهيئات والوجوه على ايجاز الرسالة وقصرها .

مر ببخاري فوصف الدراهم العظريفية وتركيبتها وقيمتها ، وفعل مثل ذلك حين وصل إلى خوارزم فوصف دراهمها وتركيبتها وتسميتها بالطازجة ورسم وحشية أهلها وصور كلامهم بأنه أشبه شيء بصياح الزراير ، كما صور كلام قرية قريبة بأنه أشبه شيء بنقيق الضفادع فبين حال الأجنبي حين يسمع لغة لم يألّفها سمعه ، فحار في تشبيهها ورسمها .

ورسم اللباس في البلاد التي مرّ بها ، وقرب إلينا أشكاله حتى لا يستطيع الرسام أن ينقل منه صوراً لأزياء البلاد في ذلك الزمان ، عن رحالة شاهد بعينه وصور بقلمه ، وأسماء الألبسة مهمة جداً لمن يريد أن يدرس الحياة الاجتماعية والبشرية .

وأما عادات تلك الشعوب في عيشها وحديثها وتدّينها فقد أحسن في بسطها فشرح حال الزواج والمهر وشروطه ، وأوضاع السكنى والمأكل والمشرب ووفاء الدين وحال المدين ، والضيافة واستقبال الزائرين والغرباء ومراسم ذلك كله في هذه الأصقاع .

والمهم في هذه الرسالة أنه خصّ بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق وصف الصقابة فأفاض في مراسم الاستقبال ، وفي عيش القوم ، وجلس المليك وطريقة الأكل مما يخالف حياة العرب وما كلهم . ووصف المائدة . وقد جلس مليكهم فأخذ سكيناً ، وقطع لقمة من اللحم المشوي وأكلها ، ثم دفع قطعة إلى غيره ، فلا يمدّ أحد يده إلى الأكل حتى يناوله المالك قطعته . وكان كلّ يأكل من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً .

ووصف قصر اللّيل وطول النهار في تلك البلاد ، حين حار في تأدية صلاة المغرب مع صلاة الصبح وقرب طلوع الفجر . وذكر أن القوم يأكلون لحم الدابة وأنهم لا يجدون موضعاً يجمعون فيه الطعام ، فيعمدون إلى آبار يحفرونها في الأرض ويجعلون فيها الطعام ، ولا تمضي عليه أيام حتى يتغير وينتن . وليس عندهم زيت أو شيرج وإنما يستعملون زيت السمك .

ثم ذكر أن القوم يلبسون القلانس ، ويرفعونها عن رؤوسهم حين يمر بهم الملكُ ويجعلونها تحت آباطهم ، وينهضون له واقفين ، فاذا جاوزهم ردوا القلانس إلى الرؤوس . وأنهم يحيون الملك بمثل ذلك ، حين الدخول عليه ، ويحنون له الرؤوس وينتظرون الاذن بالجلوس . وذكر أنهم ينزلون إلى النهر فيغتسلون رجالاً ونساء وهم عراة ، وقانونهم في الزنا شديدٌ فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته إلى فخذه .

ودفن الموتى عند المسلمين منهم يكون بعد الغسل بأن يحملوا الميت في عجلة ، وأن يواروه اللحد ، ويجعلون بعد ذلك سلاحه عنده حول قبره ولا يقطعون البكاء عليه سنتين .

ثم وصف الروس في أبدانهم فرأى أنهم شقر حمر ، وأن الرجل منهم يحمل سيفاً وفأساً وسكيناً لا تفارقه . والمرأة تجعل على ثديها حقة مشدودة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب على قدر غناها ، وفي كل حقة سكين مشدودة على الثدي ، وفي عنقها طوق أو طوقان على قدر ثروتها كذلك . وقال إنهم يجتمعون على السكنى في بيت واحد عشرة أو عشرون ولكل منهم سرير يجلس عليه ، وحياتهم الزوجية عجيبة مكشوفة لأحياء فيها ولا عار ، على قذارة في الثياب والأبدان . فهم يغسلون وجوههم في طست واحد يطاف عليهم به يرسلون فيه كل ما يخرج من أفواههم وأنوفهم . وأنهم يسجدون لخشب ركزوه في الأرض وقد صنع على شكل صور ، يستشفعون إليه ويتضرعون وله يتصدقون .

وفصل الأمر في الموت عند الروس تفصيلاً بارعاً ، فقد وقف على ذلك بنفسه وشاهده بعينه ، فقص علينا ما رأى من موت روسيٍّ جليل . فقال إنهم جعلوه في قبر وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه . ثم سألوا جواريه من تموت معه ، فإذا كان يوم الحرق شربت الجارية وغنت ، وأحضرت إلى سفينة معدة لذلك الأمر . وأخرجوا الميت من قبره وجعلوا معه نبيذاً وفاكهة وطنبوراً ، وألبسوه أجمل الثياب الفاخرة وأدخلوه القبّة ، وطرحوا بين يديه المآكل ، ثم دفعوا الجارية بعد أن تودع صواحبها ، فخنقوها وقطعوا أضلاعها ، ثم أحرقوا الخشب تحت السفينة ، حتى أصبحت رماداً تذرّوه الرياح ، وغرسوا في موضعها خشبة عليها اسم الميت واسم ملك الروس .

ولا نستطيع أن نسرف في رواية ماجاء عند ابن فضلان وما قصّ من مشاهداته في بلاد الروس ، فالرسالة بين الأيدي تفصلّ الدقائق وتوضح الحركات في شكل دقيق لانراه في مصدر عربيٍّ أو غربيٍّ غيرها . ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان ، لدقتها الشديدة ووضوحها البين . وقد استقى فنان روسي اسمه (هنري سميرادسكي ^(١)) من هذه الرسالة لوحة للدفن ، تزيّن اليوم أزهى متاحف الروس في لسنغراد رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة ، وأكسبت رسالته سمعة عالمية .

ونحن لا نريد بهذا أن نقول إن ابن فضلان وحده ذكر احراق الموتى عند الروس ، ولكننا نريد أن نشير إلى أنه وحده فصلّ الأمر ووصف الحرق وصف شاهد معاين . فالجغرافيون العرب في القرن الرابع ذكروا أن الروس كالمهنود

Henri Semiradski (١)

يحرقون موتاهم ، فقال ابن حوقل : « والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجواري منهم بطيب أنفسهم ، كما يفعل بغانة وكوغة ونواحي بلاد الهند » وقال المسعودي^(١) : « فأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم صقالبة وروس وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودوابهم ، والآلة والحلية . وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإن مات منهم عزب زوج بعد وفاته . والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند » . وقال غيرهما مثل هذا ، ولكن هذه الأقوال ليس فيها كبير غناء من حيث الدقة والقصة والحكاية ، فهي أخبار منقولة تواترت ، وربما كانت في أكثرها مأخوذة عن ابن فضلان ، والفضل للمتقدم .

وهنا يجب أن نشيد بفضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير أن يذكرها غالباً اسمه أو رسالته ، اللهم إلا ياقوت الحموي ، فقد نقل عنه حرفياً صفحات كثيرة من الرسالة — كما نبين بعد قليل — ونقده وخالفه في بعض المواضع ، وأخذ عليه أشياء ، وكذبه في أشياء ، ولكنه على كل حال أثبت اسمه في كل موضع نقل عنه من مواضع معجم البلدان . فالرسالة في ذلك مرجع من أهم المراجع عن البلاد التي زارها وخاصة بلاد البلغار وبلاد الروس . وذلك سبب عناية المستشرقين بها ، بل لعله أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تحقيقها والعمل لها على الطريقة التي نشرها في الفصل التالي .

(١) مروج الذهب ، طبعة باريس ١ / ٢ .

الفصل الثاني

تحقيق الرسالة

مؤلفها — فصول من الرسالة — مخطوطة الرسالة — طريقتنا في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

تحقيق الرسالة

مؤلفها

رأينا أن ابن فضلان بدأ رحلته في ٢١ حزيران ٩٢١ ، من بغداد وبلغ إلى نهر الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١١ أيار ٩٢٢ م ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، ولكننا لم نعرف طريقه في العودة ، ولم نقف على تاريخها والمدة التي قضاها في ذلك حتى وصل بغداد . وإنما نعرف عن ياقوت أن الرجل عاد من رحلته إلى العاصمة ، فقال عنه : « منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها^(١) » .

والمصادر التاريخية لا تفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة ومن صاحبها فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية والتاريخ والأخبار ، ولم نر سطرأ واحداً يشير إليه ، فنحن نجهل كل الجهل ما كان من اسمه . فهو عند ياقوت « أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد^(٢) بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله » وهذا يطابق ما جاء في الرسالة المخطوطة بالعنوان ، ولكنه يخالف ما جاء في المخطوطة نفسها حين أعلننا ابن فضلان أنه أسلم على يديه رجل اسمه « طالوت »

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) صحف ياقوت هذا الاسم في بعض المواضع فقال : « ابن اسد » ولعله من النساخ .

فأسماءه عبد الله ، فقال الرجل : « أريد أن تسميني باسمك محمداً^(١) » ويقول المؤلف : « ففعلت » فهل نرى في هذا تناقضاً واختلافاً ، أم نرى فيه تصحيفاً من الناسخ ؟ أم نقبل فيه بأن خير الأسماء ما محمد وعبد .

وليس الاسم وحده هو الذي يستوقفنا ، وإنما اسم فضلان ، فالوزن عربي معروف ، ولكننا لم نقع على « فضلان » في الأسماء المشهورة لذلك العصر مع أن الرسالة تقول إنه مولى لفاتح مصر محمد بن سليمان^(٢) ، ويقول ياقوت إنه كان مولى لمحمد بن سليمان ثم مولى أمير المؤمنين فهو من العجم الموالي^(٣) لذلك الزمان .

والمؤلف في رسالته يدعونا إلى الاعتقاد بغير ذلك ، فينقل إلينا قول ملك الصقالبة يخاطبه معرّضاً بأصحابه في الرحلة : « إنما أعرفك أنت ، وذلك أن هؤلاء قوم عجم » . فهل يريد بذلك أنه عربي اللسان أم عربي الجنس ؟ أم أن الملك يجهل أصله فدعاه كذلك ؟ !

وأين ولد ابن فضلان من بلاد العجم أو العرب ، وكيف نشأ ، وماذا شغل من مناصب دينية قبل البعثة إلى البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس ،

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ظ .

(٢) محمد بن سليمان بن المنفق أبو علي الكاتب كما جاء اسمه في تجارب الأمم ٥١/٥ ، فتح مصر وشتت آل طولون ودخلها سنة ٢٩٢ هـ ، وقتل سنة ٣٠٤ هـ ، وحصلت الري بيد أحمد بن علي صملوك بعده - انظر الفرج بعد الشدة ١ / ١٨٠ .

(٣) في المولى - انظر دراسة المستشرق فون كرير ، عن الثقافة في عهد الخلفاء (بالألمانية) ١ / ١٠٤ ، طبع سنة ١٨٨٨ م - ولاحظ أن ياقوت يسميه « مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان »

وماهي ثقافته الأدبية والدينية ، وماذا خلف من كتب غير هذه الرسالة ؟ . إننا انتهينا في تحليلها قبل قليل إلى أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحب لنشر الاسلام وصدق في الحديث ، وعفة في المال ، ولكننا رأينا عنده سذاجة ، لعلها راجعة إما إلى سنه المتقدمة أو إلى حالته الخاصة .

أما السن فقد لاحظنا أنه تحمل هذه الأسفار فخاض الأنهار وسكن قرب الثلوج وركب الجمال والسفن وعبر البوادي والصحارى والقفار والغابات وسار سيراً حثيثاً بأشد ما يكون في الجبال والوديان ، وغامر مغامرة الشباب وخاطر بحياته فرأى الموت بعينه . فهل كان في حال جسمية تحمل مثل هذا العذاب في الرحلة أم كان في سن قريبة من الشباب ؟ ومهما يكن من أمر ، فالذي ساقه من حكايات كان راجعاً إلى عقليته التي تقبل هذا الخيال ، فقد نظر إلى السماء في بلاد البلغار ، فإذا بالجو يحمر وإذا بأصوات شديدة وهمهمة عالية ، وإذا بأشباح تحمل السيوف والرماح على قطعة أخرى فيها أشباح تحمل السيوف والرماح وفي كل منهما رجال ودواب وسلاح ، كما تحمل الكتبية على الكتبية . ففزع من ذلك وأقبل على التضرع والدعاء . والقوم يضحكون منه ومن زملائه ويتعجبون . فإذا سأل عن ذلك زعموا له أن هذا الفعل من مؤمني الجن وكفارهم يقتلون في كل عشية .

وكذلك وصفه لرجل من قوم يأجوج ومأجوج . قص الملك عليه قصته ، له رأس أكبر من القدور الكبيرة ، وأنف أكثر من شبر ، وعينان عظيمتان . فروى ابن فضال الخبر ، ثم زاد عليه بأن الله يخرج للقوم كل يوم سمكة من

البحر ، يحتزّ منها الواحد ما يكفيه ويكفي عياله ، ثم يردّها إلى البحر تتقلب ، فإذا أخذ فوق حاجته اشتكى بطنه .

وما بسطنا هذا لنتقد ابن فضلان أو نزري بقدره فلعله كان يتوهم حقاً هذا الذي يصف ، أو لعله خاف فتخيل الذي قال ، فليس من هين الأمور أن يبلغ رجل في عصره ما بلغ إليه من رحلة بعيدة يصل فيها إلى بلاد البلغار والروس ، وأن يرى العجائب التي رأى على وسائط ذلك الزمان ، ومصاعب المواصلات . وكثير من الرحالة والجغرافيين رووا مثلما روى وأوغلوا في الأساطير ، حتى لقد دخل ذلك في كتب التاريخ عندنا ، وروى المؤرخون مثله على سعة عقولهم وأحلامهم . ولكننا أردنا أن نشير إلى ما كان من ثقافة ابن فضلان وتأثره بالقصص القديمة السائرة في عصره والتواريخ المنشورة المترجمة عن الفرس ، مما أدخله اليهود وغير اليهود في عقول الناس لذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة في ذلك العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد ، حتى قال ابن حوقل وهو في القرن نفسه عن بلاد الروس : « فلم أسمع أحداً يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء ، وإنما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم . ولا يتركون أحداً يصحبهم » .

وابن فضلان دخل البلغار . ورأى الروس يتجرون في تلك البلاد وعاد منها بوصف لرحلته ، أشبه ما يكون بالتقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم عن بلاد عجيبة غريبة ، فوفق في ذلك أشد التوفيق ، بل وفق أكثر من بعض السفراء

الدبلوماسيين لعصرنا في تقريره ، فنحن نرى في خلطهم اليوم في فهم الشعوب وعاداتها وتقاليدها ما يجعل ابن فضلان سيّداً من سادة السياسة في عصره وغير عصره .

وهذا دليل على أن الرجل نجح في مهمته ورسائله وكان حقاً عند حسن ظن المسؤولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة ، فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه شخصية ممتازة . فقد وقع عليه اختيار الخليفة أو اختيار الوزير حامد ابن العباس لرئاسة هذا الوفد ، وكلفاه بتسليم رسالة لكل منهما يحملها إلى ملك أوربي يعرفان أتم المعرفة أن الصلات بمملكته حين تتوثق ستزيد المسلمين قوة ودعاية ورفعة . وليس من اليسير أن يختار الخليفة أو وزيره رجلاً لا يكون محنكاً أو مجرباً .

ويبدو أن الأوائل قبلنا جهلوا عنه كل شيء ، فنقل عنه الجغرافيون كما قلنا ولم يذكروا اسمه ، ولم يعرضوا له في مصادرهم التي أخذوا منها . فقد قرأ الرسالة منذ القرن الرابع وما بعده الأضطخري ؛ وابن رسته ؛ والمسعودي ، ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم أنهم نقلوا منه ، فاختلط عندهم ما جمعوه من غيره بما نقلوه عنه . وفي القرن السابع كان ياقوت أوّل من أشار إلى فضله ، وأختار فصولاً من الرسالة جعلها في كتابه « معجم البلدان » وهي التي عرّفت به في العصر الحديث وسيرت ذكره .

فصول من الرسالة

قال ياقوت في كتابه^(١) : « وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس . رأيتُ منها عدة نسخ » وبذلك نعرف أن نسخ الرسالة كانت متوفرة في القرن السابع ، يعرفها الناس ويتداولونها ، ولا شك في أن ياقوت رأى بعض هذه النسخ خلال رحلاته وأسفاره في بلاد العجم والأتراك ، فنقل من إحداها فصولاً عدة ، وجعلها في كتابه مادة يستنير بها ويستشهد على الأقاليم والبلدان التي أراد أن يصفها على عادته . وهذا بيان بالفصول التي نقلها مرتبة وفاق صفحات الرسالة وإلى جانبها ما يقابلها من الأوراق في هذه المخطوطة التي نشرها :

١ - خوارزم^(٢) : ١٩٨ و ١٩٨ + ظ .

٢ - باشغرد^(٣) : ٢٠٣ و .

٣ - بلغار^(٤) : ٢٠٣ ظ - ٢٠٦ ظ .

٤ - اتل^(٥) : ٢٠٨ و - ٢٠٩ و .

٥ - روس^(٦) : ٢٠٩ ظ - ٢١٢ ظ .

٦ - خزر^(٧) : ٢١٢ ظ .

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ١ / ١١٣ .

(٢) معجم البلدان ، « « ، ٢ / ٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٣) المصدر المذكور ، « « ، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٤) « « ، « « ، ١ / ٧٢٢ - ٧٢٥ .

(٥) « « ، « « ، ١ / ١١٢ - ١١٣ .

(٦) « « ، « « ، ٢ / ٨٣٤ - ٨٤٠ .

(٧) « « ، « « ، ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ .

فهو قد أثبت قرابة عشرين صفحة من هذه الرسالة ، وترك خمس عشرة صفحة منها ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد - على الأقل - مجهولاً لم يظهر في مصدر أو كتاب . وطريقة نقله واضحة بيّنة ، فهو يفتح غالباً بقوله : « قرأتُ في كتاب ^(١) أحمد بن فضلان . . . ويحتم : « هذا ما حكاه » ، أو يفتح بقوله : « قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة أحمد بن فضلان . . . حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها ، فحكيتُ ما ذكره علي وجهه استعجاباً به » .

وتعليقاته على ما ينقل من ابن فضلان تحمل طابعه في الصراحة والنقد والشدّة فيقول بعد أن يروي الوصف في إتل : « قال المؤلف رحمه الله : هذا وامثاله هو الذي قدمتُ البراءة منه ، ولم أضمن صحته » . ويقول معلقاً على وصفه للخزر : « قال عبد الله الفقير : وهذا كذب منه فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار وهذا ما يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة شاهدته وسألتُ عنه أهل تلك البلاد ، ولعلّه ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك » . ويعلق بعد سطور : « قلتُ : وهذا أيضاً كذب لأن العجلة أكثر ماتجر على ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لاتجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس . وأما رخص الحطب فيحتمل أن كان في زمانه بذلك الرخص فأما وقت كوني بها فإن مائة من كان بثلاثة دينار ركني » ثم يقول معلقاً بعد

(١) نلاحظ أن ياقوت يسمي الرسالة تارة « كتاب أحمد » ١ / ١١٢ وطوراً « قصة ابن فضلان » وأحياناً « رسالة » .

سطور : « قلت أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دون المدينة شاهدت ذلك » .

ونلاحظ أن ياقوت الحموي لا يكتفي برواية الخبر ونقله ، وإنما يقبله على وجوهه ، فإن كان قد زار البلاد ، كما وقع في الخزر ، فهو يناقش الرواية ويذكر ما كان لزمانه ، ويدينها ثلاثة قرون على الأقل^(١) . وإن كان لم يزرها أبدى استعجاباً مما يقرأ كما فعل في وصف الروس ، أو تبرأ سلفاً مما ينقل كما فعل في وصف نهر إتل ويوافق ابن فضلان حين يتأكد صحة روايته . وهو فيما عدا ذلك أمين صادق ثبت ، شديد الفهم لما يقرأ ، قوي التبع لما ينقل ، إلا حين يحذف من الأخبار والأحداث ما لا يدخل في كتابه . ولذلك كان كتابه معجم البلدان أحسن كتاب يعرض فصول ابن فضلان ويمثلها تمثيلاً صحيحاً بالجملة .

والمستشرقون هم أول من تنبّه إلى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ، ورأوا أن فصولاً منها أثبتها ياقوت وحده مشيراً إلى صاحبها ، فراحوا منذ أهل القرن التاسع عشر يُعنون بها دراسة وتعليقاً ، وترجمة ، فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ما قاله الجغرافيون العرب عن الروس وفيهم الإدريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ جمع المستشرق راسموسن Rasmussen مقاطع من هذه

(١) ولد ياقوت الحموي في آسية الصغرى سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، وطاف أصقاعاً كثيرة مما رأى ابن فضلان . وكان ثقة صادقاً فيما ينقل .

الفصول وترجمها إلى الروسية ، ونقلها عنه إلى الانكليزية نيكلسون بعد أربع سنوات .

وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الألماني فرهن^(١) Fraehn يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان ، وينشرها تباعاً فنشر سنة ١٨٢٢ الفصل الخاص بالخزر إلى اللاتينية ، ومعه مقال ابن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ نشر الفصل الخاص بالروس إلى اللغة الألمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات فكان مؤلفه كتاباً ضخماً كبيراً بلغ ٢٦٨ صفحة من القطع الكبير . مع العلم بأن الفصل عن الروس لا يتجاوز إحدى عشرة صفحة ، ترجمها في إحدى عشرة صفحة مقابلة إلى الألمانية ، وعلق عليها في ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، وأتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع العلمي القيصري آنذاك^(٢) .

وهذا الكتاب على قدمه جدير بالترجمة والنقد والدراسة لمن يعنون بما قال العرب عن روسية ، وما وقع لعلماء الآثار من النقود والأقمشة مما يلم بتاريخ تلك البلاد منذ عصر المقتدر ، فقد ذكر الرجل أن نقوداً عربية ماتزال محفوظة

(١) ولد فرهن الألماني في مدينة روستوك سنة ١٧٨٢ ، وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ ، وكان من كبار المستشرقين الألمان ، واشتهر خصوصاً بالنقود الشرقية ، وله من التأليف ما يزيد على مائتي كتاب ، وكان عضواً في مجامع عدة بسان بطرسبورغ واستوكهلم وكوبنهاغ وباريس وغيرها . . .

(٢) عنوان الكتاب بالألمانية : رسالة ابن فضلان ، والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس في أقدم الأزمان . نص وترجمة مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبورغ ١٨٢٣ وتفضلت دار الكتب المصرية فأعارته لنا مشكورة .

في متحف لنتنغراد ضربت في عهد المقتدر ، ولعلها جاءت منذ زيارة ابن فضلان
وبعثته إلى البلغار . وذكر الرجل خلال هذه التعليقات ما قال الجغرافيون
والمؤرخون العرب عن هذه الأصقاع وبحث عن البلدان الروسية كويابة
(كييف) وبحر ورنك (اهرنك) كما ذكره العرب وغيرهما من البلدان والمواقع .
وفي سنة ١٨٣٢ نشر فرهن نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا (إتل)
في منشورات الجمعية الآسيوية بلنتنغراد (سان بطرسبرغ) . وهكذا نشر الرجل
أكثر فصول الكتاب عن ياقوت وعني به عناية فائقة ، وتمنى أن يحصل على مخطوطة
الرسالة كاملة ، ولكنه قضى قبل أن يصل إلى أمينته الغالية .

وفي سنة ١٨٦٣ نشر « وستنفلد » عن الرحلات عند ياقوت وفيها رحلة ابن
فضلان ، دراسة بالألمانية ، وكان يجمع مخطوطات ياقوت لنشر معجم البلدان ^(١) .
وفي سنة ١٨٩٩ نشر فستبرغ Westberg دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ نشر المستشرق فون روزن Rosen مقالاً بالروسية عن ابن
فضلان وأوصافه لاتل ، وخوارزم ، والروسية ^(٢) .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي دفورجاك Dvorák دراسة عن
رحلة ابن فضلان نشرها في براغ . وبعد عامين نشر برتولد Barthold بالروسية
دراسة عن موضوع الرحلات إلى روسية عند العرب ^(٣) .

(١) مجلة Z D M G ، المجلد ١٨ .

(٢) Z B O ، بالمجلد ١٥ ، ص ٣٩ - ٧٣ .

(٣) Z B O ، المجلد ٢١ ، سنة ١٠١٣ ، فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، أصدر مار كوارت Markwart ، دراسة عن الرحالة في ليبتيك . وفي هذه السنة وقع الحدث الحزير في المعلومات عن ابن فضلان ، اذ تسلم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبورغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد « طوس » من ايران ، ووصلت بقية الأوراق مصورة بعد عشر سنوات إلى هذا المعهد ، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة وسرى ما يكون من ذلك .

مخطوطة الرسالة

منذ عام ١٩٢٤ نشر مقال بالروسية^(١) في التعريف بهذه النسخة الخطية الثمينة التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد ، وبعد سنتين ١٩٢٦ صدر فهرس هذه الخزانة ، وفيه وصف هذه النسخة ، تحت رقم ٢ « أخبار البلدان » عربي ، فاذا المخطوطة تحوي أربع رسائل^(٢) :

- ١ - الأولى : رسالة أبي داف .
- ٢ - الثانية : رسالة أولها : أما بعد حمد الله . وخاتمتها « عبرة لأولي الألباب »
- ٣ - الثالثة : رسالة في أخبار البلدان .
- ٤ - الرابعة : كتاب ابن فضلان . وأوله : « قال أحمد بن فضلان لما وصل

(١) P. A. H المجلد ٦ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وصف المخطوطة .

(٢) جلد سوم - أزهريست كتب كنيخانه مباركة استان قدس رضوى على مشرفها آلف السلام ، شهر المحرم ١٣٤٥ هـ ، دار الطباعة ، طوس (مشهد مقدس) ، ص ٢٩٩ .

كتابُ الحسن بن بلطوار ، ملك الصقالبة الى أمير المؤمنين وآخره : وله يذعن الملوك الذين يصاقبونه .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخ ، في كل صفحة منها ١٩ سطراً ، وقف ابن خاتون « وتاريخ الوقف ١٠٦٧ هـ . » وأوراقها ٢١٢ ورقة ، آخرها مبتور مخروم ، وهو بذلك ينقص من أوراق رسالة ابن فضلان مع الأسف .

ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون إلى دراستها والتعريف بها ، فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان ، إلى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها . فأكمل ما فيها ، وقابلها على ياقوت وغيره ، وأتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الألمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩^(١) . ونشر هو نفسه قبل ذلك مقالاً يبين فيه أهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف^(٢) . وظهرت بعد ذلك مقالات في الصحف الغربية عن الرسالة لافائدة من تعدادها هنا كلها^(٣) لأنها في الفوائد اللغوية والتصحيحات الجغرافية .

وفي السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية ، برعاية المستشرق الكبير

(١) Ibn Fadlan, s Reiseberichte Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes XX11, 1939

(٢) A, 204, 144

(٣) منها مقالة للاستاذ ريتير في الملاحظات على نشرة وليدي ، صدرت سنة ١٩٤٢ في مجلة ZDMG ص ٩٨ - ١٢٦ ، ومقالة بالجزرية في مجلة Acta Orientalia ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٧ ، ٢٦٠ ، أشرفنا إليها في تمهيدنا ، ومقالة للاستاذ دنلوب Dunlop في مجلة « عالم الشرق » بالانكليزية ، صدرت في مدينة شتوتغارت في أربع صفحات ، ومقالة للاستاذين فرأي وبلاك R. Frye, R. Blake بالانكليزية كذلك ، صدرت سنة ١٩٤٩ ، في ٣٧ صفحة .

كراتشكوفسكي ، في مدينة موسكو ، وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها ، على إحدى وخمسين صفحة . ثم تلتها ترجمة الرسالة إلى الروسية في مئة وعشرين صفحة ، ورقة فورقة ، في ملاحظات قيمة ثمينة جداً ، وأعقبها الملاحق ، والفهارس . وفي آخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية (فوتوغرافية) للرسالة كلها عن مخطوطة « مشهد » بحجم كبير واضح ، ورقمت أوراقها ^(١) .

والحق أن هذه الدراسة هي أدق ما صدر عن ابن فضلان ورسائله وهي أصح التعليقات وأقربها إلى فهم النص ، وخاصة فيما يلم بالبلغار وروسية ، فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها ، وترجع إلى المصادر الحديثة الواسعة ، على قوة في الملاحظة ، ووقوف على العربية . ولكنها جعلت للمستشرقين عامة والروس منهم خاصة ، لأنها اكتفت بنشر الصور الفوتوغرافية « الشمسية » كما هي ، ولم تكن بطبع النص العربي محققاً ومصححاً بحروف الطباعة العربية ، كما فعل زكي وليدي ، وإنما اكتفت بالصور ، يصحح روايتها القارئ الروسي من التعليقات ، ويبذل بذلك جهداً في التنقل بين المخطوطة وبين الحواشي والتعقيبات . أما القارئ العربي فلن يفيد منها أمراً إلا إذا صحح عن الروسية هذه الصور وقوم العبارات فيها ، وأكمل المتور والناقص والمخروم بيده ، وفي ذلك جهد جديد لا ينهض به إلا ناشر أو محقق ، وليس هذا من عمل القراء في شيء .

(١) من منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي بعنوان ، رحلة ابن فضلان إلى البلغار ، مع مقدمة المستشرق الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، ١٩٣٠ صفحة + ٣٣ صورة شمسية .

وإذن فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد زكي وليدي طوغان مع الترجمة والتعليق، ونشرت صورها الشمسية مرات ، وصدرت عنها دراسات ومقالات في الألمانية والروسية^(١) والانكليزية . وهذه الطبعة والصور والدراسات هي في الغالب مفقودة في خزائنا العربية العامة ، لا تكاد تملك منها طبعة أو دراسة ، فكان الرسالة لم تنشر أو كأنها بقيت مخطوطة . ومع ذلك فإن طبعة زكي وليدي الوحيدة تحتاج إلى تصحيح وعناية وتقويم ، فهي تغص بالأخطاء ، كما أشار المعلقون من المستشرقين ، وهي على أخطائها نادرة لاتصل إليها الأيدي لأنها ظهرت في مجلة ألمانية من الصعب الحصول على نسخة منها ، وناشرها نفسه لا يكاد يملك فيما قال لنا إلا نسخته الخاصة .

وبذلك أصاب ابن فضلان ظلم كثير في الأقطار العربية ، فلم ينهض له ناشر أو محقق يجمع شتات التعليقات والمعلومات ، ويعود إلى الصورة المخطوطة ، فيتناولها بالقراءة والدراسة والتقويم كلمة كلمة ، وينشرها في جمهور المثقفين المتشوقين إلى تراثنا الخالد ، وخاصة في هذه الأيام ، ليعرف العرب أي يد كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد في نصرة البلغار على الخزر ، وعون هؤلاء الأقوام على أطراف القولغا ضد الخزر اليهود ، فقد طغت اليهودية على هذه الأمة وهددت كيائها ، وسلبت نساءها ، وأذلتها في عقردارها ، وفرضت عليها رسوماً وضرائب كانت تدفعها عن يدي صاغرة . فهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين ، وأرسلوا إليهم

(١) آخر الدراسات عن ابن فضلان ، صدرت في خار كوف سنة ١٩٥٧ بمناية كوفالفسكي في ٣٠٩ صفحات بجمع الربع ، مع ٣٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة ، وفيها شروح وتعليقات بالروسية .

المال ، ووعدهم بتحسين الحدود ، وقدموا لهم ما يملكون من وسائل الحضارة مما يُعِينُهُمْ على العيش الكريم ، فكانت هذه البعثة الرسمية التي وصف مهمتها ابن فضلان في رسالته ، ورسم المراحل التي اجتازتها ، والعقبات التي مرت بها . فهي وثيقة سياسية تاريخية هامة ، عُني بها الغربيون من جانبهم وبقي على العرب أن يُعْنُوا بها ، وهم أصحاب الفضل واليد ، منذ عشرة قرون كان الغرب قبلها يتخبط في الجهل والظلم ، وهذا سبب من الأسباب التي دفعتنا إلى العناية بها وتحقيقها .

طريقتنا في التحقيق

لهذا نهضنا بالمهمة منذ سنة ١٩٥١ ، نزولاً على إشارة الرئيس المرحوم العلامة محمد كرد علي ، واتخذنا الصورة الشمسية للرسالة أصلاً للتحقيق . فنقلناها ورحنا نقرأ عباراتها لنفهم منها ما يقيم ألفاظها ، فإذا بها قد كتبت بيد ناسخ عاش في القرن الحادي عشر للهجرة ، متأخر ، لم يفهم الرسالة ولم يفقه مراميها ، فتصحفت عليه وجوه القراءة فرسمها كما استطاع ، ولم يكن من السهل عليه أن يفهم كل ما فيها ففيها من الصعوبات ما يشق عليه تذليله . ويبدو أنه كان ضعيفاً في العربية ، لا يعرف قواعد النحو البسيطة ، مثل قاعدة الأعداد ، أو المفعول به أو الممنوع من الصرف^(١) ، وذلك من اليسير رده وتصحيحه على الناشر . والأمثلة عليه كثيرة لانريد أن نثقل بها هذه المقدمة ، ففي حواشينا أدلة متوفرة كافية للبرهان على

(١) أما عن طريقة الناسخ في رسم الحروف والكلمات فقد عرضنا صفحات بالتصوير كمنهج لخطه جملتها بما بعد هذه المقدمة .

مانقول . وليس هذا وحده ، وإنما في الرسالة أشياء لم يفهمها فصورها كما هي ، وأعلام لم يسمع بها ، وألبسة لا يعرفها ، فهو ناسخ ضعيف ، لا يرقى إلى مرتبة النسخ المثقفين .

ومن هنا كانت صعوبة القراءة ، فعمدنا قبل كل شيء إلى مقابلة ما في المخطوطة على ما نقل منها ياقوت الحموي إلى معجم البلدان ، فإذا بياقوت يتفق في كثير من الروايات ويختلف في قليل ، وذلك لأنه وقع على نسخة قريبة من هذه النسخة أشد القرب ، ولعل هذه المخطوطة من حفيداتها^(١) ، لولا شدة تصحيفها .

وشيء آخر أصاب هذه الرسالة فقد عدا عليها الإهمال ونزلت بها الرطوبة ، فطمست كلمات منها في كثير من مواضع الصفحات ، وحلت بها الأرضة فمحت مواضع أخرى ثم تناقلتها الأيدي فمزقت آخرها ، على عادة المخطوطات ، لقلّة التجليد وضعف العناية بالمخطوطات . أما ما وقعنا عليه في ياقوت مما يكمل المتور ويوضح المطموس فقد أعدناه إلى مكانه وملأنا فراغه ، وجعلناه بين معقوفتين ؛ دلالة على إضافته من ياقوت . وأما ما لم نقع عليه في « معجم البلدان » فقد أعملنا فيه التخمين والحدس ، وجعلناه كذلك بين معقوفتين . وبقي أمر هام نحب أن نقف عنده ، وذلك هو آخر النسخة فهي تقف عند الورقة (٢١٢ ظ) ، وتختتم بثلاثة سطور جاء فيها الحديث عن الخزر ، بصورة مفاجئة ، من غير تمهيد . وقد

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان بمادة « مرو » أنه أفاد من خزائن هذه المدينة وأقام بها ثلاثة أعوام ينقل ويقتبس ، فلعله رأى رسالة ابن فضلان في هذه المدينة .

عودنا ابن فضلان أن يقص علينا أمر انتقاله من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة وأن يشير إلى الطريق التي سلكها ، والأيام التي قضاها ، والطريقة التي قوبل بها . ولكنه هنا بعد أن ينتهي من الحديث عن ملك الروس وعاداته ينتقل فجأة إلى ملك الخزر ، فيقول : « فأما ملك الخزر . . . » فهل يصف هذا الاقليم بعد عودته من الروسية ، أم يصفه في طريق الذهاب إليها ، أم يوازن بين الروس والخزر في عاداتهم ؟ إنه وضع خطته في عنوان رسالته فقال : « يذكر ما شاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم » ، وقد تحدث عن خوارزم ثم عن الترك وقبائلهم وعاداتهم وأطال في ذلك ، ثم عن البجناك ، ثم الباشغرد ، ثم بلغ إلى ملك الصقالبة ، فأسهب في الحديث عن مهمته عندهم وعند مليكهم وعن طبيعة بلادهم وعجائبها . فاذا رأى الروس وافوا في تجارتهم إلى « نهر إتل » عند الصقالبة تحدث عنهم ، وقصّ حكاية الدفن فأفاض في صفحات ختمها بكلامه عن ملك الروس ، وإذا به يتكلم عن ملك الخزر في ثلاثة سطور بترت بعدها الأوراق ، وحل محلها الشك . وتكلم المستشرقون وتناقشوا في هذا الأمر كثيراً

وقد رجعنا إلى ياقوت نستجد به كما استجدوا ، فرأينا أنه يتحدث عن الخزر فيقول^(١) : « وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال : الخزر اسم إقليم من قسبة تسمى إتل ، وإتل اسم النهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار . . . » فصدنا صدمة عجيبة ،

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ٢ / ٤٣٦ .

لأن ابن فضلان لم يعودنا الطريقة الجغرافية في الحديث عما زاره ، وإنما يقول كما رأينا انه انتقل فرأى كذا ، ثم وصل إلى بلد كذا ، فهو حين يصل إلى الباشغرد يقول : « فوقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ، فحذرناهم أشد الحذر » وحين أراد الحديث عن الصقالبة قال : « فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة ، وجه لاستقبالنا ... » وتحدث عن الروسية فقال : ورأيت الروسية ، وقد وافوا في تجارتهم ، ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم منهم أبداً... » فليس من المعقول في شيء أن يبتدىء حديثه عن الخزر بذكر الاقليم وتعريفه والنهر وجريانه ، ولا يمهّد لذلك بقول كأقواله السابقة . ولكن ياقوت عودنا الصدق وأمانة النقل ، وهو في كل ما نقله إلى معجمه عن ابن فضلان كان ثقة وكان يطابق ما في مخطوطتنا ، فكيف وقعت منه هذه النسبة إلى ابن فضلان ؟

إن الاصطخري وابن حوقل يتحدثان عن الخزر^(١) ، ويقولان الكلام الذي قاله ياقوت في النصف الأول كلمة كلمة ، لا يكادان يختلفان عنه إلا في بعض الكلمات ، وإلا فيما تخطىء فيه العين حين النقل ، أو يميله الحفظ واللب حين الكتابة . فالنصف الأول هو هو في الكتابين وفي ياقوت يتحدث عن الملك ، ثم عن الفرق الدينية ، والحكام والقضاة وشكل الأتراك وهيئاتهم . ويبدأ الاختلاف في النصف الثاني عند الحديث عن خاقان الخزر ، والدخول عليه فين فصل الكتابان عن ياقوت

(١) كتاب مسالك الممالك للاصطخري وهو معمول على كتاب صور الأفاليه للبخي ، ط . ليدن

تماماً في هذا الموقع ، فكأنه اتفق معها في الشق الأول فحسب . وهو في هذا القسم الأول يتحدث عن مساجد لم يرها ابن فضلان حتماً فانما جاء ليبشر بالاسلام وليبني منبراً . وهذا لا يتفق مع مفهوم رسالته ، وإنما قد يتفق لمن وصفها بعده وتأثر بعمله وتبشيره ، فليس القسم الأول من انشاء ابن فضلان وليس من رسالته .

والنصف الثاني عند ياقوت يتحدث عن ملك الخزر فيتفق والسطور الثلاثة التي بقيت في المخطوطة عند ابن فضلان ، ويتابع وفاق السطور المطموسة في الورقة ، فكأنهما متحدان منذ هذا الكلام فحسب ، وكأن القسم الأول نقله ياقوت عن الاصطخري وابن حوقل ، ونقل الثاني عن ابن فضلان ، ونسي أن يذكر مصدره في الأول فجعل النصين معاً باسم ابن فضلان لغلبة الشعور عنده بأن الرجل زار هذه البلاد فتحدث عنها هذا الكلام كله . وهنا نقلنا القسم الثاني فقط مما أثبت ياقوت متمماً لعبارة ابن فضلان ، ووصلنا بين السطور الثلاثة عندنا وتتمة النص من ياقوت ، وجعلناه ذيلاً للمخطوطة ، كأنه يعوض علينا الورقة الضائعة أو الورقتين الضائعتين .

وبعض المستشرقين يظن أن نص الاصطخري منقول عن ابن فضلان في الأصل — والاصطخري^(١) كان حياً في سنة ٣٤٠ هـ ، بعد حوالي ثلاثين سنة من رحلة ابن فضلان — فأثبتته ياقوت على أنه له . وبعضهم يرى أن ابن رسته والبكري

(١) لم يكتب أحد عن حياة الاصطخري ، حتى أن الناشر المستشرق لم يجد نوراً يهتدي به في الحديث عنه ، ولكنه رأى أنه التقى بابن حوقل سنة ٣٤٠ هـ .

والاصطخري والمسعودي يشبهون آراء ابن فضلان فيما وصفوا من تلك البلاد ،
ولعلمهم نقلوا جميعاً عن الجيهاني ، وقد ألف كتابه بعد سنة ٣١٠ هـ ، أي بعد رجوع
ابن فضلان من رحلته . وكتاب الجيهاني ضاع ولم يصل إلينا لنوازن بينه وبين
مؤلفنا ابن فضلان .

ونحن لانتحق في الجغرافيين ، ولا نكتب في صدد مادة الخزر نفسها ،
ولكننا وجدنا ثلاثة سطور في آخر المخطوطة عندنا ، وقعت هي نفسها في ياقوت
تبدأ بحثاً أتم نقله ياقوت ، فنقلناه عنه . واطرحنا مانسبه إلى ابن فضلان في الشق
الأول لأنه لا يشبه أسلوب صاحبنا ولا يلمّ برحلته في شيء ، وفيه إعادة وتكرار
بين الشق الأول والثاني في الحديث عن خاقان الخزر ، فكأن ياقوت جمع بين
مصدرين على عادته ، ولكنه نسي أن يشير إلى مصدر الشق الأول ، فجعل الاثنین
لابن فضلان - كما قلنا - .

ولعل القارئ يعذرنا في الاطالة والاسهاب ، فنحن أردنا أن نتحقق من
من نسبة الرسالة إلى صاحبها وصحتها ، بعد أن تحققنا من وقوع الرحلة ، فأثبتنا
وقوع النص في ياقوت وحده مشابهاً لما عند ابن فضلان في أكثر ما نقله . وليست
المهمة سهلة كما تبسطها هذه السطور في يسر وسهولة ، وإنما استغرقت زمناً ليس
باليسير وجهداً ليس بالقليل ، لانمنّ ولا نتكلف في امتداح ما فعلناه ، فقد نخطيء في
هذا التخمين وفي هذا التقدير^(١) ، ولكننا نريد أن نضع المشاكل بين يدي المطالع

(١) رأينا أن المستشرقين الروس فعلوا مثل هذا فألصقوا نص الخزر من الشق الثاني برسالة ابن فضلان
وترجموه مع الرسالة .

كما وقعت لنا ، وأن نشر كه في الرأي ليكون على اطلاع بما يقرأ من حيث النسبة والصحة والدقة ، فلا يتهمنا بالاسراع والاعراق في التفاؤل ، وإنما يعرف أننا شككنا في كل كلمة قرأناها ، ورددناها إلى أصلها من العربية أو التركية أو الفارسية وأتينا رجعنا إلى المعاجم على اختلاف ألوانها ، تمدنا بما عندها . وعدنا إلى المستشرقين نسألهم ونقرأ تعليقاتهم ، ونأخذ منهم بما اتفقوا عليه . ولكنهم اختلفوا في كل شيء من هذه الرسالة ؛ فقد وقفوا عند اسم ملك الصقالبة ، فهو الحسن حيناً وهو « المش » حيناً آخر ، وهو مسلم قبل أن يفد ابن فضلان ، بل هو أسلم بعده ، فأبوه كافر اسمه يلطوار أو بلطوار أو « فلاديمير » أي « أمير فولاذ » . وهم يقفون في حيرة كما نقف ، لضعف المصادر عن امدادهم بتاريخ تلك البلاد لذلك العصر . ولهذا بسطنا في التعليقات أمر شكهم وحيرتهم ، وتركنا للقارىء الحكم بعد ذلك .

ولن ننسى كذلك ما بسط هؤلاء العلماء من شك في تمام هذه الرسالة وكالها فقد رأى بعض أنها موجز الرحلة ، بدليل كلمة : « قال » التي تبدأ كل مقطع طويل ولعلمهم على حق في ذلك ، ولكننا نجد المؤلفين القدماء يكررون هذه الجملة في كتبهم التي لا يناهها شك في تمامها . فعسى أن يجود الزمان بعالم يكتشف النسخة الكاملة للرحلة ، فيصحح ما وقعنا فيه من خطأ ، ويكمل ما بدأنا به . فقد عرفت منها فصول أول الأمر حتى سنة ١٩٢٤ - كما قلنا - ، ثم عرفت الرسالة كما نشرها مبتورة في آخرها ، والزمان كفيل بأن يظهرها كاملة مفصلة بعد سنين - إن شاء الله - فتزول هذه المشكلة ويموت هذا الشك .

أما أسماء الأنهار فهي مشكلة كذلك ، فقد تغيرت مواقعها وأسمائها وحرار المستشرقون كذلك في ردها إلى أسمائها اليوم ، لذلك ذكرنا ما انتهى إليه أهل الصناعة في جغرافية تلك البلاد ، ولسنا منهم في حال إلا أن نكون ناقلين مستنيرين بهدي غيرنا ، ننتظر الصواب من كل فم ، والتصحيح من كل عالم واقف على الموضوع .

فنحن لا ندعي أننا فعلنا كل شيء ، ولكننا على ثقة بأننا صنعنا ما كان في إمكاننا ، فاتخذنا الصورة الشمسية المكبرة عن كتاب كراتشكوفسكي وبسطناها على الورق ، وعلقنا عليها ، وصوّبناها كما انتهى إلى علمنا . وقسمناها إلى مقاطع وإلى فصول ، تمشياً مع طباعة اليوم ، من غير أن نبذل في ترتيب المخطوطة وفي كلماتها . فلقد أثبتناها كما هي مع إضافة يسيرة يقتضيها العلم الحديث من وضع الترقيم في الفواصل والنقط والأقواس وأضفنا البسمة في صدر الرسالة والعناوين الموجزة بين الأقواس المعقوفة ، وجعلنا أوراق المخطوطة معينة ، ووضعنا أرقامها بالحواشي بين معقوفتين . وضبطنا بعض كلماتها ، وفعلنا كل ما يقربها إلى العرض الواضح ، والطباعة المبسطة .

ونحن نعرف أن نشر النصوص قد اتخذ على يد بعض شباننا^(١) قاعدة أفسدته حين أشاروا بأن نطبع المخطوطة كما وصلت من غير تعليق أو شرح ، فلو قد فعلنا ذلك لوقف القارئ دون الفهم ، وجعلناه أمام مشكلة فهم النص ، وبعثنا منه

(١) لقد أرسل بعض الشباب قواعد «في تحقيق النصوص» على قلة تجربتهم ، ونحن نرجع إلى القدماء من عقيننا فقد ساروا في تحقيق الأحاديث سيرة يقلدها الغربيون اليوم لأنها عاقلة حقاً .

الحيرة والقلق ، ودفعناه عن جمال الرحلة ، و كأننا صنعنا كالمستشرقين فصورنا المخطوطة تصويراً فحسب . ولما كان من همنا أن نقر به منها وأن نجسبه إليها وأن نعرفه إلى النصوص القديمة وإلى تراثنا العبقري ، أضفنا في الحواشي ما قد يستثقله بعض ويرمي به بعض ، ولكنه لا يفسد النص كما يتراءى لهؤلاء الشباب وإنما ينير جوانبه . والنور في الشرح خير من الضلال في الصمت والسكوت عن المشاكل وإيثار العافية .

ونحن بعد هذا كله نرجو الأجر عند الله وحده فيما صنعنا فقد عملنا لخدمة الجيل الجديد ، في عصر اليقظة العربية ، وقد تلفت إلى ماضيه ليتثبت من مفاخر أجداده وليتأكد من ضخامة ما صنعوا لأجل لغته وبلاده ، لعله ينهض بمثل ما نهضوا به فيصنع لمستقبلنا كما صنعوا لماضيها ، ويتكافأ عند ذلك ماض ومستقبل ، ونعود لمصافحة النجوم واستقبال المفاخر ونغدو من جديد أمة حية تستحق الخلود والاكبار كما كنا ، فقد سطرنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم . فعسى أن تجد هذه الصفحات عند العرب ما وجدت عند الغرب من اهتمام لائق . وعند ذلك نجد السلوان والعزاء عما بذلنا من وقت وجهد وصحة ورحلة ، والحمد لله على مايسر وأعان .

دمشق الشام في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ

الموافق ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ م

محمد سامي الدهان

بيان الرموز المستعمدة في هذه الطبعة

ص	: صفحة
ج	: جزء
ط	: طبعة
و	: وجه الورقة من المخطوطة
ظ	: ظهر الورقة من المخطوطة
	مخطوطة الأصل : أو نسختنا : هي مخطوطة مشهد الوحيدة
ياقوت	: معجم البلدان لياقوت
[]	: وضعنا بينهما ماراً أيضاً لإضافته للسياق ، إما لطمس في المخطوطة أو غموض ، أو لإكمال نقص سواء أدلت عليه النسخة أم لم تدل
	: للدلالة على نهاية الصفحة و بدء الصفحة التالية في مخطوطتنا
[٣٣]	: وضعناهما في الهامش ، وبينهما الرقم المتسلسل للدلالة على رقم الأوراق في مخطوطتنا ، وهي نسخة مشهد .

(وأما المختصر من أسماء المؤلفين وآثارهم ففي الفهارس آخر الكتاب عون لبيانه والتفصيل فيه)

خط کتبی در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

در دسترس نیست

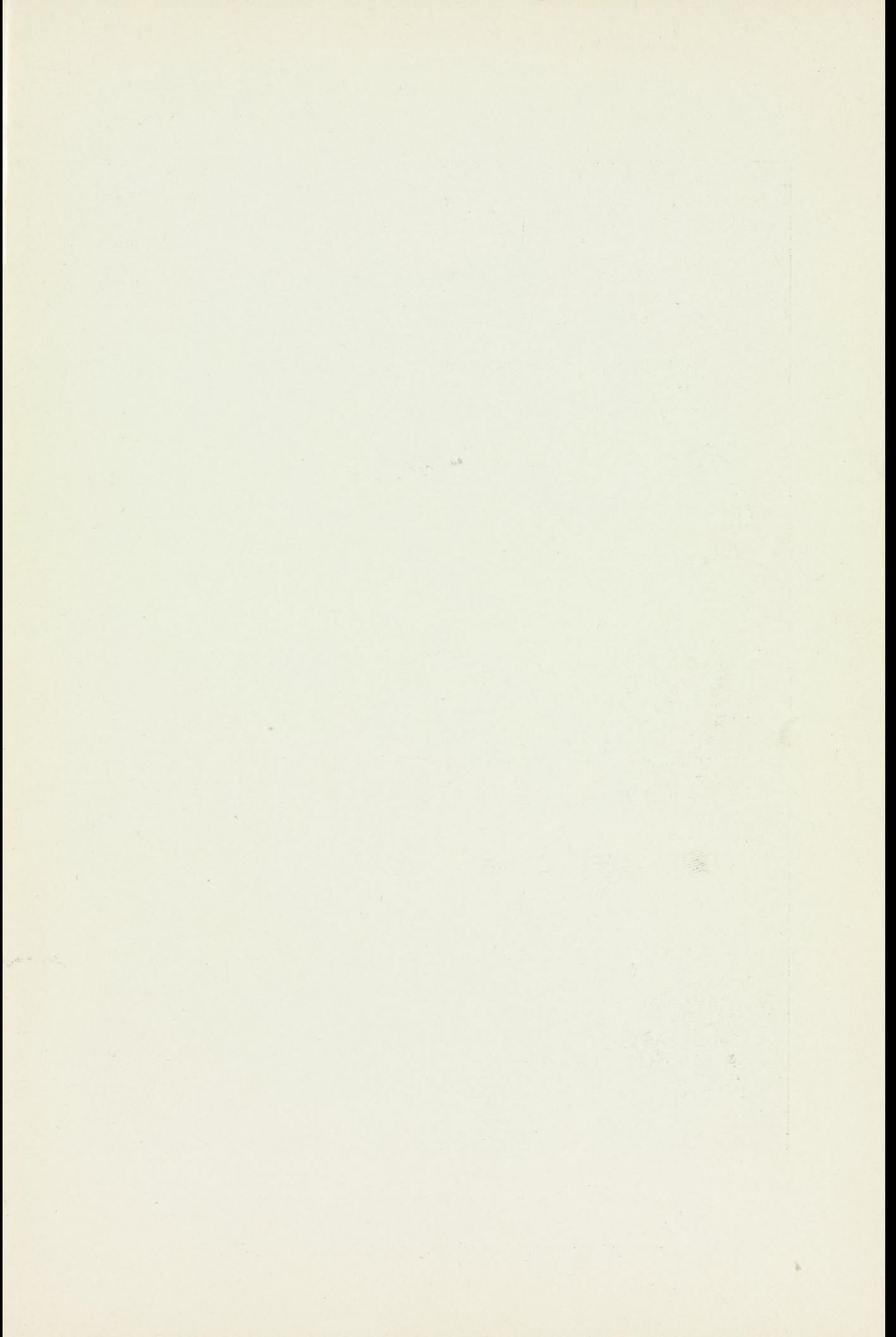
رسالة ابن فضالان
عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

الشيخون المال

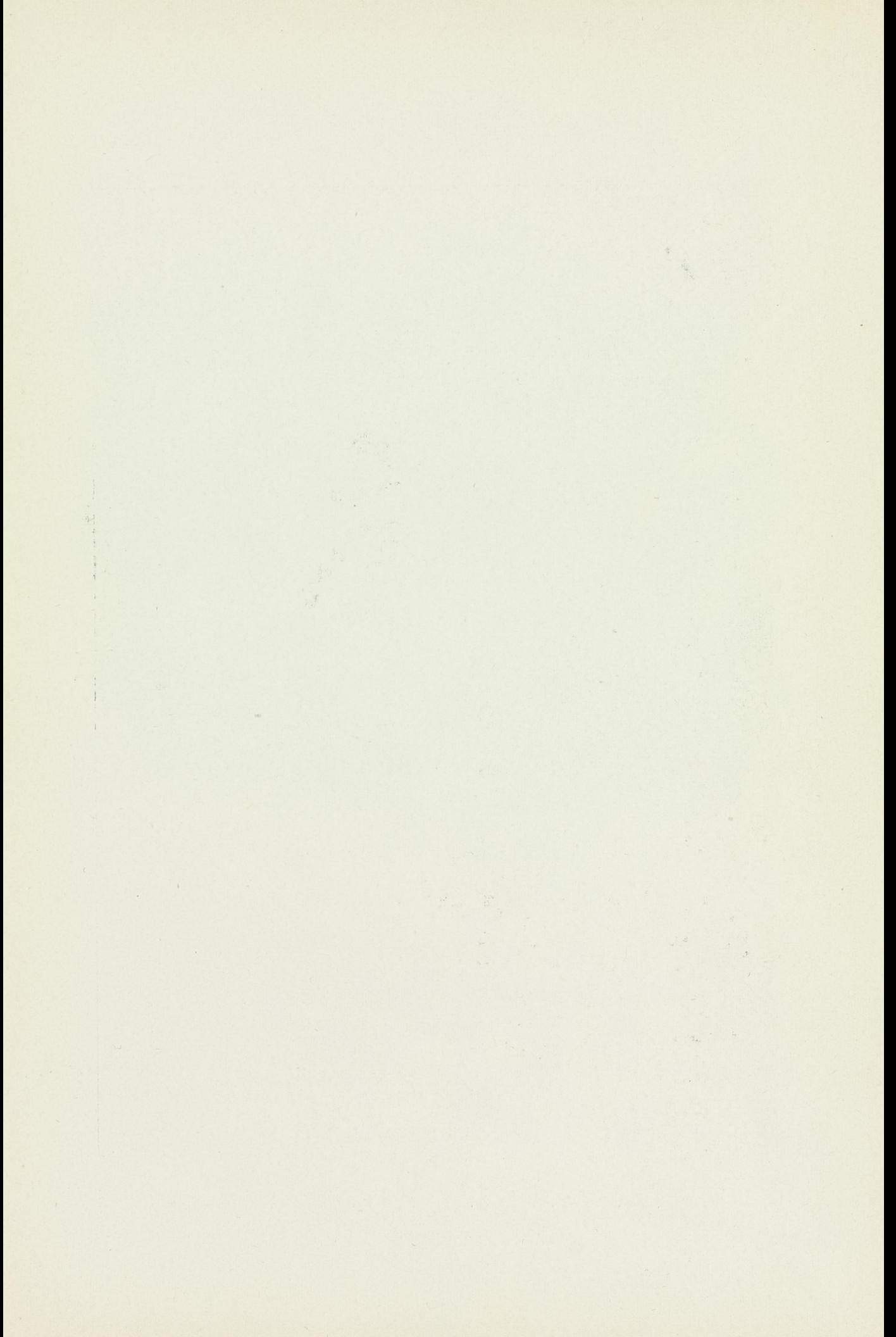
بسم الله الرحمن الرحيم

واخبار ملوكهم واحوالهم وكثير من امورهم ان قال لعمري تفضلنا واصل كتاب الحسن بن
 لمصوا وملك الصفانية ان امير المؤمنين المقنن ريسه فيه البعثة اليه ممن يدقه في الكس
 ويعرفه شرايع الاسلام وبنى له مسجداً رينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلاد
 وجميع مملكته ويسله بنا حصن يحصن فيه من الملوك المخالفين له اجيب الى ما سأل من
 ذلك وكان السفير فيه نذير الحرمي فذرت انا لقراءة الكتاب عليه وتسلم ما اهدت
 اليه والاشرف على الفقهاء والمعلمين وسبب له بالمال المحمول اليه لساناً ذكرناه بالحجرات
 على الفقهاء والمعلمين على الضيقة المعروفة باربعين مائة من ارض خوارزم من ضياع
 ابن الفرات وكان الرسول الى المقنن من صاحب الصفانية رجل يقال له عبدالله بن
 باشتوا الخزري والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي مولى نذير الحرمي وكنت
 التركي وبارس الصقلاني وانا معهم على ما ذكرت فسلت اليه اهدايته وكافراته وكا
 ولاق ولخوته وقوان وادوية كان كتب الى نذير يطلبنا فرحلتنا من مدينة السلم يوم
 الخميس لحد عشرة ليلة خلت من صفر سنة اربع وثمانية فاقمنا بالظهر وان يوماً واحداً و
 رحلتنا مجدلين حتى وافينا الدرسة فاقمنا بها ثلثة ايام ثم رحلتنا فاصدين لكون على نهر
 حتى صرنا الى حلوان فاقمنا بها يومين وسرنا منها الى قريسين فاقمنا بها يومين ثم رحلتنا
 فسرنا حتى وصلنا الى هذان فاقمنا بها ثلثة ايام ثم سرنا حتى قربنا من فاقمنا بها يومين
 ومنها الى الهدي فاقمنا بها احد عشر يوماً ثم تنظر حديس على اخصصونك لانه كان بخوار
 الربيعي ثم رحلتنا الى جوار الهدي فاقمنا بها ثلثة ايام ثم رحلتنا الى سمنان ثم من سمنان
 يصادقنا بالبن فارس من قبل الداعي فتفكرنا في النافله وسرنا مجدلين حتى قربنا من سمنان
 وقد قتل ليلى بن نوحان فاصبتنا بها حمويه كوسا صاحب جيش حرابان ثم رحلتنا الى

نموذج من مخطوطة ابن فضلان الوحيدة بمشهد (طوس) الورقة ١٩٧ وهي في أولها
 (انظر ص ٦٧ من طبعتنا هذه وما بعدها — صورناها عن موسكو)

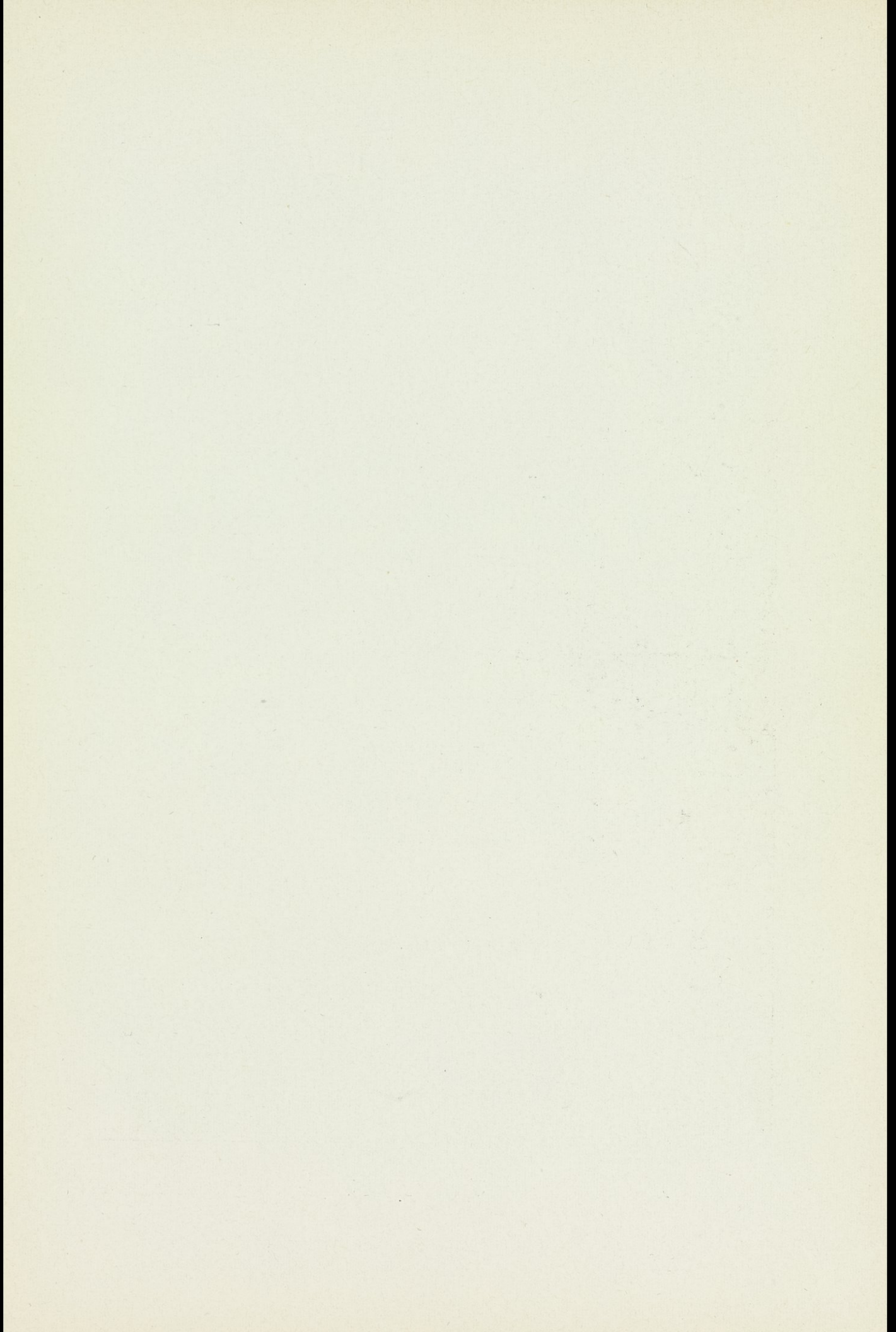


ما ذهبوا الى
 التي تبت
 للثة
 ثم يدخلون
 عليه وشربته فقالوا للرجلان انما تودع صواحيبها بذلك ثم دفع اليها قودح آخر فاحترق
 هطوات الغنا والجور تسحبها على شربة والادخول الى القبة التي فيها مولاها فاستأوا وقد
 بلذت وارادت دخول القبة فادخلت بيننا وبين السفينة فاخذت العجوز
 راسها وادخلت القبة ودخلت معها واخذت الرجال يضربون الخشب على التراس لان
 لا يسمع صوت صياحها فيخرج بها من البرية ولا يطلبين الموت مع موالهن
 ثم دخلت الى القبة ستدرجال مسر باثرهم الجارية ثم اصبحوها الى جانب مولاها
 واتسك اثنتان رجليها واثنتان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في غمها فجلا
 الا اثنتين لجذبانها واقبلت ومعها جهم عريض الفصل فاحترق
 والرجلان خفقانها بالجبل حتى ملقت ثم وافى اذ
 تة واشعلها بالنار ثم مشى القهقري قناه الى السفينة وجهه
 من حربة المشعلتة في يده واحدة ويد الاخرى على باب اسنة وهو عريان
 في احرق الخشب المعيا الذي تحت السفينة ثم وافى الناس بالخشب والطيب ومع
 واحد خشية نداءه راسها فيلقها في ذلك الخشب وياخذ النار في الخشب
 راجيا والاراة جهمه ما فيها
 صطم تسبها و



بكم الايمان انذرى في مالت ... به فقال انه يقول انتم يا سائر العرب حتم
 لك قال انتم تعدون الى احب الناس اليكم والارحم بهم ...
 ازاب وتاكله التواب الهيام والدود وحزن خرقه برأى على وجهه في وقت
 وساعته فسالت عن ذلك فقال من عجز به له قد بعث الروح ... في ساعه فاجبت
 شئ الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة واليطلب والجارية والمولى رملان ثم رعدوا
 ثم بنوا على موضع السفينة قد اخرجوها من النهر شبيها بالمثل المدور ويصوبون
 وسطها في نسبة كهيئة خزانك وكتبوا اسم الرجل واسم تلك الدوس وانصرفوا
 قاله وسئل ما ائنا الروس ان يكون معه في قس اربع مائة رجل من صناديد اصحاب اهل
 القبة عنده منهم موقت بموته وقتلوا في وقت واحد منهم جارية تخدمه وتغسل
 راسه وتضع له ما ياكل او يشرب وجارية اخرى يطهاها الاربع مائة اسوة بتمت
 سرور في سريرة عظيم مرصع بنفيس الجواهر وجلس معه على السرور اربعين اربعة
 ورها وطال الواحد منهم بخض اصحابه الذين ذكرنا ولا يتزل عن ... بان اراد
 حيا ... اما في بطشت واذا اراد الركوب قدم دابته الى السرور ... اذا
 النزول قدم دابته حتى تنال دابته وله خليفة يسوس الجيوش وير
 في رعيته ن فاما ملك الخزر واسم خاقان فانه لا يظهر الا في كل اربعين سنة
 ويقال له خاقان الكبير ويقال لخليفته خاقان به وهو الذي يقود الجيوش ويسو
 ويلتزم امر الملكة ويقوم بها ويظهر ويفوز اوله يدعى الملك ابن صافونه و
 ...
 ...
 ...

نموذج ثالث من المخطوطة الوحيدة ، الورقة ٢١٢ ظ وهي آخر صفحة فيها (انظر ص ١٦٤ - ١٦٩ من طبعتنا هذه)



رحلة ابن خلدون

بأخذ دارنا وأقام لنا رجلاً يقضي حوائجنا ويربح علينا في كل ما يريد فأقمنا أياماً ثم استأذن لنا علي بن نصر بن أحمد فدخلتنا إليه وهو غلام أسود فسلمنا عليه بالأمرة وأمرنا بالجلوس. فكان أول ما بدأنا به أن قال: كيف خلقت مولاي أمير المؤمنين إمام الله بقاءه وسلامته في نفسه وقبائه وأولياؤه؟ قلنا: وبخبره. قال: وهاده الله خيراً. ثم قرئ الكتاب عليه تسليماً أوتضئتين من الفلفل بن موسى التمسلي وكيل ابن الترات وتسلمها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي وأعادنا والكتاب إلى صاحبه بخوارزم بترك العرض لنا والكتاب يباب الترك يبدقتنا وترك المرض لنا. فقال: وأين أحمد بن موسى؟ قلنا: دخلنا بمدينة السلم ليخرج خلفنا خمسة أيام، فقال: وسعياً وباعة لا أمر به مولاي أمير المؤمنين 10 إمام الله بقاءه.

٥. قال: وأعمل الخبر بالفلفل بن موسى التمسلي وكيل ابن الترات فأصل الحيلة في أمر أحمد بن موسى وكسبه إلى عمال المان بطريق خراسان من جند سرخس إلى يكنداز: أذكوا السيوف على أحمد بن موسى الخوارزمي في الحانات والمراصد. ودر رجل من سقته ونسبه فمن ظن به 10 فاستغله إلى أن يوعليه كتاباً ويسمعه فآخذ سرواقتل وأقمنا نحن ببغداد ثمانية وعشرين يوماً وقد كان الفلفل بن موسى أيضاً وأمام عبد الله بن باشترا وخبره من اسمعابنا يقولون: إن إقامتنا بهم الفناء وما بنا الدخول وأحمد بن موسى إننا رأينا لحق بنا.

٦. قال: ورأيت المراهم ببغداد الرأيا تشق منعا فترامم يقال لها 30 الفارسية وهي نعلان وشبهه وطرف يوخذ منها عند بلا وزن مائة منها بدهم غصنة وأما سرطهم في سجد سايرهم تزوج فلان بن فلان

٥. M: أوتضئتين (b) بزك (c) لهه «لأن أذكوه أو «لأن أذكوه»
٦. M: طبعته (c) وألقته (d) وألقنا

رحلة ابن خلدون

١. بخوارزم من صياح ابن الترات. «وكان الرسول إلى القنطرة من صاحب المقابلة رجل يقال له عبد الله بن باشترا الخزري و«الرسول من جهة السلطان موسى بن الرسي مولاي بندر العمري» وكين الترك وراوس المغلاني وأنا معهم على ما ذكرت. فسلمت إليه الهدايا له ولأقرانه ٥ ولأولاده وأخوته وفزاده وأدوية كان كسب إلى بندر يطيلها.

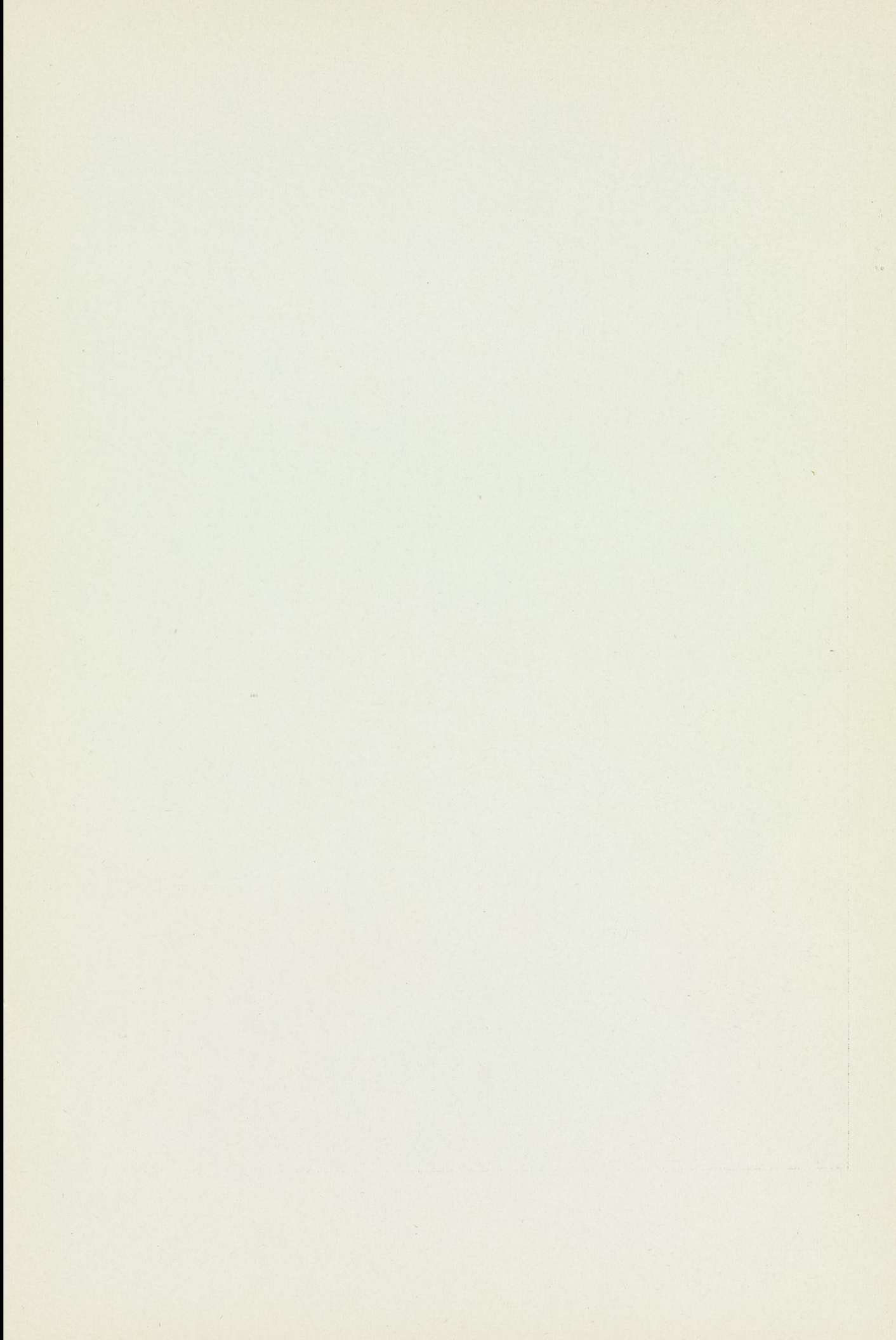
٢. فرحلنا من مدينة السلم يوم الخميس لأحدى عشرة ليلة دخلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة. فأقمنا بالتهوران يوماً واحداً ورحلنا مجددين حتى رأينا المنكرة فأقمنا بها ثلاثة أيام. ثم رحلنا قاصدين لا تباري على شيء حتى صرنا إلى حلوان فأقمنا بها يومين. وصرنا منها 10 إلى قويمين فأقمنا بها يومين. ثم رحلنا فسرا حتى وصلنا إلى همدان فأقمنا بها ثلاثة أيام. ثم سراً حتى قدمنا ساو فأقمنا بها يومين ومنها إلى الري فأقمنا بها أحد عشر يوماً تنتظر أحمد بن علي أخا صديقك لا كان بخوارزمي. ثم رحلنا إلى بخوارزمي فأقمنا بها ثلثة أيام.

٣. ثم رحلنا إلى سمنان ثم منها إلى الناصقان وسافدنا بها إلى 15 قازان من قبل الدامي فتكروا في القافلة وصرنا مجددين حتى قدمنا نيسابور وقد قتل ليلي بن نمان فأصبنا بها حموية كوما صاحب جيش خراسان. ثم رحلنا إلى (197٦) سرخس ثم منها إلى مرو ثم منها إلى قشمان وهي على طرف مغارة آمل فأقمنا بها ثلثة أيام نزع الجمال لدخول المغارة.

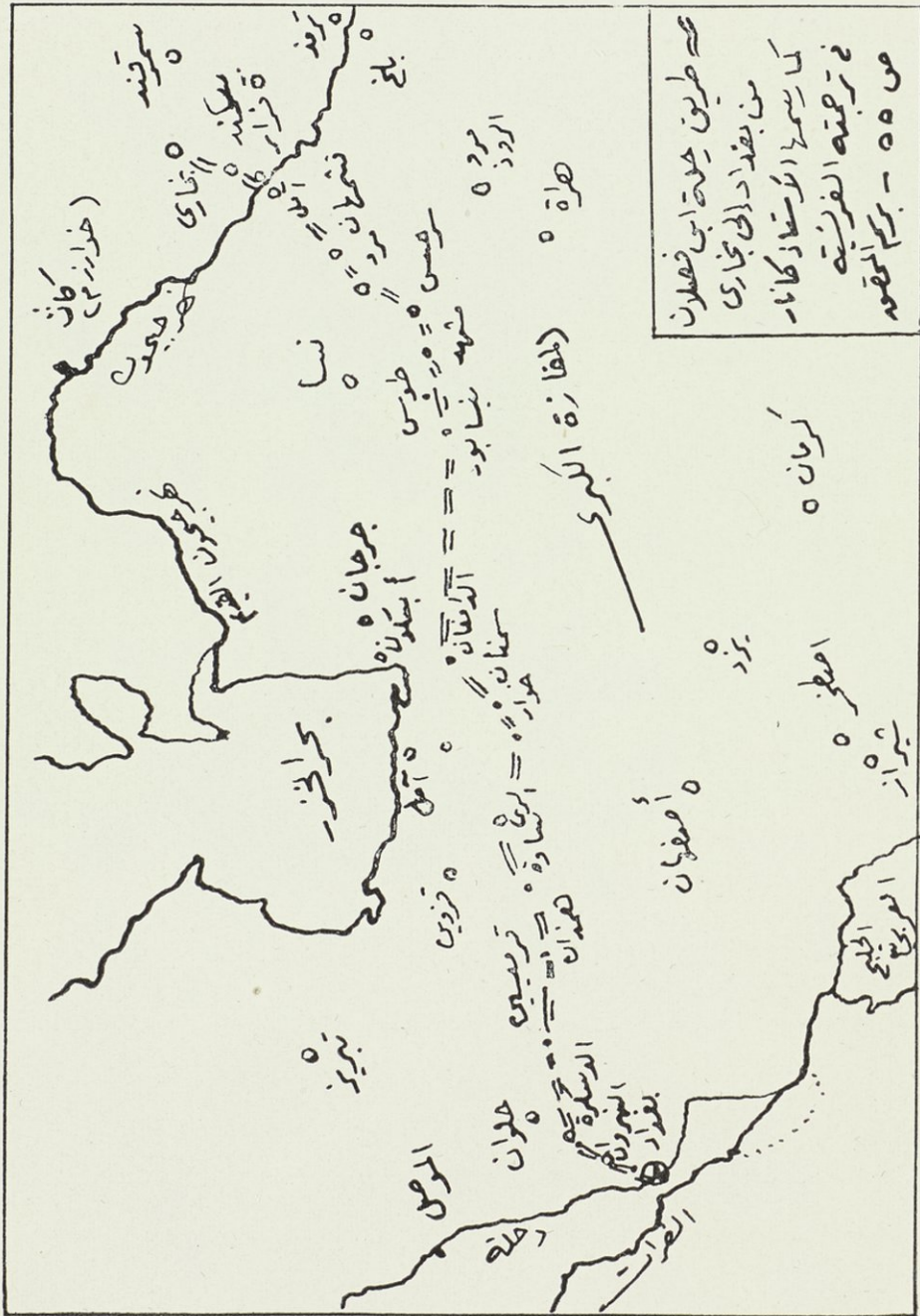
٤. ثم قطعنا المغارة إلى آمل ثم عبرنا جيمون وصرنا إلى آقبر ٥ رباط طاهر بن علي ثم رحلنا إلى يكند. ثم دخلنا بخارا وصرنا إلى الجبهالي وهو كاتب أمير خراسان وهو يدعى بخراسان الشيخ المميد فتقدم

٥. M: عبر الحرير (b) نيسابور (c) لا أحد
٦. M: لا يكون على شيء (c) ناصر في الأمل (d) ترج (e) آميرين

تمت من طبعة أ. زكي وليد طوغان لرحلة ابن فضلان ، سنة ١٩٣٩ في المجلة الألمانية وهي وحدها التي صدرت بالحروف العربية - (انظر ص ٦٨ - ٧٩ من طبعتنا صورناها عن باريس)

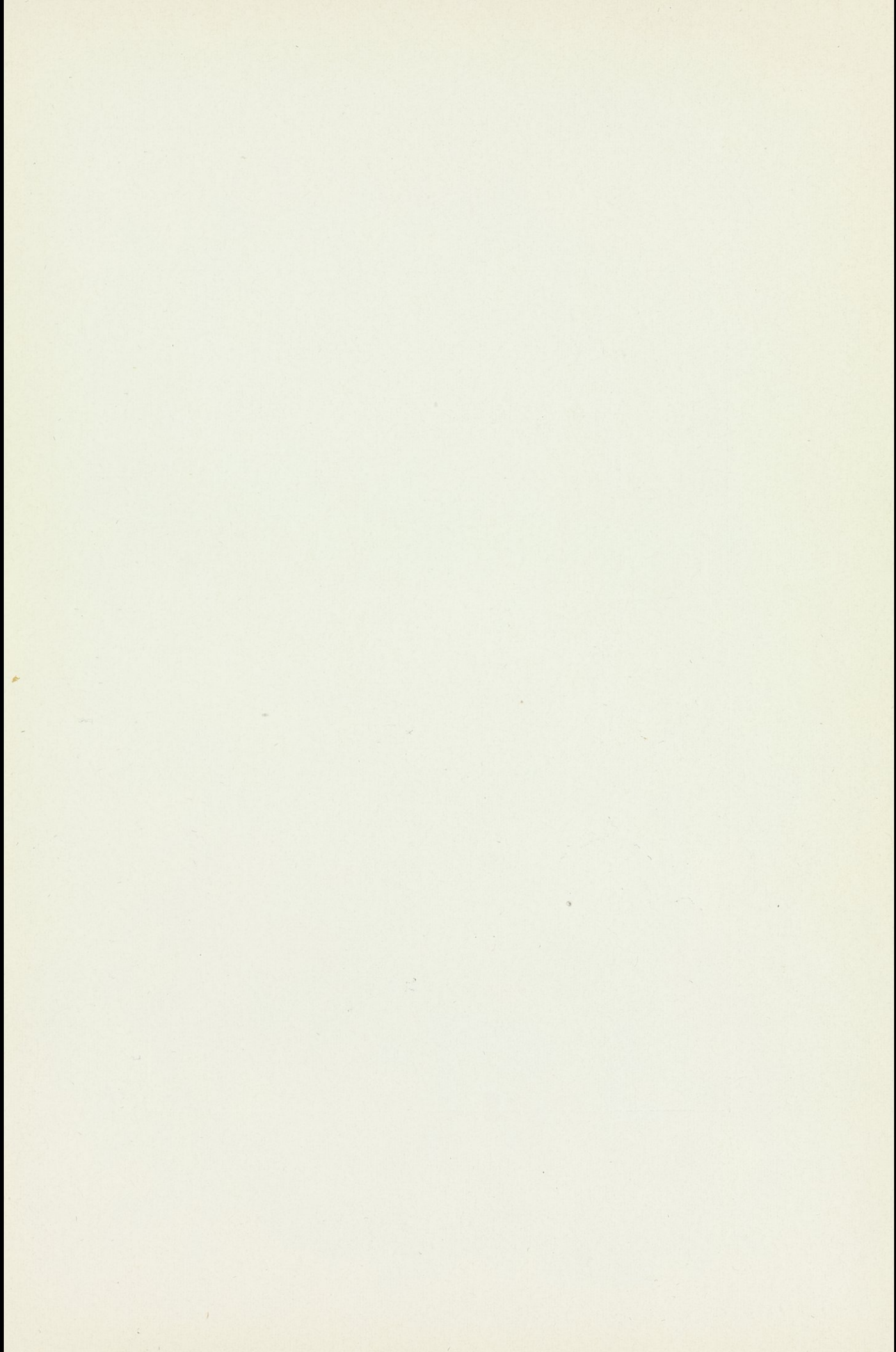


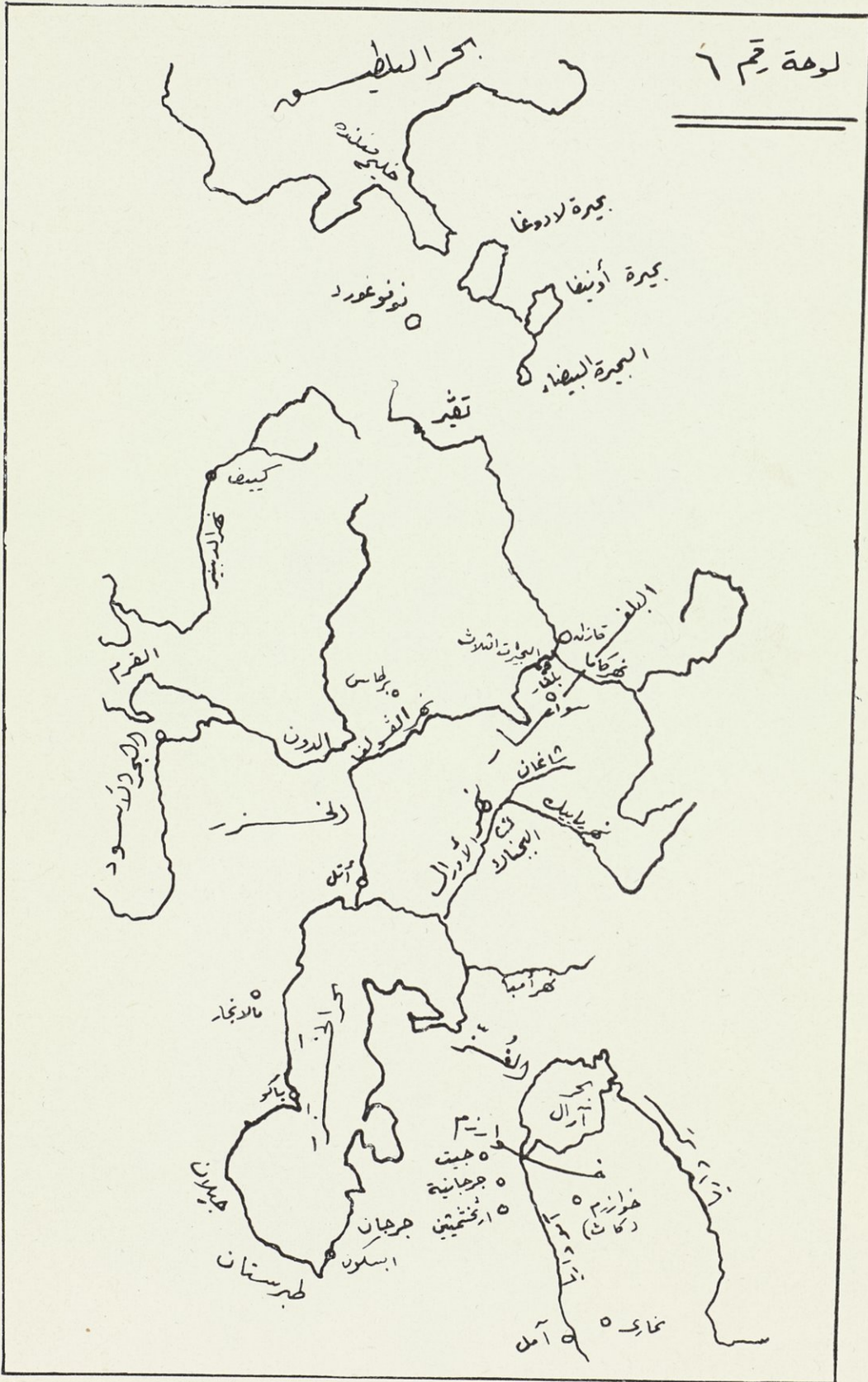
لوحة رقم ٥



خطوط الشبكة - القسم الأول

في طريق جولة ابي ضحلان
 من بغداد الى نجارى
 كما يسمى الولاية كنانا -
 في ترجمته الفريسيه
 ص ٥٥ - بحكم المقدمه





القسم الثاني - مخطط الأماكن التي وردت في حجة ابن خضلان، كما سير الأستاد كما في الترجمة

= من بخارى إلى بلخار =



هَذَا كِتَابُ

أَحْمَدَ بْنَ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ إِشْدَانَ بْنِ حَمَّادٍ

مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ رَسُولِ الْمُقْتَدِرِ الْمَلِكِ الصَّقَالِبَةِ

[١٩٦ ظ]

يَذَكُرُ فِيهِ مَا سَاهَدَ فِي بِلَدِ التُّرْكِ ، وَ الْخَزَرِ ، وَ الرُّوسِ ،

وَ الصَّقَالِبَةِ ، وَ الْبَاغُفَرِ ، وَ غَيْرِهِمْ ؛ مِنْ اخْتِلَافِ

مَذَاهِبِهِمْ || وَأَخْبَارِ مَلُوكِهِمْ وَأَهْوَالِهِمْ

فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ

[١٩٧ و]

مكتبة
دار الكتب والعلوم
بمصر

[١٦٤]

مكتبة
دار الكتب والعلوم
بمصر

[١٦٥]

[فاتحة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

قال أحمد بن فضل بن

لَمَّا وَصَلَ كِتَابَ^(١) أَلْمَشِ^(٢) بِنِ يَلْطَوَارِ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(٣) إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرِ^(٤) ، يُسَأَلُهُ فِيهِ الْبَعْثَةَ^(٥) إِلَيْهِ مِمَّنْ يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ^(٥) ، وَيَعْرِفُهُ

(١) لم يقع الغربيون على كتاب ملك الصقالبة ، ولم يعرفوا فحواه ، والتواريخ العربية لم تشر إليه بشيء ، ولو وصل إلينا لكان وثيقة هامة في السياسة لذلك الزمان .

(٢) في الأصل بالخطوطة هنا : « الحسن بن بطوار » - وفي الورقة ٢٠٢ ظ بعد قليل : « المش بن شلكي صهر الأتراك » - وفي يا قوت ١ / ٧٢٣ : « كتاب المس بن شلكي يلطوار » - وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحف على الزمان ، فرأى بعضهم أنه المش بن يلطوار ، ورأى آخرون أن يلطوار ربما كانت فلاديمير أي أمير فولاذ ، وللتفصيل انظر مادة « بلغار » في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، وقد اخترنا رواية الخطوطة في الموقع الثاني فجعلنا الاسم « المش ابن يلطوار » .

(٣) الصقالبة أو الصقلبية ، هم السلاف أو السكلاف ، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق ، وأرضهم فيما يرى الاصطخري (ص ٩ طبة ليدن ١٩٢٧) عريضة طويلة نحواً من شهرين في مثلها ، وبلغار الخارجة هي مدينة صغيرة ليس فيها أعمال كثيرة ، واشتهارها لأنها فرضة لهذه الممالك . والروس يقوم بناحية بلغار ، فيما بينها وبين الصقالبة . وأما الغربيون فلم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، ولكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة انفسهم .

(٤) المقtedir بالله هو أبو الفضل جعفر ابن المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وقل سنة ٣٢٠ هـ - انظر مصادر التاريخ عنه ، والفخري طبة أوربة ، ص ٣٠٥ وما يليها ، وقال المسعودي إن الجبشباري ألف في المقtedir كتاباً نحو ألف ورقة .

(٥) يرى بعض المؤرخين أن الصقالبة دخلوا الاسلام قبل هذا ، ولكن شيخ الربوة ، في نخبة الدهر ط . لبيتسك ١٩٢٣ ص ٢٦٣ ، يوافق ما جاء في رواية ابن فضلان فيقول : « وأما البلغار فنسوبون إلى الصقيع ، وهم مسلمون أسلموا أيام المقtedir ، وبعث ملكهم إلى المقtedir يطلب فقيهاً يعرفه قواعد الاسلام -

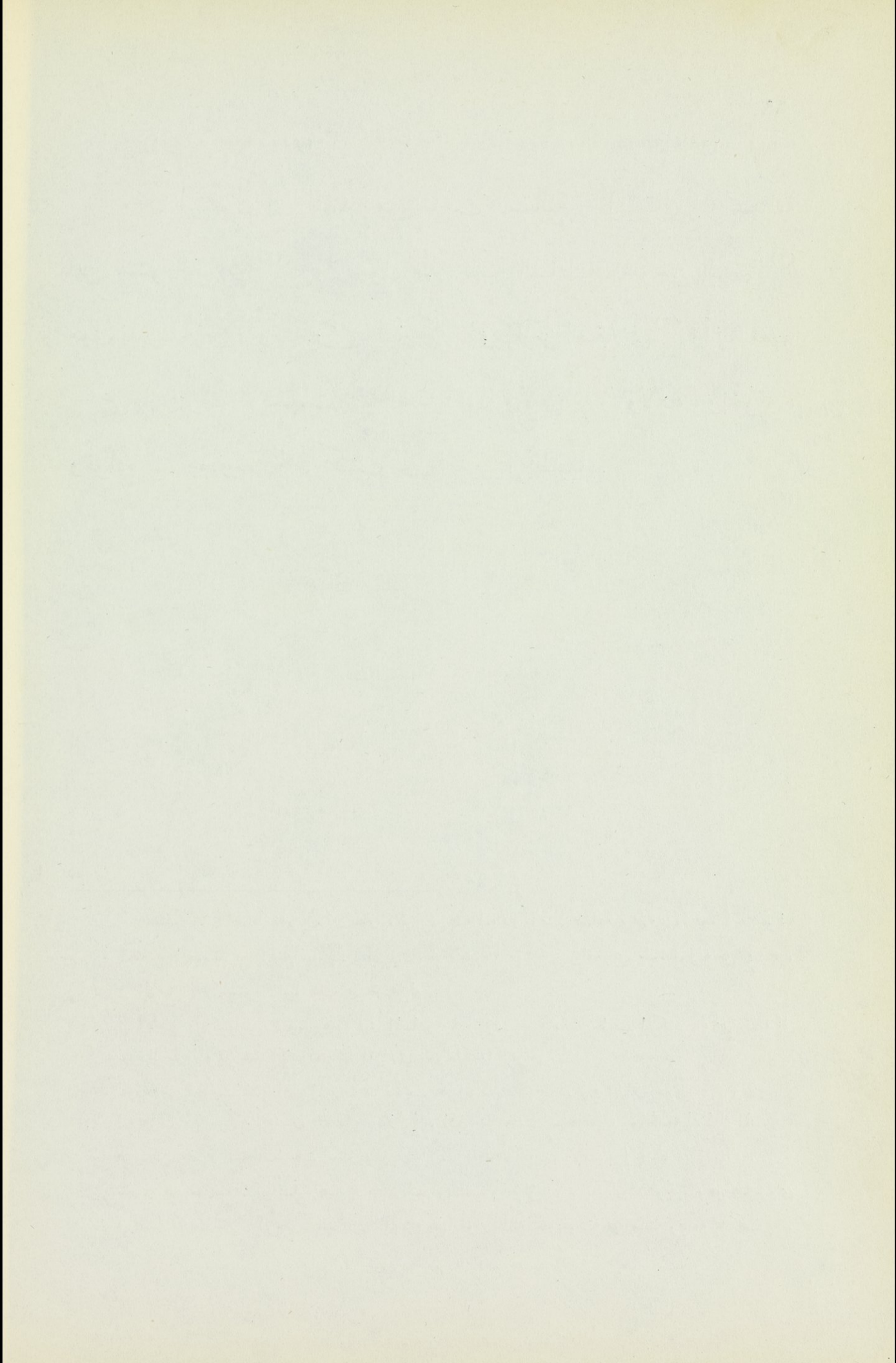
شرائع الإسلام ، ويبنى له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته^(١) ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب^(٢) إلى ما سأل من ذلك .

وكان السفير له^(٣) نذير الحرمي^(٤) فندبتُ أنا^(٥) لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلمين^(٦) . وسبب له بالمال المحمول إليه ، لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلمين ، على الضيعة المعروفة « بأرثخشمين »^(٧) من أرض « خوارزم »^(٨) من ضياع ابن الفرات^(٩) .

- فأجابه إلى ذلك . ثم وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج ... — وياقوت ١ / ٧٢٣ يذكر إسلامهم في عهد المقتدر ويقول إنه لم يقف على السبب في إسلامهم .
- (١) في ياقوت ١ / ٧٢٣ : « في جميع بلده وأقطار مملكته » .
- (٢) في الأصل المخطوط : « أجيب إلى » بغير فاء العطف ، وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « فأجيب إلى ذلك » ولهذا أضفنا الفاء .
- (٣) في الأصل : « وكان السفير فيه » — وفي ياقوت ، بالصفحة المذكورة : « وكان السفير له » فأخذنا برواية ياقوت .
- (٤) في ياقوت : « نذير الحرمي » بالراء المعجمة ، وفي ابن تفردي بردي ط . أوربة ٢ / ١٨٤ : « نذير الحرمي » بالراء المهملة — انظر ابن جرير الطبري طبعة مصر ١٢ / ٣٠ . وقد جاءت في بعض المصادر الحرمي بالحاء المعجمة .
- (٥) في الأصل : « فندبت أنا » ولا معنى لها : فلعلها : « فندبت أنا » — وفي ياقوت : « فبدأت أنا بقراءة » ولكنها لا تفي بما يريد الكاتب ، والمستشرقون يقترحون صوراً كثيرة ، لانرى اثباتها هنا .
- (٦) يضيف ياقوت هنا ١ / ٦٨١ : « ليفيض عليهم الخلع ويعلمهم الشرائع الاسلامية » وهي من عند ياقوت بغير شك .
- (٧) في الأصل : « بأرثخشمين » وهي مصحفة — وصوابها كما في ياقوت ١ / ١٩١ : « أرثخشمين : بالفتح ثم السكون وثناء مفتوحة ، وحاء معجمة مضمومة وشين ساكنة معجمة وميم مكسورة وثناء مفتوحة ونون : — مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ، في قدر نصيبين ، وهي من أعمال خوارزم من أعاليها ، بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة أيام ، فيها برد شديد » ولعلها أصبحت مدينة في عهد ياقوت ، بعد ثلاثة قرون ، وقد زارها بنفسه ، ويرى المستشرق فراي أنها : « Artahusmitan » .
- (٨) انظر في خوارزم معجم ياقوت ٢ / ٤٨١ ، وخواار معناها اللحم ورزم معناها الخبز .
- (٩) ابن الفرات هو أبو الحسن علي بن الفرات ، من أجل الناس وأعظمهم كرمًا لزمانه ، كان وزيراً —

وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبد الله
ابن باشتو الخزري^(١). والرسول من جهة السلطان سوسن الرّسي^(٢)
مولى نذير الحرمي، وتكين التركي، وبارس الصقلابي^(٣) وأنا معهم
— على ما ذكرتُ — فسلمتُ إليه الهدايا، له ولامرأته ولأولاده، وإخوته،
وقوّاده^(٤)، وأدويةً كان كتب إلى « نذير » يطلبها .

-
- للمقتدر خلال الفتنة بينه وبين ابن المعتز، ثم قبض عليه المقتدر، وصادرضياعه، وهذه بينها، فجعلها هنا جارية
للبعثة - انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري، طبعة مصر ١٢/٥٦، والفخري طبعة أوربة ص ٣١٤ .
- (١) في الأصل : « باشتوا » ولم نقف على ترجمة له .
- (٢) في الأصل : « سوسن الروسي » - وفي المصادر : « الرسي » ، ولعله حاجب المكتفى ، سمي نسبة إلى
نهر الرس ، وهو عند الإدريسي نهر اتل أي الفولغا عند الروس .
- (٣) هو بارس الحاجب غلام اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ، جاء ذكره في ابن حوقل ٢ / ٤٧١ قال
إنه هرب من مولاة أحمد بن اسماعيل ، فنزل العراق بمدة هالت السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ،
فلم يكن بحضرة السلطان جيش مثله يوازيه - انظر كذلك تجارب الأمم ٥ / ٤ .
- (٤) سنرى فيما بعد أنه ذكر تسليم الهدايا من الطيب والثياب والأولاد ، ولم يذكر الأدوية . وهو هنا يروى
في البدء ما فعله خلال الرحلة ، فقد كتب تقريره هذا أو رسالته بعد عودته من مهمته وقيامه بما كاف به .



[العجم والأتراك]

فرحلنا من « مدينة السلام » يوم الخميس لحدى عشرة ليلة [في فارس] خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة^(١). فأقمنا « بالنهروان »^(٢) يوماً واحداً ورحلنا مُجَدِّين حتى وافينا « الدَّسْكَرَةَ »^(٣) فأقمنا بها ثلاثة أيَّام . ثم رحلنا قاصدين لا نلوي^(٤) على شيءٍ حتى صرنا إلى « حلوان »^(٥) فأقمنا بها يومين .

وَسِرْنَا منها إلى « قَرْمِيسِينَ »^(٦) فأقمنا بها يومين . ثم رحلنا فسرنا حتى وصلنا إلى « هَمْدَانَ »^(٧) فأقمنا بها ثلاثة أيَّام .

- (١) ذكرنا في المقدمة أن هذا التاريخ يوافق ٢١ حزيران (يونية) ٩٢١ .
 (٢) النهروان : أكثر مايجري على الألسنة في ضبطها بكسر النون ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، كما في ياقوت ٤ / ٨٤٦ .
 (٣) الدسكرة ، في ياقوت ٢ / ٥٧٥ ، قرية كبيرة بناوحي نهر الملك من غربي بغداد .
 (٤) في مخطوطتنا : « لانكون على شيء » ولعل صوابها : « لا نلوي على شيء » وقد كرر هذا التعبير فيما بعد مرة أخرى .
 (٥) حلوان : (بالضم ثم السكون) - حلوان العراق ، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، كما في ياقوت ٢ / ٣١٧ .
 (٦) قَرْمِيسِينَ : (بالفتح ثم السكون) - تعريب كرمان شاه ، بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون فرسخاً ، قرب الدينور ، وهي بين همدان وحلوان ، على طريق الحاج ، نزهة عذبة المساء ، كما في ياقوت ٤ / ٦٩ ، فابن فضلان كان يسلك طريق الحاج .
 (٧) همدان : مدينة بالجبل . وصفها ياقوت ٤ / ٩٨١ ، وتحدث عن بردها الشديد في حكايات طويلة .

ثم سرنا حتى قدمنا « ساوة »^(١) فأقمنا بها يومين ؛ ومنها إلى « الري »^(٢) ، فأقمنا بها أحد عشر يوماً ، ننتظر أحمد بن عليّ أخا صعلوك^(٣) لأنه كان « بخوار الري »^(٤) .

ثم رحلنا إلى « خوار الري » فأقمنا بها ثلاثة أيام . ثم رحلنا إلى « سمنان »^(٥) . ثم منها إلى « الدامغان »^(٦) ، وصادفنا بها « ابن قارن »^(٧) من قبل « الداعي »^(٨) ، فتنكرنا في القافلة ، وسرنا مُجِدِّينَ حتى

-
- (١) ساوة : ذكرها ياقوت ٣ / ٢٤ ، وقال انها مدينة حسنة بين الري وهمدان ، في وسط ؛ بينها وبين كل واحده من همدان والري ثلاثون فرسخاً .
- (٢) الري : ذكرها ياقوت ٢ / ٨٩٢ ، وقال انها قصبه بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً ، وهي من اعلام المدن ، محطّ الحاج على طريق السابله ، قرب « طهران » الحالية .
- (٣) جاء في التواريخ أنه أحمد بن علي صعلوك ، قلد أعمال المعاون بأصبهان وقم ، وكان يلي الري ، انظر تجارب الامم ٥ / ٥٠ وصلة عريب ٢٧ ، وابن جرير الطبري ١٢ / ٢٧ .
- (٤) خوار : بضم أوله - ذكرها ياقوت ٢ / ٤٧٩ ، وقال انها مدينة كبيرة من أعمال الري ، بينها وبين سمنان للقاصد إلى خراسان ، بينها وبين الري نحو عشرين فرسخاً .
- (٥) سمنان : بكسر السين عند أهل الحديث ، ذكرها ياقوت ٣ / ١٤١ ، وقال انها بلدة بين الري ودامغان وبعضهم يجعلها من قومس ، كثيرة الأشجار والأنهار والبساتين .
- (٦) دامغان : بفتح الميم والغين ، ذكرها ياقوت ٢ / ٥٣٩ ، وقال انها بلد كبير بين الري وقومس ، كثيرة الفواكه - انظر كذلك ابن حوقل ٢ / ٣٨٠ .
- (٧) في الأصل : « ابن قارق » بالثقاف في آخره ، وقد ذكر المؤرخون أحد أجداده وهو المازيار بن قارن ، وهو هنا العباس بن قارن - انظر ياقوت ٣ / ٢٨٣ ، والطبري ٣ / ١٥٧٥ طبعة أوربة .
- (٨) هو الحسن بن القاسم الحسني الداعي ، ذكرته المصادر لأهميته ، ومنها مروج الذهب ، طبعة باريس ٦ / ٩ ، وابن الأثير ط المنيرية ٦ / ١٤٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتجارب الأمم ٥ / ٣٦ ، وزامباور ، بالترجمة العربية ٢ / ٢٩٣ .

قَدِمْنَا « نيسابور »^(١) ، وقد قُتِلَ « لَيْلَىٰ بنُ نُعْمَانَ »^(٢) فأَصَبْنَا بِهَا
« حَمَوِيَّةَ كَوْسَا »^(٣) صاحبَ جيشِ خراسان .

ثم رحلنا إلى || « سرخس »^(٤) ثم منها إلى « مرو »^(٥) ثم منها إلى [١٩٧ظ]
« قشمهان »^(٦) وهي طرفُ مَفَاذَةِ « آمَل »^(٧) فأقمنا بها ثلاثة أَيَّامَ ،
نُريحُ الجَمَالَ لدخولِ المَفَاذَةِ .

(١) نيسابور: بفتح النون ، مشهورة ، ذكرها ياقوت ٤ / ٨٥٧ ، وقال انها مدينة عظيمة ، بينها وبين الري ١٦٠ فرسخاً .

(٢) 'قتل ليلي بن النعمان قبل قليل ، فقد جاء في تجارب الأمم ٥ / ٧٦ ، لحوادث سنة ٣٠٩ هـ : « وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن النعمان الديلمي الذي خرج بطبرستان » ، وقد كان ليلي أحد قواد أولاد الأطروش العلوي ، وكانت إليه ولاية جرجان ، استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعي سنة ٣٠٨ هـ ، كما في ابن الأثير ٦ / ١٦٧ ط المنيرية .

(٣) حمويه بن علي ، ذكرته التواريخ في أكثر من مكان ، وقد حكم سمرقند سنة ٣٠١ هـ ، كما في ابن الأثير ٦ / ١٤٥ ، وفي المقدسي ط أوربة ص ٣٣٧ ، أنه كان صاحب جيش نصر بن أحمد بن إسماعيل وفي ابن الأثير بعد ذلك ٦ / ١٤٩ : « فتوجه إليها من بخارى حمويه بن علي في عسكر ضخم لمحاربتها » .

(٤) سَرَّخَس : بفتح أوله وسكون ثابته وفتح الحاء ، ويقال بالتحريك - ذكرها ياقوت ٣ / ٧١ ، فقال انها مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة بين نيسابور ومرو ، في وسط الطريق ، بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل .

(٥) مرو : مشهورة ، ذكرها ياقوت ٤ / ٥٠٧ وقال انها أشهر مدن خراسان ، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً ، ومنها إلى سرخس ثلاثون .

(٦) قشمهان : لم ننع عليها في ياقوت بهذا الضبط ، ولعلها : « كشميين » كما ضبطها أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٤٤٦ فقال : « ومن بلاد خراسان كشميين ، قال المهلب وهي قرية من أعمال مرو الشاهجان على خمسة فراسخ منها على طرف المفاضة » وضبطها ياقوت ٤ / ٢٧٨ فقال : « بالضم ثم السكون وفتح الميم وباء ساكنة وهاء مفتوحة ونون » كشميين ، قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل » فالفرق بينها هو الياء بعد الهاء .

(٧) آمل : بضم الميم والسلام - ذكرها ياقوت ١ / ٦٩ فقال إنها مشهورة ، في غربي جيحون على طريق القاصد إلى بخارى من مرو ، بينها وبين شاطيء جيحون نحو ميل . ويقال لها آمل المفاضة ، لأن بينها وبين مرو رمالاً صعبة المسلك ، ومفاضة أشبه بالملك » - انظر ابن حوقل ٢ / ٣٨١ حيث يقول إن آمل أكبر مدن طبرستان ، وهي مستقر ولايتها ، وهي أكبر من قزوين .

ثم قطعنا المفازة إلى آمل ، ثم عبرنا « جيحون » وصرنا إلى آفرير^(١)
رباط طاهر بن علي .

٣

[في بخارى]

ثم رحلنا إلى « بيكند »^(٢). ثم دخلنا « بخارا »^(٣) ، وصرنا إلى الجيهاني^(٤)
وهو كاتب أمير خراسان ، وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد ، فتقدم
بأخذ دار لنا ، وأقام لنا رجلاً يقضي حوائجنا ويزيح عللنا^(٥) في كل
ما نريد ، فأقمنا أياماً .

(١) في الأصل : « آفرين » هكذا ، ولم نقع عليها بهذا الاسم ، ولعلها « آفرير » تقع على مقربة من نهر
جيحون بعد آمل ، كما في كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف استرنج ، في الخريطة مقابل صفحة ٤٧٦
من الترجمة العربية . وقد حار المستشرقون قبلنا في ضبطها وفي مكانها ، فاقترح المستشرق « فراي » أن
تكون « آفريبار » ، ورأى غيره أن تكون « آفروندين » - وفي ابن حوقل ٢ / ٣٨٤ : من
الري إلى آفريدين مرحلة .

(٢) بيكند : بالكسر وفتح الكاف وسكون النون - ذكرها ياقوت ١ / ٧٩٧ وقال : إنها بلدة بين بخارا

وجيحون على مرحلة من بخارا ، كانت كبيرة ، وبها رباطات كثيرة نحو ألف ، خربت منذ زمان .

(٣) بخارا : من أعظم المدن ، ذكرها ياقوت ١ / ٥٧١ ، قال انه يُعبر إليها من آمل الشط ، بينها وبين

جيحون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية بينها وبين سمرقند سبعة أيام . وبينها وبين مرو ١٢ مرحلة .

وهي اليوم من أشهر المدن في أوزبكستان من الولايات السوفيتية .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، ذكره ابن العديم في كتابه بغية الطلب المخطوط ، ١ / ٢١ قال :

« هو وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ضاع ، وقام مكانه كتاب البلدان لابن

الفيقيه الهمذاني كما يقول ابن النديم سلخه من كتابه » - وذكره غيره ، فانظر في احسن التقاسيم

للمقدسي ٣٣٧ ، وفي ابن الأثير ط أوربة ٨ / ٢٨٣ ، وفي ياقوت ارشاد الأريب ٢ / ٥٩ ، وذكره

بروكلمن ١ / ٢٢٨ والذيل ١ / ٤٠٧ وقال انه أحمد بن محمد ، وزر في بخارى ٢٧٩ هـ - ٢٩٥ هـ ،

لنصر بن أحمد الساماني .

(٥) أزاح العلة : تقال خاصة في الجنود الذين يحتاجون الى أمر فتقضي حاجاتهم .

ثم أستاذن لنا على نصر بن أحمد^(١) فدخلنا إليه وهو غلام أمرد ،
فسلمنا عليه بالامرة ، وأمرنا بالجلوس . فكان أول ما بدأنا به أن
قال : « كَيْفَ خَلَفْتُمْ مَوْلَايَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ وَسَلَامَتِهِ
فِي نَفْسِهِ وَفِتْيَانِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ - » فقلنا : « بِخَيْرٍ » ، قال : « زَادَهُ اللَّهُ خَيْرًا » .

ثم قرئ الكتابُ عليه بِتَسْلِيمٍ^(٢) « أَرْتَحْشَمِينَ » من الفضل بن
مُوسَى النَصْرَانِيِّ وَكَيْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وتسليمها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي ،
وانفاذنا ، والكتاب إلى صاحبه بخوارزم بترك^(٣) العرض لنا ، والكتاب
بباب التُّرْكِ بيزرقتنا^(٤) وترك العرض لنا .

فقال : « وَأَيْنَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ؟ » فقلنا : « خَلَفْنَاهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِيُخْرِجَ
خَلْفَنَا لِحَمْسَةِ أَيَّامٍ » . فقال : « سَمِعًا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ بِهِ مَوْلَايَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ - » .

(١) نصر بن أحمد بن نصر الساماني ، أحد الملوك المشهورين في السامانية وهو صاحب خراسان - كان في

الثامنة من عمره حين قتل أبوه ، حكم من سنة ٣٠١ - ٣٣١ هـ .

(٢) في الأصل : « بتسليم » ولعلها كما رسمنا .

(٣) في الأصل : « يترك » - والعرض : كل شيء سوى الدراهم والدنانير من الماع .

(٤) بذرقة : اتخاذ الدليل أو الخراس ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ، ٦٠/١ ، وهنا يعني أن تحرس

البعثة بجنود يحمونها وهي « Escorte » بالفرنجية ، وفي شرح القاموس أن بذرقة تكون بالذال
المعجمة والمهمله معاً ، وأنها مركبة من بد ، وراه والمعنى الطريق الرديء ، فارسية معربة .

قال :

وَأَتَصَلَ الْخَبِيرُ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى النَّصْرَانِيِّ وَكَيْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ ،
فَأَعْمَلَ الْحَيْلَةَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِ الْمُعَاوِنِ ^(١)
بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ مِنْ جُنْدِ سَرْخَسِ إِلَى بِيكَنْدِ : « أَنْ أَذْكَوَا الْعِيُونَ عَلَى
أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْخَانَاتِ وَالْمَرَاصِدِ ^(٢) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ صِفَتِهِ
وَنَعْتِهِ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيَعْتِقْهُ ^(٣) إِلَى أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا بِالْمَسْئَلَةِ » .
فَأَخَذَ بَمَرِّهِ وَأَعْتَقِلَ .

وَأَقْمَنَا نَحْنُ بِيخَارًا ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى
أَيْضًا وَاطِّاءً عَبْدَ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَغَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُونَ : « إِنَّ
أَقْمَنَا هَجَمَ الشِّتَاءُ وَفَاتِنَا الدُّخُولُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى إِذَا وَافَانَا ^(٤)
لَحِقَ بِنَا » .

(١) عامل المعاون ، أو صاحب المعاون أو عامل المعاونة ، وهو قائد الشرطة أو الأمن ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ١٩٢ .

(٢) المرصد : مركز جنود الجمارك والحراس للحدود على الدروب والأمن ، كما في معجم دوزي ١ / ٣٣٥
والراصد هو الجندي المكلف بحراسة الحدود وأمن الطرق وسؤال المسافرين - وأذكى على الرجل
العيون : أرسل عليه الطلائع .

(٣) في الأصل : « فليعتقه » - ولعلها « فليعتقله » بتقديم القاف على اللام ، كما يرد بعد كلمات ، حيث
يقول : « واعتقل » .

(٤) في الأصل : « وافلنا » وهي خطأ من الناسخ ، وصوابها « وافانا » .

قال :

ورأيتُ الدراهم ببخارا^(١) ألواناً شتى . منها دراهمُ يقالُ لها
الغطريفية^(٢) : وهي نحاسٌ وشبهه^(٣) وصفر ، يُوخذ منها عدد بلا وزن ،
مائةٌ منها || بدرهمِ فضّة . وإذا شروطهم في مهور نسائهم : تزوّجَ [١٩٨ و]
فُلانُ ابْنُ فُلانٍ فلانةً بنتَ فلانٍ على كذا وكذا ألف درهم غطريفية .
وكذلك أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم ، لا يذكرون غيرها من الدّراهم .
ولهم دراهمُ أُخر^(٤) صفرٌ وحده ؛ أربعون^(٥) منها بدانق . ولهم أيضاً دراهم
صفرٌ يقال لها السمرقندية ستة منها بدانق .

* * *

(١) تحدث ياقوت عن الدراهم ببخارا كذلك فقال ١ / ٥١٩ : « وكانت معاملة أهل بخارا في أيام السامانية بالدراهم . ولا يتعاملون بالدنانير فيما بينهم . فكان الذهب كالسبع والعروض . وكان لهم دراهم يسمونها الغطريفية من حديد وصفر وأنك ، وغير ذلك من جواهر مختلفة ، وقد ركبت ، فلا تجوز هذه الدراهم إلا في بخارا ونواحيها وحدها » - انظر الحضارة الإسلامية لمتز ، بالمريية . ٢ / ٣١٧ ، والاصطخري ٣١٤ ، ٣٢٣ .

(٢) الدراهم الغطريفية أو الغطارفة ، وهي دراهم كانت معتبرة جداً في بخارا ، ضربها غطريف بن عطاء عامل خراسان لعهد الرشيد . والدرهم يساوي ستة دوانق ، والدانق يساوي اثني عشر قيراطاً - انظر تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٢١٦ ، والمصادر السابقة المذكورة .

(٣) الشبّهة : محرّكة ، النحاس الأصفر كالشبه بكسر الشين وسكون الباء ، والصفر مثلها .

(٤) في الأصل « دراهم أخذ » وهي مصحفة عن كلمة « دراهم آخر » واستعمل التعبير نفسه ياقوت ١ / ٥٠٩ في الكلام عن بخارا ولعل الجملة تستقيم حين يقول « من الصفر وحده » على شكل أجمل وفي طبعة وليدي : « وحدة أربعين » .

(٥) في الأصل : « أربعين منها » ولعلها خطأ من الناسخ .

٤

[خوارزم في]

فلما سمعتُ كلامَ عبد الله بن باشتو وكلامَ غيره يُحذِرُونِي^(١) مِنْ هَجُومِ الشِّتَاءِ ، رَحَلْنَا مِنْ « بَخَارَا » رَاجِعِينَ إِلَى النِّهَرِ ، فَتَكَارَيْنَا^(٢) سَفِينَةً إِلَى « خُوَارِزْمِ » ، وَالْمَسَافَةَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَكْتَرَيْنَا مِنْهُ السَّفِينَةَ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي فَرَسَخٍ ، فَكُنَّا نَسِيرُ بَعْضَ النَّهَارِ ، وَلَا يَسْتَوِي لَنَا سَيْرُهُ كُلُّهُ مِنَ الْبَرْدِ وَشِدَّتِهِ ، إِلَى أَنْ قَدَمْنَا « خُوَارِزْمَ » .

فَدَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِهَا « مُحَمَّدِ بْنِ عِرَاقِ خُوَارِزْمِ شَاهٍ^(٣) » فَأَكْرَمَنَا وَقَرَّبَنَا وَأَنْزَلَنَا دَارًا .

فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضرنا ، وناظرنا في الدخول إلى بلد التُّرْكِ ، وَقَالَ : « لَا آذَنُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا يَحِلُّ إِلَيَّ تَرَكُّكُمْ تُعَرِّزُونَ بِدِمَائِكُمْ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا حِيلَةٌ أَوْقَعَهَا هَذَا الْغَلَامُ ، - يَعْنِي تَكِينًا - لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَنَا حَدَادًا وَقَدْ وَقَفَ عَلَى بَيْعِ الْحَدِيدِ بِيَلَدِ

(١) في الأصل : « يحذرونني » .

(٢) اكترى الشيء اكترأ وتكراه تكرأياً : استأجره .

(٣) محمد بن عراق أمير خوارزم ، انظر في شأنه ، كتاب الانساب لزامباور ١٩٢٧ ، ص ٢٠٨ ، وتاريخ

خوارزم لسطاو ، والبيروني ص ٢٤١ .

الكفار^(١) ، وهو الذي غرَّ « نذيراً » وحمله على كلام أمير المؤمنين ، وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه . والأمير الأجل - يعني أمير خراسان - كان أحق بإقامة الدعوة لأمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً^(٢) . ومن بعد ، فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون ألف قبيلة من الكفار . وهذا تمويه على السلطان ، وقد نصحتكم . ولا بد من الكتاب ، إلى الأمير^(٣) الأجل حتى يراجع السلطان - أيده الله - في المكاتبة ، وتقيمون أنتم إلى وقت يعود أجواباً .

فانصرفنا عنه ذلك اليوم ، ثم عاودناه ، ولم نزل نرفق به ونُدأريه ، وتقول : « هذا أمر أمير المؤمنين وكتابه ، فما وجه المراجعة فيه ؟ » حتى أذن لنا ، فأنحدرنا من خوارزم^(٤) إلى « أجزانية » وبينها وبين « خوارزم » في الماء خمسون فرسخاً .

(١) وهذا برهان جديد على أن الأتراك كانوا يسمون الصقالبة كفاراً قبل أن يذهب اليهم ابن فضلان واصحابه .

(٢) المحيص : في الأصل ، المهرب ، يقال حاص عن الشر يحيص حيصاً ومحيصاً ، عدل وحاد عنه ، والمحيص :

المحيد ، وفي القرآن الكريم : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » .

(٣) في الأصل : « أمير الأجل » فأضفنا التعريف على الأمير تصويباً .

(٤) يقول ياقوت ٢ / ٤٨٠ ان خوارزم ليس اسماً للمدينة انما هو اسم للناحية بجملتها ، فأما القصة المظلمة

فقد يقال لها اليوم الجزانية ، وأهلها يسمونها كركانج . ويقول ياقوت في الجزانية ٢ / ٥٤ انها

مدينة عظيمة على شاطيء جيحون ، وهي كركانج فعربت إلى الجزانية ، وقد رآها ياقوت سنة ٥٦١٦ هـ ،

فوصف بردها الشديد ، وقال انه يسكنها قوم من الأتراك والتركان لأيامه ويجدر أن ننبه إلى أن ياقوت

بدأ ينقل هنا عن ابن فضلان حرفاً حرفاً .

ورأيتُ دراهمَ خُوَارِزَمَ مُزَيَّفَةً^(١) ، وِرْصاصاً^(٢) وِزْيُوفاً^(٣) ، وِصْفِراً .
 ويسموت الدرهم « طازجة »^(٤) ووزنه أربعة دوانيق^(٥) ونصف .
 وَالصَّيْرِيّ مِنْهُمْ يَبِيعُ الكَعَابَ^(٦) ، والدوامات ، والدرهم .

وهم أوحش الناس || كلاماً وطبعاً ، كلامهم أشبه شيء بصياح
 الزراير^(٦) . وبها قرية على يوم يقال لها « أردكو »^(٧) « أهلها يقال
 لهم « الكردلية » ؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع . وهم يتبرءون
 من أمير المؤمنين « عليّ بن أبي طالب » - رضي الله عنه - في دبر^(٨)
 كل صلاة .

* * *

- (١) في الأصل : « مزيفة وِرْصاص وِزْيُوف وِصْفِر » - وفي ياقوت ٢ / ٤٨٤ : « مزيفة وِرْصاصاً وِزْيُوفاً وِصْفِراً » فرأينا أنها من خطأ الناسخ في العربية فصوبناه .
- (٢) الزائف : هو الدرهم الرديء والمردود لعش فيه ، جمه زيوف . وكان للعملة الزائفة ثمنها المحدد جهاراً ، وتسمى المزبقة ، لأن الفضة تذاب مع الزئبق - انظر كلمة « زبق » عند الجوهري ، والحضارة الإسلامية لمتز ٢ / ٣١٩ ، ومجلة JRAS ، مقال آمدروز سنة ١٩٠٦ ص ٤٧٩ .
- (٣) طازجة : النقية الخالصة ، وهي معرب فازة ، كما في المعرب للجواليقي ٢٢٩ .
- (٤) في الأصل : « أربع دوانيق » وهو ضمف من الناسخ صوبناه .
- (٥) الكعاب : جمع كعب وهو الدانق الصغير كما في معجم دوزي ١ / ٤٧٨ وممعجم Lane .
- (٦) انقص ياقوت حين النقل هذه الجملة كما يحدث عادة عند النسخ ، فجاء عنده أن كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع ، وهو يأتي بعد سطر واحد - وأما التشبيه بصياح الزراير ، فقد يما شبه النابغة الشيباني صوت المعجم بمثل ذلك فقال (ديوانه طبعة دار الكتب ١٩٣٢ بمصر ص ٥٣) :
- أصوات عجم إذا قاموا بقربتهم كما تصوت في الصبح الخطاطيفُ
- (٧) لم نقف على موقع القرية أو اسم أهلها في المصادر ، فاعلمها مصحفتان .
- (٨) دبر : عقب كل صلاة .

فأقمنا « بِالْجُرْجَانِيَّةِ » أياماً ، وجد « نهر جيحون » من أوله في الجرجانية إلى آخره . وكان سمك الجَمَد سبعة عشر شبراً^(١) ، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق . وهو ثابت لا يتخلخل . فأقام على ذلك ثلاثة أشهر .

ف رأينا بلداً ما ظننا إلاَّ أنَّ باباً من الزمهرير قد فُتِحَ عَلَيْنَا منه ، ولا يسقط فيه الثلج إلاَّ ومعه ريح عاصف شديدة^(٢) . وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه ، وأراد برّه قال له : « تعال إليّ حتى نتحدث^(٣) فإنَّ عندي ناراً طيبة » . هذا إذا بالغ^(٤) في برّه وصِلتِه . إلاَّ أن الله تعالى قد لطف بهم في الحطب وأرخصه عليهم : حمل عجلة من حطب الطاغ^(٥)

(١) وصف ياقوت نهر جيحون ٤ / ١٧١ ، وذكر تجمده فقال : « حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار » . ولذلك كذب ابن فضالان هنا وقال : ٢ / ٨٤ « وهذا كذب منه فان أكثر ما يجمد خمسة أشبار ، وهذا يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة . شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد - والمعجب ان السمك عند ابن فضالان هنا هو « سبعة عشر شبراً » وينقل ياقوت فيقول : « تسعة عشر شبراً » .

(٢) ويعلق ياقوت على هذا الكلام كذلك فيقول ٢ / ٨٥ : « قلت : وهذا أيضاً كذب ، فانه لولا ركود الهواء في الشتاء في بلادهم لما عاش فيها احد » .

(٣) في الأصل المخطوط : « حتى يتحدث » وصوابها مارسمنا .

(٤) في الأصل : « بلغ في بره » ولعل صوابها ما وضمناه .

(٥) فسّر ياقوت الكلمة فقال : « الطاغ وهو الغضا » ، وهي تركيبة معرّبة ، ولكن ياقوت بضيف ٢ / ٨٥ « قلت : وهذا أيضاً كذب ، لأن العجلة أكثر ما تجرّ عليها ما اخترته وحملت قاشاً لي عليه ألف رطل »

بدرهمين من دراهمهم^(١) تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل .

ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب ، بل يدخل إلى دار^(٢) الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلي ، ثم يقول : « يكند » يعني الخبز^(٣) . [فإن أعطوه شيئاً أخذ وإلا خرج]^(٤) .

* * *

وتطاول مقامنا « بالجرجانية ، وذلك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال . وكان طول مقامنا من جهة^(٥) البرد وشدته . ولقد بلغني أن [رجلين ساقا]^(٦) اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحرارة^(٧) ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد .

- (١) في الأصل : « من دارم » وصوابها كما في ولبيدي : « من دراهمهم » .
 (٢) في مخطوطتنا : « الدار الواحد » فصوبنا ما أفسده الناسخ .
 (٣) يعلق ياقوت كذلك فيقول : « قلت أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دون المدينة ، شاهدت ذلك » - ثم يختصر ياقوت ما عند ابن فضلان من وصف البرد ، وقال إنه نفسه أراد ان يكتب هناك فيجمد المداد ، ووضع الشربة على شفتيه فالتصقت لجودها - انظر ص ٩٩ حيث يقول أن « يكند » بلغة خوارزم .
 (٤) هذه الزيادة من ياقوت لتام العبارة والسياق .
 (٥) في مخطوطتنا : « من جهت » بالتاء المفتوحة ، ذكرناها لنصور ضعف الناسخ وسوء إلمامه بالعربية .
 (٦) في مخطوطتنا : « بلغني أن اثنا عشر جملاً » ولا معنى لها ، فأضفنا ما بين المعقوفتين تنمة للسياق وصححنا المدد .
 (٧) الحرارة : بالضم - ما يقع فيه السقط عند القدح من خرقة أو نسيج أو نحوهما ، والنسيج أصول البردي إذا جف ، وهي ، الحسرات - والقداحة : حجر القدح ، وقيل الحديدية التي يقدح بها .

ولقد رأيتُ لهواءَ بردها^(١) بأن السوق بها والشوارع لتخلو^(٢) حتى يطوف الإنسانُ أكثرَ الشوارع والأسواقِ ، فلا يجدُ أحداً ولا يستقبله إنسان . ولقد كنتُ أخرجُ من الحَمَّام ، فإذا دخلتُ إلى البيت نظرتُ إلى لحيتي وهي قطعةٌ واحدة من الثلج حتى كنتُ أذيتها^(٣) إلى النار .

ولقد كنتُ أنام^(٤) في بيت جوف^(٥) بيتٍ ، وفيه قبة لبود^(٦) تركية وأنا مدثرٌ بالأكسية والفري^(٧) ، فربما التصق خدي على المخذة .

ولقد رأيتُ || الجبابَ بها تكسى البوستينات^(٨) من جلود الغنم لثلاً^(٩) [١٩٩ و] تتشقق وتنكسر ، فلا يعني ذلك شيئاً .

-
- (١) افترح احد المستشرقين هنا رواية : « رأيت لاهراهما » ولا نرى رأيه .
(٢) في مخطوطتنا : « ليخلوا » أثبتناها صورة لاملاہ الناسخ وخطه ، ومثاها كثير .
(٣) في طبعة وليدي : « كنت أذيتها » ولا تستقيم به العبارة .
(٤) في الأصل : « ولقد كنت أيام » وقد جعلها وليدي في طبعته كذلك .
(٥) الجوف من البيت وغيره : داخله ، جمه أجواف .
(٦) البود : كل شعر أو صوف متلبد ، سمي به للصوق بهضمه ببعض جمه ألباد رايبود ، وهو كذلك بساط من صوف .
(٧) كذا في الأصل ، ولعلها الفراء جمع فروة ، وهي شيء نحر الجبة ، بطانته يبطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والثعالب والسمور . وقيل هي كساء يتخذ من أوبار الأبل .
(٨) يرى ده خويه أنها « بوست » ، ودوزي : « بوستين » وهي من الجلد الغليظ ، كالعباءة أو المعطف الكبير .
(٩) في طبعة وليدي : « لثلا تشق وتنكسر » .

ولقد رأيتُ الأرضَ تنشقُّ فيها أوديةٌ عِظَامٌ لشدة البردِ ، وأنَّ
الشجرةَ العظيمةَ العاديةَ لتنفلقَ بنصفين لذلك .

* * *

فلَمَّا انتصفَ شوال من سنة تسع وثلاثمائة ، أخذَ الزَّمانُ في التَّغْيِيرِ ،
وانحَلَّ « نهر جيحون » ، وأخذنا نحن فيما نحتاج إليه مِنْ آلةِ السَّفَرِ
واشترينا الجمالَ التُّرْكِيَّةَ ، واستعملنا السَّفَرَ^(١) من جلود الجمال لعبور^(٢)
الأنهار التي نحتاج أن نعبرها في بلد الترك ، وتزودنا الخبزَ والجاورس^(٣)
والنمكسوذ^(٤) لثلاثة أشهر .

وَأَمَرْنَا مَنْ كُنَّا نَأْنَسُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بِالِاسْتِظْهَارِ^(٥) فِي الشِّيَابِ
وَالِاسْتِكْشَارِ مِنْهَا . وَهُوَّلُوا عَلَيْنَا الْأَمْرَ وَعَظَمُوا الْقِصَّةَ . فَلَمَّا شَاهَدْنَا
ذَلِكَ كَانَ أَضْعَافَ مَا وَصَفَ لَنَا . فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنَّا عَلَيْهِ قُرْطُقٌ^(٦) ،

(١) السَّفَرَ : جمع سفرة ، وهي المركب أو السفينة .

(٢) في مخطوطتنا : « من الحلو والجمال لعيون » - وهي مصحفة قطعاً ، فلا تستقيم بها عبارة ولا يقوم لها معنى ، فرأينا أن تكون السفن من جلود الجمال لعبور الأنهار ، وصوبناها محافظين على رسم الحروف .
- وفي طبعة وليدي : « لعيون الأنهار » وهو خطأ .

(٣) الجاورس حبّ معروف يؤكل مثل الدهن ، معرب كاورس ، وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر ، وهو يشبه بالأرز ، ويدّر البول ويمسك الطبيعة ، وذلك كما جاء في تاج المروس .

(٤) النمكسوذ : بفتح النون والميم وسكون الكاف - لحم مجفف من غير تقديد ، انظر تكملة المعاجم لدوزي ٢ / ٧٢٦ ، وده خوية في المكتبة الجغرافية ٤ / ١٦٨ .

(٥) استظهر الرجل : احتاط .

(٦) قرطق : بالضم فالفتح ثم فتح الطاء - معرب كرتة ، وهو قيص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم

كما في معجم دوزي للملابس ٣٦٢ .

وفوقَهُ خِفْتَانٌ^(١) ، وفوقَهُ بوسيتين ، وفوقَهُ لبّادَةٌ^(٢) وبرنس^(٣) ، لا تبدو منه إلا عيناه^(٤) ، وسراويل^(٥) طاق ، وآخر مبطّن ، وران^(٦) ، وخُفٌّ كيميخت^(٧) ، وفوق الخُفِّ خُفٌّ آخر . فكان الواحد منّا إذا ركب الجمَلَ لم يَقْدِرَ أن يتحرك لما عليه من الثياب .

وتأخَّرَ عَنَّا الفقيهُ والمعلمُ والغلمان^(٨) الذين خرجوا معنا من مدينة السَّلام ، فزعماً مِنَ الدُّخولِ إلى ذلك البلد . وسرت أَنَا والرسول وسلف له ، والغلمان تكين وبارس^(٩) .

* * *

(١) خفتان : استعماله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان « أي الجاكيت » ، وهو صدرية تحت الثياب ، وقد حلّ محلّ الملابس العربية ، انظر معجم الملابس لدوزي ١٦٣ ، وفراي ٣٢ .

(٢) اللبادة : بالضم وتشديد الباء ، ما يلبس من اللبود وقاية من المطر والبرد .

(٣) برنس : هو في القاموس كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطراً ، وهو معطف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس ، كما في معجم الملابس لدوزي ٧٤ .

(٤) في مخطوطتنا : « عصيناه » ولم نجد لها موضعاً ، فلعلها كما رسمنا ، لأن البرنس يغطي الوجه والرأس ولا تبدو إلا العينان .

(٥) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ، فارسيّ معرّب ، وهي مؤنثة وقد تذكر ، جمعها سراويلات ، وقيل السراويل جمع سروال أو سروالة - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ١٨٦ / ٢ - والطاق : ضرب من الثياب بغير جيب ، يلبسه المولود غالباً ، وقيل هو الطيلسان ، ولكنه هنا فيما نرى أنه بغير بطانة .

(٦) ران : نوع من الأحذية ، جمعه رانات .

(٧) كيميخت : بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم - فارسي ، نوع من الجلد لعله من جلد الخيل كما في تكملة المعاجم لدوزي ٥٠٦ / ٢ .

(٨) لم يذكر أسماء هؤلاء في بدء الرحلة ، ولا نعرف من هم وما هم مهمتهم ، وهل في البعثة فقيه غير ابن فضال ؟ !

(٩) في مخطوطة الأصل : « فارس » وصحیحها ما مرّ بنا من قبل وشرحناه « بارس الصقلاني » - ولكن طبعة وليدي ترسه « فارس » .

فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المسير قلت لهم : « يا قوم ، معكم غلام الملك ، وقد وقف على أمركم كله ، ومعكم كتب السلطان ، ولا أشك [أن]^(١) فيها ذكر توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية^(٢) له . وتصيرون^(٣) إلى ملك أعجمي فيطالبكم بذلك فقالوا : « لا تخش من هذا فإنه غير مطالب لنا » . فحذرتهم ، وقلت : « أنا أعلم أنه يطالبكم » . فلم يقبلوا .

وأستدَف^(٤) أمر القافلة ، وأكثرينا دليلاً ، يقال له « قلواس »^(٥) من أهل « الجرجانية » . ثم توكلنا على الله - عز وجل - وفوضنا أمرنا إليه .

* * *

(١) أضفناها تجلية للنص وبدونها يصح الكلام كذلك .

(٢) في الأصل : « دينار المسيبية » وصوابها بالياء الثانية بعد الباء - وفي ياقوت ١ / ٥١٩ عن بخارا : « وكانت سكتها تصاوير وهي من ضرب الاسلام . وكانت لهم دراهم اخر تسمى المسيبية والمحمدية .

(٣) في المخطوطة : « ويصيرون » وصوابها ما وضعنا - ولم يشرح ابن فضلان في تفصيل نية القوم في اخفاء الدراهم أو في اقتسامها وحجبتها عن الملك ، ولكن السياق يدل على ذلك .

(٤) استدَف الأمر : أي استتب واستقام ، وهي بالذال والذال ، واستدَف هنا تهيأ ، وأمکن وتسهل .

(٥) في مخطوطتنا : « فلوس » - ويرى المستشرق فراي أن تكون « قلواس » لما رأى من نصوص شبيهة واسماء قريبة في المنطقة ، ولعلها كلمة فارسية - وفي طبعة وليدي : « فلوس » .

٦

ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة
تسع وثلاثمائة . فنزلنا رباطاً يقال له « زجان^(١) » || وهو بباب التُّرك ، [١٩٩ظ]
ثم رحلنا من الغد فنزلنا منزلاً يقال له « جيت^(٢) » ، وجاءنا الثلجُ
حتى مَشَتِ الجمالُ إلى ركبها فيه . فأقمنا بهذا المنزل يومين .

ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوى على شيء ، ولا يلقانا أحد ، في
برية قفر ، بغير جبل . فسِرنا فيها عشرة أيام ، ولقد لقينا من الضرِّ
والجهد ، والبرد الشديد ، وتواصل الثلوج الذي كان برد « خوارزم »
عنده مثل أيام الصيف ، ونسينا كل ما مر بنا ، وأشرفنا على تلف
الأنفُس .

ولقد أصابنا في بعض الأيام بردٌ شديدٌ ؛ وكان « تكين » يُسائرني^(٣)
وإلى جانبه رجل من الأتراك ، يكلمه بالتركية ، فضحك « تكين »
وقال : « إن هذا التركي يقول لك : أيُّ شيء يريد ربنا منا ، هو ذا

(١) الرباطات كثيرة ، ولم نقع على اسم هذا الرباط ، وأصلحنا كلمة « باب » فجعلناها « بباب » .

(٢) في الأصل : « جنب » - ويقترح وليدي أن تكون : « جيت » .

(٣) سايره : جاره وسار معه .

يقتلنا بالبرد ، ولو علمنا ما يريد لرفعناه^(١) إليه . فقلت له : « قُلْ له يريد منكم أن تقولوا : (لا إلهَ إلا الله) » . فضحك وقال : « لو علمنا لفعلنا » .

ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه من حطب الطاغ شيء عظيم ، فنزلناه ، وأوقدت القافلة وأصطلوا ، ونزعوا ثيابهم وشَرَّروها .

ثم رحلنا ، فما زلنا^(٢) نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو [إلى]^(٣) الظهر ، بأشد سیر يكون وأعظمه ، ثم نزل^(٤) .

فلما سرنا خمسَ عشرة ليلة وصلنا إلى جبلٍ عظيم ، كثير الحجارة ، وفيه عيون تنجرف عبره وبالحفرة [تستقر] الماء^(٥) .

* * *

(١) في الأصل : « لرفعناه » - ولعلها كما يرى أحد المعلقين : « لدفعناه » .

(٢) في الأصل : « فا زلنا » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) في المخطوطة : « أول الظهر » ولا معنى لها وهي كما رسمنا .

(٤) وهو تصحيف آخر في المخطوطة : « تنزل » ونحن نرسم هذا لبيان حال الناسخ .

(٥) وهنا جبل بالنحو حيث يرسم الناسخ : « خمسة عشر ليلة » فصوبناها .

(٦) هنا عبارة غامضة رسمت كما يلي : « وفيه عيون تنجرف عبر وبالحفرة الماء » - وهي بغير نقط ، فحام المستشرقون حول تصحيحها فرأى الروسي ٩٧ أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عين وبالحفرة الماء » ويرى المجري ٢٣٨ : « عيون تجرق غدير وبالحفرة » - ونحن نرى أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عبره وتستقر بالحفرة الماء » - وفي طبعة وليدي : « وفيه عيون تنجرف عنه وبالحفرة الماء » . وهذا التعبير استعمله الجغرافيون لوصف العيون التي تنحدر إلى البحيرة ، انظر خريدة العجائب لابن الوردي ص ٨٥

٧

[عند
الغزبية]

فَلَمَّا قَطَعْنَاهُ أَفْضِينَا^(١) إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ يُعْرَفُونَ بِالغَزْبِيَّةِ^(٢) . وَإِذَا
هُمْ بَادِيَةٌ ، لَهُمْ بِيوتُ شَعْرٍ ، يَحْمِلُونَ وَيُرْتَحِلُونَ ، تَرَى مِنْهُمْ الْأَيَّاتَ فِي مَكَانٍ ،
وَمِثْلَهَا فِي مَكَانٍ آخَرَ ، عَلَى عَمَلِ الْبَادِيَةِ وَتَنْقَلِبُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ فِي شَقَاءٍ . وَهُمْ
مَعَ ذَلِكَ كَالْحَمِيرِ الضَّالَّةِ لَا يَدِينُونَ لِلَّهِ بِيَدَيْنٍ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى عَقْلِ ، وَلَا
يَعْبُدُونَ شَيْئًا ، بَلْ يُسَمَّوْنَ كِبْرَاءَهُمْ أَرْبَابًا . فَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُهُمْ رَئِيسَهُ فِي شَيْءٍ
قَالَ لَهُ : « يَا رَبِّ إِيشْ أَعْمَلْ فِي كَذَا وَكَذَا؟ » (وَأَمْرُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ^(٣))
غَيْرَ أَنَّهُمْ مَتَى اتَّفَقُوا عَلَى شَيْءٍ وَعَزَمُوا عَلَيْهِ^(٤) جَاءَ أَرْدَلُهُمْ وَأَخْسَهُمْ فَتَقَضَّ
مَا قَدْ أَجْمَعُوا^(٥) عَلَيْهِ .

(١) في المخطوطة : « فلم قطعنا واقضينا » وهي تصحيف صوبناه .

(٢) في ياقوت ١ / ٨٤٠ : « وذكر أحمد بن محمد الهمداني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال : لم
نزل نسمع بالأهم التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاط الترك الكفرة الغزبية ، والتغز غزبية
والخزلية » - وفي الاصلخري ، طبعة ليدن ص ٩ : « وديار الأتراك متميزة . فأما الغزبية فان
حدود ديارهم ما بين الخزر وكيك » - وفي دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ١٧٨ لبرتولد أن الغز
سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا وإلى الدانوب ، وعمرها شرقي أوروبا
والسلجوقيون جاءوا من الغز .(٣) انظر القرآن الكريم سورة شوري ٤٢ / ٣٨ وتامها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة
وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(٤) وفي الأصل : « ثم جاء » فحذفنا « ثم » .

(٥) في الأصل وفي وليدي : « ما قد جمعا » فرأينا أن نرسمها كما ترى .

وَسَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) ، تَقَرُّبًا بِهَذَا الْقَوْلِ [٢٠٠] إِلَى مَنْ يَجْتَازُ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ || لَا اعْتِقَادًا لِذَلِكَ . وَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ جَرَى عَلَيْهِ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « بِيْرُ تَنَكْرِي » وَهُوَ بِالْتَرَكِيَّةِ « اللَّهُ الْوَاحِدُ »^(١) . لِأَنَّ « بِيْر » بِالْتَرَكِيَّةِ : « وَاحِدٌ » ؛ وَتَنَكْرِي : « اللَّهُ » بِلُغَةِ التَّرِكِ . وَلَا يَسْتَنْجُونَ مِنْ غَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ ؛ وَلَا يَغْتَسِلُونَ مِنْ جَنَابَةِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ عَمَلٌ ، خَاصَّةً فِي الشِّتَاءِ . وَلَا يَسْتَتِرُ نِسَاؤُهُمْ مِنْ رِجَالِهِمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَكَذَلِكَ لَا تَسْتَرِ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَدْنِهَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

* * *

وَلَقَدْ نَزَلْنَا يَوْمًا عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَجَلَسْنَا ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ مَعَنَا ، فَبَيْنَا هِيَ تُحَدِّثُنَا إِذْ كَشَفَتْ فَرْجَهَا وَحَكَّتْهُ^(٢) . وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهَا فَسَتَرْنَا وَجُوهَنَا ، وَقُلْنَا : « أَسْتَفْقِرُ اللَّهُ » فَضَحِكَ زَوْجُهَا ، وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : « قُلْ لَهُمْ تَكْشِفُهُ بِحَضْرَتِكُمْ فَتَرَوْنَهُ وَتَصَوْنَهُ »^(٣) فَلَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ ، هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَغْطِيَهُ وَتَمَكِّنَ مِنْهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ : « بِاللَّهِ بِالْوَّاحِدِ » وَلَيْسَ فِي الْجُمْلَةِ التَّرَكِيَّةِ حَرْفُ جَرٍ ، فَلَعَلَّهَا « اللَّهُ الْوَاحِدُ » .

(٢) نَحْنُ نَسْتَفْطَعُ اللَّفْظَةَ لِهُذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَكِنْ الْقَدَمَاءُ فِيمَا ظَهَرَ لَنَا لَمْ يَكُونُوا عَلَى مِثْلِ نَظَرَتْنَا ، لِذَلِكَ أَبْقَيْتُمَا مَا جَاءَ فِي النَّصِّ ، أَمَانَةً ، وَعَمَلًا بِأَنَّهُ لَا حَيَاءَ فِي الدِّينِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَتَصَوْنَهُ » - وَيَقْتَرِحُ وَلِيَدِي أَنْ تَكُونَ : « وَتَصَوْنُونَهُ » .

وليس يعرفون الزنا . وَمَنْ ظَهَرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَعْلِهِ شَقَّوهُ
بِنِصْفَيْنِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَغْصَانِ شَجَرَتَيْنِ ، ثُمَّ يَشْدُونَهُ بِالْأَغْصَانِ ،
وَيُرْسِلُونَ الشَّجَرَتَيْنِ فَيَنْشِقُ الَّذِي شَدَّ إِلَيْهِمَا ^(١) .

وقال بعضهم ، وسمعي [أقرأ] ^(٢) قرآنًا ، فاستحسن القرآن ، وأقبل
يقول للترجمان قل له : « لا تسكت » . وقال لي هذا الرجل يوماً على
لسان الترجمان : « قل لهذا العربي : أربنا عز وجل امرأة ؟ ! فاستعظمت
ذلك ، وسبحت الله ، واستغفرتة ؛ فسبح واستغفرك كما فعلت . وكذلك
رسم التركي كلما سمع المسلم يسبح ويهليل قال مثله .

* * *

٨

ورسوم تزويجهم ، وهو أن يخطب الواحدُ منهم إلى الآخر بعضَ حرمة ،
إِما ^(٣) ابنته أو أخته أو بعض مَنْ يملك أمره ، على كذا وكذا ثوب
خوارزمي ، فإذا وافقه ^(٤) حملها إليه ، وربما كان المهر جمالاً ^(٥) أو دوابَّ

(١) في الأصل : شيالهما « ولما سبها كما وضعنا .

(٢) أضفنا الفعل للسياق .

(٣) في الأصل المخطوطة : « أنا ابنته » وهي تصحيف من غير شك وصوابها : « إياها » .

(٤) في الأصل المخطوط كذلك : « فاذا وافاه » ولعلمها : « فاذا وافقه » « أو وافقه » أو لعله يريد أن

يقول : « فاذا وافاه بما طلب » ، أو « وفاه ما طلب » .

(٥) أخطأ الناسخ في النحو فجعلها « جمال » فصوبناها .

أو غير ذلك . وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصِّداق الذي قد واقف وليها عليه ، فإذا وفاقه إياه جاء غير محتشم حتى يدخل إلى المنزل الذي هي فيه ، فيأخذها بحضرة أبيها وأُمها وإخوتها ، فلا يمنعونها من ذلك .

[٢٠٠ظ] وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من ولده || بامرأته إذا لم تكن أمه . ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلاً من حيث لا يرونه . وذلك أنهم يغضبون ويقولون : « هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تفرس^(١) في الماء » ، ويعرمونه مالا .

ولا يقدر أحد^(٢) من المسلمين [أن] يجتاز ببلدهم حتى يجعل له منهم صديقاً ينزل عليه ، ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ، ولا مرأته مقنعة^(٣) ، وشيئاً من فلفل^(٤) ،

(١) في الأصل : « تفرس » بالغين بعد التاء ، وصوابها مارسنا ، وتفرس الرجل إذا تثبت وتأمل ونظر ، في الأصل .

(٢) في المخطوطة « أحدهن من » وهو سهو من قلم الناسخ حين رسم « هن » زائدة فحذفناها .

(٣) المقنعة : غطاء من قماش يحمله الرجل والمرأة على رأسها ، ولعلها برقع على وجه النساء ، كما في معجم

الملابس لدوزي ٣٧٧ - وفي ابن بطوطة طبعة باريس ٢ / ٣٨٨ في الحديث عن البلغار في الفولغا ،

قوله : « وعلى رأس الوزيرة والحاجية مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجوهر » .

(٤) يقول ياقوت عن الفلفل ٣ / ٥٣ : « فشاهدت نباته ، وهو شجر عادي لا يزول الماء من تحته ، فإذا

هبب الريح تساقط حمله » وما يزال الفلفل يستعمل الى اليوم .

وَجَاوَرَسَ ، وَزَيْدِيبَ ، وَجُوزَ ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَى صَدِيقِهِ ضَرَبَ لَهُ قَبَّةً ^(١) ،
وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَمِ عَلَى قَدْرِهِ ، حَتَّى يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُ ذِمَّتَهَا لِأَنَّ التَّرِكَ
لَا يَذْبَحُونَ وَإِنَّمَا يَضْرِبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رَأْسَ الشَّاةِ حَتَّى تَمُوتَ .

* * *

وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الرَّحِيلَ ^(٢) وَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ جِمَالِهِ
وَدَوَابِّهِ أَوْ أَحْتَاَجَ إِلَى مَالٍ تَرَكَ مَا قَدَّمَ عِنْدَ صَدِيقِهِ التُّرْكِيِّ ، وَأَخَذَ مِنْ
مِنْ جِمَالِهِ وَدَوَابِّهِ وَمَالِهِ حَاجَتَهُ ، وَرَحَلَ . فَإِذَا عَادَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَقْصِدُهُ
قَضَاهُ مَالَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ جِمَالَهُ وَدَوَابِّهِ .

* * *

وَكَذَلِكَ لَوْ أُجْتَاَزَ بِالتُّرْكِيِّ إِنْسَانٌ لَا يَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : « أَنَا ضَيْفُكَ ، وَأَنَا
أُرِيدُ مِنْ جِمَالِكَ وَدَوَابِّكَ وَدِرَاهِمَكَ » دَفَعَ إِلَيْهِ مَا يَرِيدُ . فَإِن مَاتَ التَّاجِرُ
فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ ، وَعَادَتِ الْقَافِلَةُ لِقِيَمِهِمُ التُّرْكِيُّ ، وَقَالَ : « أَيْنَ ضَيْفِي ؟ »
فَإِنْ قَالُوا : « مَاتَ » حَطَّ الْقَافِلَةُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَنْبَلِ تَاجِرٍ يَرَاهُ فِيهِمْ ، فَحَلَّ
مَتَاعَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَخَذَ مِنْ دِرَاهِمِهِ مِثْلَ مَالِهِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّاجِرِ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ
حَبَّةً ، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ مِنْ دَوَابِّهِ وَجِمَالِهِ ، وَقَالَ : « ذَلِكَ ابْنُ عَمِّكَ ،

(١) القبعة : بالضم - بناء سقفه مستدير مقعر ، معمود بالحجارة أو الأجر على هيئة الخيمة ، جمعها قباب وقبب .

(٢) في الأصل بالخطوطة : « الرجل » وهي تصحيف بلا شك فلا معنى لها ، وإنما صوابها مارسمنا لأن الجملة بعدها تفسر المراد حين يقول : « ورحل » .

وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ عُزْمٍ عَنْهُ « وَإِنْ فَرَ فَعَلَ أَيْضًا ذَلِكَ الْفَعْلَ . وَقَالَ لَهُ :
 « ذَلِكَ مُسْلِمٌ مِثْلُكَ ، خَذْ أَنْتَ مِنْهُ » . وَإِنْ لَمْ يُوَافِقِ الْمُسْلِمَ ضَيْفَهُ
 فِي الْجَادَّةِ ^(١) ، سَأَلَ عَنْ بِلَادِهِ ^(٢) : « أَيْنَ هُوَ » فَإِذَا أُرْسِدَ إِلَيْهِ سَارَ فِي
 طَلَبِهِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ ، وَيَرْفَعُ مَالَهُ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ مَا يُهْدِيهِ لَهُ .

وهذه أيضاً سبيلُ التركيِّ إذا دخلَّ « الجرجانية » سأل عن ضيفه
 فَنَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ . وَمَتَى مَاتَ التُّرْكِيُّ عِنْدَ صَدِيقِهِ الْمُسْلِمِ ، وَاجْتَازَتْ
 الْقَافِلَةُ فِيهَا صَدِيقَهُ قَتَلُوهُ ، وَقَالُوا : « أَنْتَ قَتَلْتَهُ بِجَبْسِكَ || إِيَّاهُ ، وَلَوْ
 لَمْ تَجْبَسْهُ لَمَا مَاتَ » . وَكَذَلِكَ إِنْ سَقَاهُ نَبِيذًا ^(٣) فَتَرَدَّى مِنْ حَائِطٍ ^(٤) قَتَلُوهُ
 بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَافِلَةِ عَمَدُوا إِلَى أَجْلِ مَنْ فِيهَا فَقَتَلُوهُ .

* * *

وَأَمْرُ اللُّوَاطِ عِنْدَهُمْ عَظِيمٌ جَدًّا . وَلَقَدْ نَزَلَ عَلَيَّ حَيٌّ « كُوذَرُ كَيْنِ »
 — وَهُوَ خَلِيفَةُ مَلِكِ التُّرْكِ — رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ « خَوَارِزْمِ » فَأَقَامَ عِنْدَ ضَيْفِ

(١) يرى أحد المستشرقين أن تكون الكلمة هنا : « في انجاده » ، ولكن الجملة واضحة تعني أن المسلم لم يوافق في طريقه أو في قافلته ضيف التركي .

(٢) في الأصل : « سأل عن ثلاثة » ولامعنى لها ، فارتأى أحد المستشرقين أن تكون : « سأل عن نائبه أو فلاته أو سائسه » . ولكننا نرى ما وضعنا أقرب للسياق .

(٣) النبيذ : ما نبذ من عصير ونحوه ، سمي به لأنه ينبذ أي يترك حتى يشتد ويُلقي في الجرّة حتى يغلي جهه أنبذة - وفي التاج : « يقال للخمر المعتصر من العنب النبيذ » .

(٤) تردي : سقط .

له مدة في ابتياع غنم . وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزمي يُداريه
ويراوده عن نفسه حتى طاعه على ما أراد . وجاء التركي فوجدهما في
بنيانهِما ، فرفع التركي ذلك إلى « كوذركين » فقال له : « اجمع الترك »
فجمعهم ، فلما ^(١) اجتمعوا ، قال للتركي ^(٢) : « بالحق تحب أن أحكم
أم بالباطل » ؟ قال : « بالحق » قال : « أحضر ابنك » ، فأحضره .
فقال : « يجب عليه وعلى التاجر أن يقتلا جميعاً » ، فامتعض التركي من
ذلك ، وقال : « لا أسلم أبني » . فقال : « فيفتدي التاجر نفسه » ففعل .
ودفع للتركي ^(٣) غنماً للفعل بابنه . ودفع ^(٤) إلى « كوذركين » أربعمئة شاة
لما رفع عنه ، وارتحل عن بلد الترك .

* * *

٩

فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينال الصغير ^(٥) - وقد كان

(١) في المخطوطة : « فيا » وصوابها مارستنا .

(٢) في الأصل : « قال التركي » والصواب أن يكون القائل كوذركين للتركي ، والسياق يدل على ذلك في الجملة بعدها .

(٣) وهنا في الأصل : « ودفع التركي » وصوابها أن الذي دفع هو الخوارزمي .

(٤) في الأصل : « ورفع إلى » ولعل صوابها : « ودفع » والذي بعث الاضطراب في النص هو تكرار كلمة « رفع » .

(٥) هو في توارخيهم : « كوجوك ينال » - وهو ولي العهد - انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٣ .

أَسْلَمَ - فقيل له : « إنَّ أسامت لم ترؤسنا ^(١) » ؛ فرجع عن إسلامه .
 فلما وصلنا إلى الموضع الَّذي هو فيه ، قال : « لا أترككم تجوزون لأنَّ
 هذا شيءٌ ما سمعنا به قطُّ ، ولا ظننا أَنَّهُ يَكُونُ » . فرفقنا به إلى أنَّ
 رضي بخفتانٍ جرجاني يُساوي عشرة دراهم ، وشقةٍ باي باف ^(٢) ، وأقراصٍ
 خبز ، وكفٍّ زبيب ، ومائةٍ جوزة . فلما دفعنا هذا إليه سجد لنا .
 وهذا رسمهم إذا أكرمَ الرجلُ الرجلَ سجد له ، وقال : « لولا أن بيوتي
 نائية ^(٣) عن الطريق لحملتُ إليكم غنماً وبراً ^(٤) » وانصرف عنا وارتحلنا .
 فلما كان من غدٍ لقينا رجل واحدٍ من الأتراك ، دميمٌ الخلقة ، رثٌ
 الهيئة ، قميء المنظر ، خسيس المخبر ، وقد أخذنا مطرٌ شديد فقال :
 « قفوا » . فوقفت القافلة بأسرها - وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة
 آلاف رجل - ثم قال : « ليس يجوزُ منكم أحدٌ » . فوقفنا طاعةً
 لأمره . فقلنا له : « نحن أصدقاءك كوذركين » . فأقبل || يضحك ويقول :
 « مَنْ كوذركين ؟ أنا أخرى ^(٥) على حية كوذركين » ! .. ثم قال :

[٢٠١ظ]

- (١) رؤس الرجل يرؤس رئاسة كان رئيساً . ولعل صوابها : « لن ترؤسنا » .
 (٢) في الأصل : « باي تاف » وهو خطأ ، والباي ياف : لباس للمرأة ، - وفي أحسن التقاسيم للقدسي ،
 ط . اوربة ، ص ٣٢٣ : « وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية والبياف ، والعمائم
 الشهبانية الحفية والمقانع » .
 (٣) في المخطوطة : « بيوتي نائية » وهي مصحفة ، وصوابها ما وضعناه .
 (٤) البرُّ : بالضم - القمح ، والواحدة بُرَّة .
 (٥) في الأصل : « أما أخرى » وصوابها ما كتبنا .

« پکنند » : یعنی الخُبْزَ بلغة خوارزم . فدفعتُ إليه أقراصاً فأخذها وقال :
« مُرّوا قد رحمتکم » .

* * *

قال :

وإذا مرض الرجل منهم ، وكان له جوار وعبيد خدموه ولم يقربهُ
أحد من أهل بيته ، ويضربون له خيمة ، ناحية من البيوت ، فلا يزال فيها
إلى أن يموت أو يبرأ . وإن كان عبداً أو فقيراً رمّوا به في الصحراء
وارتحلوا عنه .

وإذا مات الرجل منهم حفرّوا له حفيرةً كبيرةً كهيئة البيت وعمدوا
إليه فألبسوه قرطقه^(١) ومنطقته وقوسه^(٢) . . . وجعلوا في يده قدحاً من
خشب فيه نبيذٌ ، وتركوا بين يديه إناءً من خشب فيه نبيذ . وجاءوا
بكل ماله فجعلوه معه في ذلك البيت . ثم أجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه ،
وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين ، وعمدوا إلى دوابه على قدر كثرتها ،
فقتلوا منها مئة رأسٍ إلى مائتي رأسٍ إلى رأسٍ واحد ، وأكلوا لحومها إلا
الرأس والقوائم والجلد والذنب ، فإنهم يصلبون ذلك على الخشب . وقالوا :
« هذه دوابه يركبها إلى الجنة » . فإن كان قتل إنساناً وكان شجاعاً نحتوا

(١) في الأصل : « قرطته » وهو تصحيف .

(٢) بعد هذه السكامة بياض في المخطوطة قدر كلمة .

صوراً من خشب على عدد مَنْ قَتَلَ ، وجعلوها على قبره ، وقالوا : « هؤلاء غلمانة يخدمونه في الجنة » ! ..

وربما تغافلوا ^(١) على قتل الدواب يوماً أو يومين ، فيحشهم ^(٢) شيخ من كبارهم فيقول : « رأيتُ فلاناً - يعني الميتَ - في النومِ فقال لي : « هو ذا تراني وقد سبقني أصحابي وشققت ^(٣) رجلاي من أتباعي لهم ، ولست ^(٤) ألحقهم ، وقد بقيت وحدي » . فعندها يعمدون إلى دوابه فيقتلونها ويصلبونها عند قبره . فإذا كانَ بعدَ يومٍ أو اثنين جاءهم ذلك الشيخ وقال : « قد رأيتُ فلاناً وقال : عرّف أهلي وأصحابي أنّي قد لحقت ^(٥) من تقدمني ، واسترحتُ من التعب » .

* * *

١٠

قال :

والترك كلهم ينتفون لحامهم إلا أسبلتهم ^(٦) . وربما رأيت الشيخ الهرم

-
- (١) كذا في الأصل ، ولعلها « عن قتل » .
 (٢) في الأصل : « فحشهم » - وفي طبعة وليدي : « فحشهم » ولعلها كما رسمنا .
 (٣) يرى المستشرق المغربي أن تكون : « شغفت » وشغفت الرجل خرجت بها الشفقات ، وهي قرحة في أسفل القدم - ولكننا لانرى وجوباً لذلك .
 (٤) في الأصل : « وكس »
 (٥) في المخطوطه : « لحقتهم » وهي من الناسخ ، صوبناها .
 (٦) أسبلة وسبال : جمع سبلة ، وهو الشارب .

منهم ، وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين . فإذا
رآه إنسان من بُعدٍ لم يشك أنه تيس .

|| وملكُ التركُ الغزيرةُ يقال له : « يبنغو »^(١) وهو اسم الأمير ، وكل من [٢٠٢ و]
ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يُسمى ، ويقال خليفته « كوذركين » ، وكذا
كلُّ من يخلف رئيساً منهم يقال له : « كوذركين » .

ثمَّ نزلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب^(٢) جيشهم ، ويقال
له : « أترك بن القطعان » ، فضرب لنا قباباً تركية ، وأنزلنا فيها^(٣) وإذا
له ضبنة^(٤) وحاشية ، وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنماً ، وقاد^(٥) دواب ،
لنذبح الغنم ونركب الدواب ، ودعا هو جماعة^(٦) من أهل بيته وبني عمه
فقتل لهم غنماً كثيرة .

وكننا قد أهدينا إليه هدية من ثياب ، وزبيب ، وجوز ، وفلفل ،
وجاورس ، فرأيت امرأته وقد كانت امرأةً أبيض ، وقد أخذت لحمًا ولبنًا

(١) يبنغو لقب لكثير من ملوك الأتراك - انظر مفاتيح العلوم ص ٧٣ حيث يقول ان جيويه هو ملك الغزيرة .

(٢) في الأصل «صاحب جيشهم» فأضفنا الباء - وفي طبعة وليدي : « عند صاحب » - وهو سباشي في مفاتيح العلوم .

(٣) في الأصل : « وأنزلنا فيه » .

(٤) كلمة لم تنقط في الأصل ، فلعلها : « صبية » أو لعلها : « ضبنة » وهي على وزن فرحة ، العيال يضطبنهم الرجل في كنفه وناحيته ، يقال خرج في ضبنته أي في أهله وعياله .

(٥) في الأصل : « وقادوا دواباً » ولعلها كما رسمنا .

(٦) في الأصل : « وجماعة » .

وشيناً مما أتحفناه^(١) به ، وخرجت من البيوت إلى الصحراء فحفرت حفرةً ودفنت الذي كان معها فيها ، وتكلمت بكلام ، فقلت للترجمان : « ما تقول » ؟ قال : « تقول هذه هدية للقطغان أبي^(٢) أترك ، أهداها^(٣) له العرب » . فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبهته جالس ، ومعنا كتاب نذير الحربي^(٤) إليه ، يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ، ووجه إليه خمسين ديناراً ، فيها عدة دنانير مسيبية^(٥) ، وثلاثة مثاقيل مسك ، وجلود أديم وثياب^(٦) مروية ، وقطعنا له منها قرطقين^(٧) وخف أديم ، وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير ، فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً .

وقرأت عليه الكتاب فقال للترجمان : « لست أقول لكم شيئاً حتى ترجعوا^(٨) » وأكتب إلى السلطان بما أنا عازم عليه . ونزع الديباجة التي كانت عليه ليلبس الخلع - التي ذكرنا - فرأيت القرطق الذي

(١) في الأصل : « ألحفنا » فرأينا أن تكون : « أتحفناه به » .

(٢) في الأصل : « أبو اترك » .

(٣) في الأصل : « أهدوها » فصوبناها .

(٤) في الأصل هنا : « نذير الحرمين » وهي سهو من الناسخ ، وقد مر بنا اسمه في صدر الرسالة وعلقنا عليه في الحاشية .

(٥) كذلك صحفت كلمة « مسيطة » وصوابها « مسيبية » وقد مرت بنا وشرحنها .

(٦) في الأصل : « وثوبين مروية » فأصلحناها ، وهي نسبة إلى مرو .

(٧) في المخطوطة : « منهما قرطبين » فصوبناها .

(٨) في المخطوطة : « حتى ترجعون »

تحتها و [قد] ^(١) تقطع وسنخاً ، لأن رسومهم أن لا ينزع الواحد منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً ، وإذا هو قد نتف لحيته كلها وسباله ، فبقي كالخادم . ورأيتُ الترك يذكرُون أنه أفرسهم ولقد رأيت يوماً وهو يسايرنا ^(٢) على فرسه إذ مرت وزرة طائرة فأوتر قوسه ، وحرك دابته تحتها ، ثم رماها فإذا هو قد أنزلها .

* * *

فلما كان في بعض الأيام وجّه خلف القواد الذين يلونه وهم :
 طرخان ، وبنال ، وابن أخيهم ، وإيلنغز ^(٣) . وكان || طرخان أنبلهم وأجلهم ، [٢٠٢ظ] وكان أعرج أعمى أشل ، فقال لهم : « إن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ^(٤) ، ولم يُخَيَّر لي أن أطلقهم إلا عن مشورتكم » .
 فقال طرخان : « هذا شيء ما رأيناه قط ، ولا سمعنا به ، ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذكنا نحن وأباؤنا ^(٥) . وما أظن إلا أن السلطان قد

(١) زدناها للسياق - وفي طبعة وليدي : « تقطع » .

(٢) في الأصل : « وهو سايرنا » ولعلها كما صوبت .

(٣) قطعت الكلمات هنا وبقي منها ما غمض رسمه : « وان حمها وبفلر » - فجعلناها كما تراءى لنا في قربه من اسمائهم التركية - وفي طبعة وليدي يقترح : « وابن اخته » .

(٤) رأينا أن الناسخ رسم هذا الاسم في صدر الرسالة « الحسن بن بطوار » وعرفنا أن ياقوت رسمه كما جاء هنا ، وقد علقنا على أقوال العلماء فيه في الحاشية والمقدمة بما يغنيننا عن الاعادة هنا - وفي ياقوت ٧٢٣/١ « المس بن شلكي بطوار » .

(٥) ولعل هذا دليل آخر على أن بعثة ابن فضلان هي الأولى من نوعها ، وأن رجالها هم أول من وطئ البلاد وزارها من قبل بغداد .

أَعْمَلَ الحِيلَةَ ووجه هُوَلاءِ إِلَى الخَزَرَ لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَيْنَا ، وَالوجه أَن يُقَطَعَ هُوَلاءِ الرِّسْلُ نِصْفَيْنِ نِصْفَيْنِ وَنَأْخِذُ مَا مَعَهُمْ .

وقال آخَرُ مِنْهُمْ : « لا بِلِ نَأْخِذُ مَا مَعَهُمْ وَتَتْرِكُهُمْ عُرَاةً يَرْجِعُونَ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا » . وقال آخَرُ : « لا ، وَلَكِنْ لَنَا عِنْدَ مَلِكِ الخَزَرَ أُسْرَاءُ فَنَبِعثُ بِهِوَلاءِ نُفَادِي بِهِمْ أُوْثُكَ » . فما زالوا يَتْرَاجِعُونَ بَيْنَهُمْ هَذِهِ الأَشْيَاءُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ المَوْتِ ، حَتَّى أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ^(١) عَلَى أَن يَخْلُوا سَبِيلَنَا ، وَنَمْضِي . فَخَلَعْنَا دَلِي « طَرْخَانَ » خَفْتَانًا مَرْوِيًّا^(٢) ، وَشَقْتَيْنِ بَايَ بَافَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ [كِلَ وَاحِدًا]^(٣) قَرْطَقًا^(٤) ، وَكَذَلِكَ عَلَى « يَنال » . وَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ فِلْفِلا وَجَاورِسَ ، وَأَقْرَاصًا مِنْ خَبزِ . وَانصَرَفُوا عَنَّا .

* * *

١١

وَرَحَلْنَا حَتَّى صَرْنَا إِلَى « نَهْرِ يَغْنَدِي »^(٥) فَأَخْرَجَ النِّاسَ سَفَرًا^(٦)

(١) فِي المَخْطُوطَةِ : « أَجْمَعَ دَأْبَهُمْ » وَصَوَّابُهَا مَا كَتَبْنَا .

(٢) فِي الأَصْلِ : « خَفْتَانُ مَرْوِي » وَهِيَ خَطَأٌ ، فَأَصْلُهَا مِنْ حَيْثُ النِّحْوِ ، وَهِيَ نَسْبَةٌ كَذَلِكَ إِلَى مَرْوِ

- كَمَا مَرَّ قَبْلَ قَلِيلٍ - .

(٣) نَاقِصَةٌ أَضْفَنَاهَا لِتَمَامِ العِبَارَةِ .

(٤) فِي الأَصْلِ : « قَرْطُقُ قَرْطُقِ » وَحَقُّهَا النِّصْبُ .

(٥) فِي المَخْطُوطَةِ : « نَهْرُ بَغْنَدِي » - وَهُوَ نَهْرُ يَغْنَدِي أَوْ يَنْدِي كَمَا فِي مَقَالَةِ المَسْتَشْرِقِ فَرَايَ ص ٢٦

إِذْ يَرِسُهُ JAGINDI وَهُوَ الآنَ نَهْرُ زَايِنْدِي ZAYINDI ، فَرَعُ لِنَهْرِ كِيمِ Emba - انظُر تَعْلِيقَ

الطَبْعَةِ الرُّوسِيَّةِ ص ١٠٠ .

(٦) قَلْنَا أَنَّ السَّفَرَ هِيَ جَمْعُ سَفْرَةٍ ، المَرْكَبُ أَوْ السَّفِينَةُ ، وَعَلَقْنَا بِأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ جُلُودِ الجَمالِ . كَمَا يَقُولُ

ابن فَضْلانَ نَفْسَهُ هُنَا - انظُر اسْتِعْمَالَ السَّفَرِ فِي الكَامِلِ لابن الأَثِيرِ ٩/٣٣٤ (سَنَةِ ٦١٧ هـ) .

وهي من جلود الجمال فبسطوها ، وأخذوا بالأثاث^(١) من الجمال التركية لأنها مدوّرة فجعلوها في جوفها ، حتى تمتد ، ثم حشوها بالثياب والمتاع ، فإذا امتلأت جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة ، وأقل وأكثراً ، ويأخذون بأيديهم خشب الخدنك^(٢) فيجعلونه كالمجاديف ، ولا يزالون يمدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعب . فأما الدواب والجمال فإنه يُصاحُ بها فتعبر سباحةً ، ولا بد أن تعبر جماعة من المقاتلة ومعهم السّلاح ، قبل أن يعبر شيء من القافلة ، ليكونوا طليعة للناس خيفة^(٣) من « الباشغرد »^(٤) أن يكبسوا الناس وهم يعبرون .

فعبّرنا « يَغِنْدِي » على هذه الصّفة التي ذكرنا . ثم عبّرنا بعد ذلك نهراً يقال له « جام »^(٥) في السّفَر أيضاً ، ثم عبّرنا « جاخش »^(٦) ، ثم

(١) في الأصل : « بالاناث » ولا معنى لها ، فلعلها : « بالآت » أولعلها كما وضع وليدي : « بالاناث من الجمال » .

(٢) شجر الخدنك : هو الحور الأبيض كما في دوزي ، Peuplier .

(٣) في الأصل المخطوط : « خليفة من الباشغرد » ولا نجد لها معنى ، وإنما نقترح أن تكون « خيفة من

الباشغرد » تشبهاً مع السياق ، وهو الخوف من قوم الباشغرد .

(٤) يقول ياقوت ١/٦٨٨ ، أن الباشغرد هم باش جرد أو باش قرد ، من الأتراك ، وهم شر هذه الأقوام

ثم يتحدث عنهم فينقل عن ابن فضلان كما سنرى بعد قليل .

(٥) يرى فراي انه « نهر جيم » Gim وسنأخذ عنه تحقيقاته في الأنهار التالية - كما جاء في مقاله

بالانكليزية ص ٢٦ .

(٦) هو نهر « سجير » Sagir .

« أذل »^(١) ، ثم « أردن »^(٢) ، ثم « وارش »^(٣) ثم « أختي »^(٤) ، ثم « وتبا »^(٥) .
وهذه كلها أنهار كبار .

* * *

١٢

[عند
البجناك]

[٢٠٣ و]

ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك^(٦) وإذا هم [نزول]^(٧) على ماء شبيهه
بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو^(٨) الشمرة || وإذا هم محلّقو^(٩) اللّحي ،
فقراء ، خلاف الغزيرة . لأنني رأيتُ من الغزيرة من يملك عشرة آلاف دابةً
ومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحثُ

(١) هو الآن نهر « أوييل Oyil » .

(٢) هو الآن نهر « زاكسباي Zaqsbay » على الأغلب .

(٣) له اليوم باسم نهر « كالداغيتي Qaldagayti »

(٤) له اليوم فرع من نهر « أشي صاي Assi say » .

(٥) رسمه في المخطوطة : « وبنا » ويقترح المستشرق أن يقرأ « وتبا » أو « أوتبا » ، وهو فرع من الأورال Yayiq . رسم المستشرق طريق سيره ومكانه .

(٦) البجناك : قبيلة من الأتراك ، من قبائل الغز من القفجق ، وهم في أصلهم من تركستان الصينية ، وكانت

مساكنهم في الأورال والفلوفا بجوار الخزر . وكان الغز في الشمال الشرقي ، وقد طردهم الغز حوالي

سنة ٨٦٠ للميلاد فلم يصادف ابن فضلان منهم إلا قليلاً - انظر دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ١١٠٧

Peceneges ، والقفجق كانوا يعيشون في شمالي البجناك ، ووصف ياقوت البجناك ٣ / ٤٤٦ نقلاً عن

أبي دلف مسعر بن المهلب - وارجع كذلك إلى نخبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٤ حيث يقول : « أما

القفجق ، فمساكنهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ، ولهم عليه مدينة

اسمها سرداق والبحر ينسب إليها » ودربند هنا « عقبة صعبة ضيقة » وبحر القفجق هو بحر آزوف المشهور

(٧) بياض في الأصل ملأناه بما ترى تمشياً مع السياق - وفي طبعة وليدي : « نزلوا على » .

(٨) في الأصل : « شديدي » وصوابها مارسنا .

(٩) وقد رسم الناسخ كذلك « محلقي » خطأ .

بأظلافها تطلب الحشيشَ ، فإذا لم تجده قضمت الثلجَ فسَمِنَت غاية السمن .
فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلت ، فنزلنا على البجنالك يوماً واحداً .
ثم ارتحلنا فنزلنا على « نهر جيخ »^(١) وهو أكبر نهر رأيناه ، وأعظمه ،
وأشدّه جرية . ولقد رأيتُ سُفْرَةَ انقلبت فيه فغرق من كان فيها ، وذهبت
رجال كثير من الناس ، وغرقت عدة جمال ودواب ، ولم نعبره إلا بجهد .
ثم سرنا أياماً ، وعبرنا « نهر جاخا »^(٢) ثم بعده نهر « أرخز »^(٣) ثم
« باجاغ »^(٤) ثم « سمور »^(٥) ثم « كنال »^(٦) ثم نهر « سوخ »^(٧) ثم نهر « كنجلو »^(٨) .

* * *

١٣

ووقفنا^(٩) في بلد قومٍ من الأتراك يقال لهم « الباشغرد » ، فحذرناهم
أشدّ الحذر . وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرهم^(١٠) وأشدّهم إقداماً على القتل

(١) كذا رسم في الأصل ، وقد حار المستشرقون في معرفة اسمه ومكانه ، فرأى بعضهم أنه فرع « جيحون »
وعجز فراي عن التعليق عليه .

(٢) نهر جاخا أو جاخان « واسمه الآن جاغان Gagan » ، كما يرى فراي ص ٢٧ .

(٣) نهر أرخز ، لعله « تالفوكا Talvoka » بين الأورال والقوقاز .

(٤) نهر باجاغ هو الآن « موشا Moca » فرع للقوقاز .

(٥) نهر سمور هو الآن « سامار » أو سَمَار Samar .

(٦) في الأصل : « كبال » وصوابه « كنال » وهو نهر « كينل Kinel » .

(٧) في المخطوطة : « موح » وصوابه « سوخ » وهو « سوك Sok » .

(٨) في الأصل : « كنجلو » ولعله الآن « كوندورشا Qundurca » .

(٩) في المخطوطة عنونا : « فوقفنا » - وفي ياقوت : « ووقفنا » .

(١٠) في الأصل بالمعجمة ولعلها : « وأقذرهم » بالبدال المهملة كما في ياقوت .

يلقى الرجلُ الرجلَ فيفزّر^(١) هامته ، ويأخذها ، ويتركه . وهم يحلقون لحام ، ويأكلون القمل ، يتتبع الواحدُ منهم درز^(٢) قرطقه ، فيقرض القمل بأسنانه . ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيته وجد قملة في ثوبه ، فقصعها^(٣) بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رأني : « جيد^(٤) » ! وكلُّ واحدٍ منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل^(٥) ويعلقها عليه ، فإذا أراد سفراً أو لقاءً عدو^(٦) قبلها ، وسجد لها ، وقال : « يا رب افعل بي كذا وكذا » ، فقلت للترجمان : « سل بعضهم ما حجتهم في هذا ، ولم جعله ربه ؟؟ » قال : « لأنّي خرجت من مثله فلست^(٧) أعرف لنفسي خالقاً غيره . »

ومنها من يزعم أن له اثني^(٨) عشر رباً : للشَّتاءِ ربٌّ وللصيفِ ربٌّ ،

(١) في المخطوطة : « مبور » بغير نقط ، ولعلها : « فيفزّر » كما في ياقوت وفزّر بمعنى فسخ وشق وكسر ، يقال فزر أنقه وفزّر بمعنى فقت .

(٢) في الأصل : « درز » - وفي ياقوت : « دروز » - والدَّرز : الارتفاع الذي يحصل في الثوب إذا جمع طرفاه في الخياطة ، فارسي معرب ، جمه دروز ، يقال دقق الخياط الدرّوز ، وما تزال تسمى كذلك الى اليوم .

(٣) قصع القملة بظفره أو بين ظفريه : قتلها .

(٤) هذه العبارة غامضة في الأصل رسماً الناسخ كما يلي : « وقال الراي حيدر » وقد اقترح فرهن هذه الرواية التي وضعناها في النص ، فهي « جيد » أو « جيدة » .

(٥) في المخطوطة عندنا : « الاحليل » - وفي ياقوت : « قد نحت خشبة على قدر الأكيل » - ونسختنا أصوب ، والسياق يفسر معنى الكلمة فلا حاجة بنا إلى شرحها .

(٦) في نسختنا : « و لقي عدوّاً » - وفي ياقوت : « أو لقاء عدوّ » وهي أصوب ففضلناها على ما عندنا .

(٧) في مخطوطتنا : « وليس أعرف » - وفي ياقوت : « فلست أعرف لنفسي موجوداً غيره » .

(٨) « ان له اثنا عشر » وهو من جهل الناسخ بالنحو .

وللمطر رب ، وللريح رب ، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب |
وللماء رب ولليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ؛ وللأرض رب^(١) .
والرب الذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه^(٢) يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى
كل واحد منهم بما يعمل شريكه . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .
ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفة
تعبد الكراكي^(٤) . فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً^(٥) من أعدائهم [٢٠٣ ظ]
فهزموهم ، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهمزوا ، بعدما هزموا ،
فعبدوا الكراكي لذلك . وقالوا : « هذه ربنا و »^(٦) هذه فعالاته . هزم
أعداءنا « فهم يعبدونها لذلك^(٧) .

(١) ذكرت نسختنا ستة أرباب فحسب ، ولكن ياقوت ١ / ٦٩٤ زاد فيها حتى بلغت ثلاثة عشر فقال :
« للشاء رب وللصيف رب ، وللحاء رب ، وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ، وللحيات رب ،
وللأرض رب » فأضفنا الناقص عنه ، وافترضنا سقوط سطر من الناسخ ، لتكرار الكلمة ، وهذا كثير
الوقوع عند من ينسخ مثل هذه العبارة .

(٢) في المخطوطة : « لأنه يجتمع » - وفي ياقوت : « إلا أنه » وهي أصوب فجعلناها في المتن .

(٣) في ياقوت : « جل ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً » - وقد اقتبس ابن فضال كلامه
من القرآن الكريم ، ففي سورة الأسرى ١٧ / ٤٢ : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا
إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً » .

(٤) الكُرَكي : طائر يقرب من الوز ، أبتز الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً ، جمعه كراكي .

(٥) في الأصل : « أفواماً » ويرى ريتز أن تكون « قوماً » وهي أصوب .

(٦) في ياقوت : « وقالوا هذه ربنا لأنها هزمت أعداءنا فعبدوها لذلك » وافترضنا سقوط هذه الجملة ، ليمود
إليها ضمير « فعالته » .

(٧) ويضيف ياقوت معلقاً ١ / ٦٩٤ ، فيقول انه رأى من الباشغردية في حلب ، وهم شقر الشعور والوجوه
جداً ، يتفقون على مذهب أبي حنيفة . وذكر موقع بلادهم وسبب اسلامهم وفي كلامه كثير من البعد
عن الواقع .

قال :

وسرنا من بلد هؤلاء فعبرنا « نهر جِرمِشان^(١) » ثم نهر « أورن^(٢) »
 ثم نهر « أورم^(٣) » ثم نهر « بايناخ^(٤) » ثم نهر « وتيغ^(٥) » ثم نهر
 « نياسنه » ثم نهر « جاوشيز^(٦) » . وبين النهر والنهر - مما ذكرنا -
 اليومان والثلاثة والأربعة ، وأقل من ذلك وأكثر .

* * *

(١) في الأصل بغير نقط ، وقد ذكره فراي ص ٢٧ وجعل اسمه « نهر جرمشان Girimsan » .

(٢) هو الآن نهر « أوران Uran » .

(٣) هو الآن نهر « أورم Urem » .

(٤) يرى زكي وليدي أنه نهر « ماينا Mayna » .

(٥) في الأصل بغير نقط، وهو الآن نهر أوتسكا « Utka » من الروسية Udga ، كما يرى كوفالفسكي .

(٦) يرى فراي أنه « أكتاي Aqtay - وهذه آخر تعليقات المستشرق فراي في مقاله عن الأنهار والمدن .

[الصقالبه]

فلمّا كنّا من مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(١) وهو الذي قصدنا^(٢) له على مسيرة يوم [الصقالبة] وليلة، وجّه لاستقبالنا الملوكَ الأربعة الذين تحت يده وإخوته^(٣) وأولاده، فاستقبلونا معهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا .

فلمّا صرنا منه على فرسخين تلقّانا هو بنفسه ، فلما رأنا نزل فخرّاً ساجداً شكراً لله - جلّ وعزّ - وكان في كَمِّه دراهم فنثرها علينا، ونصب لنا قباباً فنزلناها^(٤) .

وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلاثمائة . فكانت المسافة من الجرجانية^(٥) إلى بلده سبعين يوماً . فأقمنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى جمّع الملوك والقواد وأهل بلده^(٦) ليسمعوا قراءة الكتاب .

(١) نقل ياقوت هذا الفصل كذلك إلى معجمه كما ذكرنا في المقدمة ، بعنوان بلغار ١ / ٧٢٣ : « وقرأتُ رسالة عملها أحمد بن فضلان ... » وعليها نقابل ما في نسختنا - انظر تقويم البلدان ٢١٦ ، نجمة الدهر ٢٦١ حيث يحددان موقع بلغار أو بلار .

(٢) في الأصل : « قصدناه » - وفي ياقوت : « قصدنا له » .

(٣) في الأصل : « تحت يده واخوانه » - وفي ياقوت : « تحت يديه واخوته » .

(٤) في نسختنا : « فنزلها » - وفي ياقوت : « فنزلناها » وهي أصوب .

(٥) في ياقوت : « وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوازرم سبعين يوماً » .

(٦) في ياقوت : « حتى اجتمع ملوك أرضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب »

فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نَشَرْنَا المِطْرَدَيْنِ^(١) اللّذين كانا معنا ،
 وأسرجنا الدّابة بالسّرج الموجه إليه^(٢) ، وألبسناه السواد^(٣) وعمّماه ،
 وأخرجتُ كتابَ الخليفة . وقلتُ له : « لا يجوزُ أن نجلس والكتابُ
 يقرأ » فقام على قدميه^(٤) هو ومن حضر من وجوه أهل مملكته ، وهو
 رجل بدينٌ بطينٌ^(٥) جدّاً .

وبدأتُ فقرأتُ صدرَ الكتاب . فلما بلغتُ منه : « سلامٌ عليك
 فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو » . قلتُ : « ردّ على أمير المؤمنين
 السلام » فردّ ، وردّوا جميعاً بأسرهم ، ولم يزل التّرجمان يترجم لنا حرفاً حرفاً .
 فلما استتمنا قراءته^(٦) كبروا تكبيرة^(٧) ارتجت لها الأرض .

ثم قرأتُ كتابَ الوزير « حامد بن العباس^(٨) » ، وهو قائمٌ ، ثم أمرته

(١) في نسختنا : « المطردين الذين كانا معنا » - وفي ياقوت : « المطردين الذين كانوا معنا » - والمطرد :

بكسر الميم وسكون الطاء - وهو الراية واللواء ، يقول الجوهري : « والألوية المطارد ، وهي دون

الأعلام والبنود ، مثل الراية » - انظر تكملة المعاجم لدوزي ٣ / ٣٤ .

(٢) في نسختنا : « الموجه إلينا » - وفي ياقوت : « الوجه إليه » .

(٣) من المعلوم أن السواد هو شعار الباسيين ، يشير إليه هنا .

(٤) يختصر ياقوت هنا فيقول : « فقرأته وهو قائم على قدميه » ثم يوجز فلا يورد صدر الكتاب وردّ

السلام مما يفصل الأمر فيه ابن فضالان .

(٥) البطين : العظيم البطن .

(٦) في النسخة : « قرأته »

(٧) يرى أحد المستشرقين أن تكون هنا : « كبروا تكبيراً » - وفي نسخة وليدي : « ارتجبت » .

(٨) حامد بن العباس ، كان يتولى أعمال السواد ، ثم وزر للقنندر ، وكان كريماً مفضلاً ، متجماً ، سريع -

بالجلوس ، فجلس عند قراءة كتاب « نذير الحرمي » ، فلما || استتمته نثر [٢٠٤و] أصحابه عليه ^(١) الدراهم الكثيرة . ثم أخرجت ^(٢) الهدايا من الطيب والثياب واللؤلؤ له ، ولأمرأته . فلم أزل أعرضُ عليه وعليها شيئاً شيئاً حتى فرغنا من ذلك . ثم خلعتُ على أمرأته بحضرة الناس ، وكانت جالسةً إلى جنبه ، وهذه سنتهم وزيهم ^(٣) ، فلما خلعتُ عليها نثر النساء عليها الدراهم ، وانصرفنا .

* * *

فلما كان بعد ساعةٍ وجّه إلينا ، فدخلنا إليه ، وهو في قبته ، والملوك عن يمينه . وأمرنا أن نجلس عن يساره ، وإذا أولاده جلوسٌ بين يديه ، وهو وحده على سريرٍ مغشّى بالديباج الرومي ^(٤) ، فدعا بالمائدة فقدمت ، وعليها اللحم المشوي وحده ^(٥) .

- الطيش كما يقول ابن الطفطقي في الفخري ٣١٥ (طبعة أوربة) وزر عام ٣٠٦ - ٣١١ ، اشغل بالتجارة ثم عظم شأنه ، ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من العمر ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا اللقب والخلعة ، وكان المدير للامور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ، بالترجمة العربية ١ / ١٦٤ - وارجع إلى ابن جرير الطبري ١٢ / ٢٩ (سنة ٣٠٣) .

(١) في نسختنا : « عليه » - وفي ياقوت « علينا » .

(٢) في نسختنا ينسب ابن فضلان الأعمال لنفسه بضمير المتكلم المفرد ، وفي ياقوت بضمير المتكلم الجمع ، فيقول : « واخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعتنا على امرأته وكانت جالسة إلى جانبه » - ويلاحظ أن ياقوت يوجز ويختصر فلا يورد العبارة بنصها ، ولا يذكر أنواع الهدايا .

(٣) في ياقوت : « سنتهم ودأبهم » .

(٤) الديباج الرومي : الحرير الرومي ، مشهور معروف بجودته في القرن الرابع وكان يجلب إلى بلاد المسلمين من فرنسا غالباً ، كما في ابن الفقيه ٢٧٠ ، والحضارة الاسلامية ٢ / ٣٠١ .

(٥) هنا يوجز ياقوت في النقل ، ولكنه يقول : « وعليها لحم مشوي » .

فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطعَ لُقمةً وأكلها ، وثانيةً ، وثالثةً ، ثم احتز قطعةً دفعها إلى « سوسن » الرسول . فلما تناولها جاءته مائدةٌ صغيرة فجعلت بين يديه . وكذلك الرسم ، لا يمدّ أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملكُ لُقمةً ، فساعة يتناولها قد جاءته ^(١) مائدة . ثم ناولني فجاءتني مائدة [ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة . ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة] . ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ، ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد .

وأكلنا ^(٢) كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً ، فإذا فرغ من الطعام ^(٣) ، حمل كل واحد منهم ^(٤) ما بقي على مائدته إلى منزله .

فلما أكلنا ^(٥) دعا بشراب العسل وهم يسمونه « السجو » ^(٦) ليومه

(١) كذا في الأصل عندنا وهو مضطرب ، وفي ياقوت : « فإذا تناولها جاءته مائدة ، ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ، ثم ناوله الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قدم إلى كل واحد من الذين بين يديه مائدة » وهي عبارة واضحة مستقيمة أثبتناها ليستأنس بها القارىء في تصوّر المراسم عندهم ، وهي قريبة مما هي اليوم في الغرب اخترنا منها ما يصلح للسياق ووضعناه في المتن .

(٢) في ياقوت : « وأكل كل واحد منا من مائدة لا يشاركه فيها أحد » .

(٣) في ياقوت : « من الأكل » .

(٤) في النخطوط : « كل واحد منهم ما يبقى على مائدتنا » - وهو تحريف واضح ، وفي ياقوت : « كل واحد منا ما بقي على مائدته إلى منزله » .

(٥) في ياقوت : « فلما فرغنا » .

(٦) السجو أو سرجو وسوجي : لم نجد له ذكراً في معاجنا ، وقد حام حول تفسيره المستشرقون فأوا أنه الخمر ، ونحن نستبعد أن يشرب الشيخ ابن فضالان خمراً ، ومع ذلك يقول ياقوت : « فشرب وشربنا قدحاً » . - انظر ص ١٢٩ التالية وتعليق كانار ص ٨٩ بالترجمة الفرنسية .

وليلته فشرب قدحاً ، ثم قام قائماً فقال : « هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — » وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه ^(١) ، وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم انصرفنا من عنده .

* * *

وقد كان يُخَطَّب له على منبره قبل قدومي ^(٢) : « اللهم وأصلح ^(٣) الملك يلطوار ^(٤) ملك بلغار » . فقلتُ : أنا له : « إن الله هو الملك ، ولا يُسمى على المنبر ^(٥) بهذا الاسم غيره — جلّ وعزّ — وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي ^(٦) لنفسه أن يُقال على منبره في الشرق والغرب : اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . وكذا من كان قبله || من آباءه الخلفاء . وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لا تُظروني كما أُطرتِ [٢٠٤ظ] »

(١) حذف يا قوت هذه الجملة الأخيرة ، فهو هنا يوجز ويختصر من الرسالة .

(٢) في يا قوت : « قبل قدومنا » .

(٣) في مخطوطتنا : « اللهم واصلح » - وفي يا قوت : « اللهم اصلح » ولا ثبات الواو أو حذفها رجعتنا إلى تدابير القدماء في ذلك فرأينا في مخطوطة « رسوم دار الخلافة » للصاي ، بالورقة ١٨٨ أنه من عادة الخطب أن يقال على المنابر : « اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله » فأبقينا الواو هنا ، وإن كانت محذوفة في جملة مشابهاة بعد قليل ، ولكنه ثبتها بعد ذلك .

(٤) ذكرنا الصور المختلفة التي قلبها المستشرقون لمعرفة بلطوار ، فبعضهم يرى أنه الب يلطوار ، ويالطوار ، وبلطوار ، وبال ايدار وفره ن قول أن من ملوك التتار ملك يسمى « ايدار » . وقد شرحنا ذلك مستوفى ولكننا نسيتنا أن نضيف ملاحظة هذا المستشرق وهي أن ملك الروس على الفولغا كان اسمه « ايكور I Gore » وقد صحفه الدرب ، وقال برتولد أن لقب ملك البلغار « بطلطون Waldawac » فأصبح الب يلطوار .

(٥) في يا قوت : « ولا يجوز أن يخطب لأحد سبياً على المنابر » .

(٦) في مخطوطتنا : « قد رضي » - وفي يا قوت : وصّى » .

النَّصَارَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا [عَبْدٌ فَقُولُوا] عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ «^(١)» .
 فقال لي: « فكيف يجوز أن يخُطب لي ؟ » قلتُ: « باسمِك واسمِ أبيك » ،
 قال: « إنَّ أباي كان كافرًا ولا أحبُّ أن أذكر اسمه على المنبر ، وأنا أيضًا
 فما أحبُّ أن يذكر اسمي ، إذ كان الذي سمَّاني [به]^(٢) كافرًا . ولكن
 ما اسم مولاي أمير المؤمنين ؟ » فقلت: « جعفر » ، قال: « فيجوز أن
 أتسمي باسمه ؟ » قلت: « نعم » . قال: « قد جعلت اسمي جعفرًا ، واسم
 أبي عبد الله فتقدِّم إلي الخطيب^(٣) بذلك » ففعلت .

فكان يخُطب له: « اللَّهُمَّ وَأَصْلِحْ عَبْدَكَ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ بُلْغَارِ
 مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

* * *

ولما كان^(٤) بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام ، بعث

(١) جاء الحديث النبوي الشريف في الفتح الكبير للسيوطي ٣ / ٣٢٩ ، نقله عن البخاري ، وهذا نصه
 فيه: « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد اسقطت
 نسختنا كلمتين لعلها سقطتا لذهون الناسخ فأرجمناهما إلى المتن ، وأما ياقوت فقد أغفل ذكر الحديث
 فاختصر كما فعل في سائر النص .

(٢) زيادة من ياقوت - وهنا يتأكد أن اسمه لم يكن الحسن كما صحفت النسخة في بدعها بل « المش » كما قلنا .

(٣) في نسختنا: « إلى الخاطب بذلك ففعلت » وهذا تحريف ، صوبناه عن ياقوت .

(٤) هذه الصفحة لم يثبتها ياقوت ، وإنما يستأنف النقل عند ذكر المعجائب ، فليس فيه أمر المال ووصوله لأنه
 لا يهتم ياقوت في بحثه .

إِلَيَّ وَقَدْ كَانَ بَلَّغَهُ أَمْرَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِيلَةِ النَّصْرَانِيِّ (١)
فِي تَأْخِيرِهَا ، وَكَانَ خَبَرُهَا فِي الْكِتَابِ .

فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، وَرَمَى إِلَيَّ كِتَابَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : « مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْكِتَابِ ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . ثُمَّ رَمَى
إِلَيَّ كِتَابَ الْوَزِيرِ ، فَقَالَ : « وَهَذَا أَيْضًا ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . قَالَ :
« فَالْمَالُ الَّذِي ذُكِرَ فِيهِمَا مَا فَعَلَ [بِهِ] ؟ (٢) » قُلْتُ : « تَعَذَّرَ جَمْعُهُ ، وَضَاقَ
الْوَقْتُ ، وَخَشِينَا فَوْتَ الدُّخُولِ ، فَتَرَكَنَاهُ لِيَلْحَقَ بِنَا » . فَقَالَ : « إِنَّمَا
جِئْتُمْ بِأَجْمَعِكُمْ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْكُمْ مَوْلَايَ مَا أَنْفَقَ لِحَمْلِ هَذَا الْمَالِ إِلَيَّ ، حَتَّى
أَبْنَى بِهِ حِصْنًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْيَهُودِ (٣) الَّذِينَ قَدْ اسْتَعْبَدُونِي . فَأَمَّا الْهَدِيَّةُ فَغَلَايِي
قَدْ كَانَ يُحْسِنُ أَنْ يَجِيءَ بِهَا » . قُلْتُ : « هُوَ كَذَلِكَ ! إِلَّا أَنَا قَدْ اجْتَهَدْنَا » .
فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : « قُلْ لَهُ أَنَا لَا أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ ، إِنَّمَا أَعْرَفَكَ أَنْتَ ، وَذَلِكَ
أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ عَجْمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ الْأُسْتَاذُ (٤) - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنَّهُمْ يَبْلَعُونَ

(١) النصراني ، وهو الفضل بن موسى ، وقد مرّ بنا في الصفحة ١٩٧ ظ ، وهو وكيل ابن الفرات ، كان عليه أن يدفع ما يرتفع من القرية ، ولكنه احتال وسوّف كما رأينا .

(٢) أضفناها لتام المعنى .

(٣) تحدث ابن حوقل عن الخزر ٣٨٩ / ٢ فقال : « أما الخزر فاسم الاقليم ، وقصبتها تسمى اقل ... والملك يهودي » ، ويقال ان له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل « والمقصود باليهود هم الخزر ، كما قلنا - وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة ٢٦٣ ، عن الخزر أنهم مسلمون ويهود ، وابن الأثير يقول انهم أسلموا سنة ٢٥٤ ، وذكره باب اسلامهم .

(٤) تسميته للخليفة بالأستاذ عجيبة ، وقوله انهم عجم أعجب ، لأن ابن فضلان نفسه مولى أعجمي ، فيما تقدر .

ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي^(١) وتقرأ كتابي ، وتسمع جوابي ،
ولست أطلب غيرك بدرهم^(٢) فأخرج من المال^(٣) فهو أصلح لك .

فانصرفت من بين يديه مذعوراً مغموماً ، وكان رجلاً^(٤) له منظر
وهيبة^(٥) ، بدين ، عريض كأنما يتكلم من خاوية . فخرجت من عنده
وجمعت أصحابي || وعرفتهم ما جرى بيني^(٦) وبينه . وقلت لهم : « من
هذا حذرت ! »

* * *

وكان مؤذنه يُثني الإقامة إذا أذن ، فقلت له : « إن مولاك
أمير المؤمنين يُفرد في داره الإقامة » . فقال للمؤذن : « إقبل ما يقوله لك
ولا تخالفه » .

فأقام المؤذن^(٧) على ذلك أياماً وهو يُسألني عن المال ، ويُناظرني فيه ،

(١) لعله يريد : « حتى تحفظ علي حقي » .

(٢) في المخطوطة : « وليس أطلب غيرك درهم » فاعلمها كما رسمنا .

(٣) اخرج من المال أو أخرج عنه : أعطه ، دوزي ٣٥٨/١ - وخرج الرجل إلى فلان من دينه قضاء إياه

(٤) في المخطوطة : « رجل » وصوابها ما أثبتنا .

(٥) يتساءل المستشرق الروسي هنا لعلها « هيئة » .

(٦) في المخطوطة : « بينه وبينه » واصلها كما وضعنا .

(٧) الضير « هو » يعود على الملك طبعاً .

وأنا أويسه^(١) منه ، وأحتج فيه . فلما يئس منه تقدم إلى المؤذن أن يثني الإقامة ، ففعل . وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي . فلما سمعتُ تثنيتَه للإقامة نهيتُه^(٢) وصحتُ عليه ، فعرف الملكُ ذلك ، فأحضرني وأحضر أصحابي .

فلما اجتمعنا قال للترجمان : « قل له - يعنيني^(٣) - ما يقول في مؤذنين أفرد أحدهما وثني الآخر ، ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا ؟ » قلتُ : « الصلاة جائزة » . فقال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع ! » قال : « قل له فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالا لأقوام ضعفي^(٤) محصرين مستعبدين فخانوه ؟ » فقلتُ : « هذا لا يجوز ، وهؤلاء قوم سوء » . قال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع » ، فقال للترجمان : « قل له : تعلم أن الخليفة - أطال الله بقاءه - لو بعث

(١) أيسه وآيسه ايئاساً : جملة يقنط ، مثل يئس وآياس .

(٢) جاء في مجمع الزوائد للهيتمي ١ / ٣٣٠ : « وكان بلال يقيم للنبي (صلى الله عليه وسلم) فيفرد الإقامة » وروى في غير هذا المكان أن الأذان على عهد الرسول كان مثنى مثنى والإقامة فرادى - وقد بحث المستشرقون ذلك في ملىقاتهم . والمستشرق جوينبول يرى أن الحنفية وحدهم كانوا يثنون وأن غيرهم كان يفرّد في الإقامة وحدها ، وقد كتب في دائرة المعارف الإسلامية حول الأذان ١ / ١٣٥ ، وحول الإقامة ٢ / ٤٨٥ .

(٣) في مخطوطة « يعينني » ، ولا معنى لها ، فلعله يريد « يعنيني » بمعنى يقصدي .

(٤) الضعيف : جمعه ضمايف وضمفي وضعفاء .

إِلَيَّ جَيْشًا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيَّ^(١) ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « فأَمِيرُ خُرَاسَانَ ؟ »
 قلتُ : « لا » . قال : « أليس لبعْدِ المسافةِ وكثرةِ مَنْ يَبِينُنَا مِنْ قَبَائِلِ
 الكُفَرِ ؟ » قلتُ : « بلى » ، قال : « قلْ له : فواللهِ إِنِّي لَبِمَكَانِي^(٢) البعيدِ
 الذي تراني فيه ، وإني لخائفٌ من مولاي أمير المؤمنين ، وذلك أَني أَخافُ
 أَن يبلِغهُ عني شيءٌ يكرهه فيدعو عليَّ فأهلكَ بِمَكَانِي ، وهو في مملكته ، وبينِي
 وبينه البلدانُ الساسعةُ . وأنتم تأكلون خُبْزَهُ وتلبسون ثيابَهُ ، وتروونه في
 كُلِّ وقتٍ خُنْتُمُوهُ في مقدارِ رسالةٍ بَعَثْتُمْ بِهَا إِلَيَّ ، إلى قومٍ ضعفي ، وخُنْتُمْ
 المسلمين ! لا أَقبلُ منكم أَمْرَ دِينِي حَتَّى يَجِئَنِي^(٣) مَنْ يَنْصَحُ لي فيما يقول .
 فإذا جاءني إنسانٌ بهذه الصورةِ قبلتُ منه » . فأَجْمُنَا^(٤) وما أَحْرنا جواباً ،
 وانصرفنا من عنده .

قال :

فكان بعد هذا القولِ يُؤَثِّرُنِي وَيُقَرِّبُنِي ، وَيُبَاعِدُ أَصْحَابِي ، وَيَسْمِينِي

« أبا بكر الصِّدِّيقِ^(٥) » .

* * *

- (١) في نخبة الدهر لشيخ الربوة ص ٢٦١ : « قال أبو عبيدة البكري : الصقالبة ذوو بأس شديد ، وشدة
 وصوله ، ولولا اختلافهم بكثرة تفرع أعراقهم وتفرق أفخاذهم لما قامت لهم أمة من الأمم » .
 (٢) في المخطوطة : « لمكاني البعيد الذين » فأصلحناها كما ترى .
 (٣) في المخطوطة : « حتى يجيبي » وصوابها ما رسمناه .
 (٤) أجمنا : أسكتنا ، والتجيم عن الكلام ، كأنه أجم بلجام ، ومثله أحرار الجواب إحارة .
 (٥) في الأصل : « أبو بكر » ولعل كنية ابن فضالان هي أبو بكر ، فأضاف إليه الصديق لصدقه .

[٢٠٥ظ]

|| ورأيتُ في بلده^(١) من العجائب ما لا أحصيها كثرة .

من ذلك : أن أول ليلة بتناها في بلده رأيتُ قبل مغيب الشمس بساعةٍ
قياسية^(٢) أفقَ السماء وقد احمرتُ احمراراً شديداً وسمعتُ في الجوَّ أصواتاً^(٣)
شديدةً وهممةً عاليةً ، فرفعتُ رأسي فإذا غيمٌ أحمر مثل النار قريب مني ،
وإذا تلك الهممةُ والأصواتُ منه ، وإذا فيه أمثالُ الناس والدواب ، وإذا
في أيدي^(٤) الأشباح التي فيه ، تشبه الناس^(٥) ، رماح^(٦) وسيوفٌ أتبينها
وأتحيلها ، وإذا قطعةٌ أخرى مثلها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً ،
فأقبلتُ هذه القطعةُ تحمل^(٧) على هذه كما تحملُ الكتيبةُ على الكتيبة .
ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرع والدعاء ، وهم^(٨) يضحكون منّا
ويتعجبون من فعلنا .

(١) يعود ياقوت إلى نقل كلام ابن فضلان وإثباته في معجمه - انظر كانار ص ٩٥ .

(٢) يحذف ياقوت كلمة : « قياسية » - ولعل الساعة القياسية هي الساعة تماماً .

(٣) في مخطوطتنا : « صوتاً شديدة » وفي ياقوت : « أصواتاً عالية وهممة » فأصلحنا كلمة
« صوتاً » بجمعها .

(٤) في مخطوطتنا : « وإذا في الاستباح » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « وإذا في أيدي الأشباح »
فأضفنا أيدي عنه وصوبنا .

(٥) ليس في ياقوت : « تشبه الناس » فهي عندنا زائدة .

(٦) في ياقوت : « قسيّ ورماح و-يوف » .

(٧) ليس في ياقوت : « تحمل » فهي عندنا وحدها .

(٨) في ياقوت : « وأهل البلد يضحكون » .

قال :

وكنا ننظرُ إلى القطعة تحملُ [على] ^(١) القطعة فتختلطان جميعاً ^(٢) ساعةً ثم تفترقان . فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ^(٣) ثم غابتا . فسألنا الملكَ عن ذلك فزعمَ أنَّ أجداده كانوا يقولون : إنَّ هؤلاء من مؤمني الجنِّ وكفارهم ، وهم ^(٤) يقتتلون في كلِّ عشية ، وأنهم ما عدموا هذا مذ كانوا في كلِّ ليلة .

* * *

قال :

ودخلتُ أنا وخياط [كان] للملك ^(٥) من أهل بغداد - قد وقع إلى تلك الناحية ^(٦) - قُبَّتِي ، لتتحدث ، فتحدثنا بمقدار ما يقرأ ^(٧) إنسانٌ أقلَّ من نصفِ سبع ، ونحن ننتظر أذان العتمة ^(٨) ، فإذا بالأذان . فخرجنا من القبة وقد طلعَ الفجرُ . فقلتُ للمؤذن : « أي شيء أُذنتَ » . قال : « أذان

(١) نافصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٢) في مخطوطتنا : « ذلك » ثم طمست بالقلم فحذفناها .

(٣) في ياقوت : « فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل » .

(٤) في مخطوطتنا : « ثم غابتا » وصوابها ما جاء في ياقوت ، مما أثبتناه .

(٥) في مخطوطتنا : « وخياط الملك » - في ياقوت « وخياط كان للملك » - وهذا دليل آخر على أسبقية

العرب في الحضارة ، وعلى مغامرة قومنا في ارتياد الأقطار سعياً وراء الرزق .

(٦) هذه الجملة بين شرطتين لم تقع في ياقوت .

(٧) في ياقوت : « بمقدار ما يقرأ الإنسان نصف ساعة » .

(٨) في ياقوت : « أذان العشاء » .

الفجر» ، قلت : « فالعشاء الآخرة »^(١) . قال : « نُصَلِّيْهَا مَعَ الْمَغْرِبِ » ، قلتُ : « فَاللَّيْلِ » ، قال : « كَمَا تَرَى ؛ وَقَدْ كَانَ أَقْصَرَ مِنْ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ^(٢) فِي الطَّوْلِ » . وذكر أنه منذ شهر ما نام^(٣) خوفاً أن تفوته صلاة الغداة^(٤) . وذلك أن الإنسان يجعل القِدرَ على النار وقت المغرب ، ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج .

قال :

ورأيتُ النَّهَارَ عِنْدَهُمْ طَوِيلًا جَدًّا وَإِذَا أَنَّهُ يَطْوُلُ عِنْدَهُمْ مَدَّةً مِنَ السَّنَةِ وَيَقْصُرُ اللَّيْلُ ، ثُمَّ يَطْوُلُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهَارُ . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ جَلَسْتُ خَارِجَ الْقُبَّةِ وَرَاقِبْتُ السَّمَاءَ فَلَمْ أَرَ^(٥) مِنَ الْكَوَاكِبِ إِلَّا عِدَدًا [يسيراً ظننتُ أنه نحو^(٦) الخمسة عشر كوكباً] متفرقة . وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بته . وإذا الليلُ^(٧) قليلُ الظُّمَّةِ يَعْرِفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِيهِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ غَلْوَةِ سَهْمٍ^(٨) .

(١) في ياقوت : « فمشاء الأخيرة » .

(٢) في ياقوت : « وقد أخذ الآن في الطول » .

(٣) في ياقوت : « ما نام الليل » .

(٤) في ياقوت : « يفوته صلاة الصبح » .

(٥) يختصر ياقوت في رواية الجملة السابقة : « جلست فلم أر فيها من الكواكب » .

(٦) في ياقوت : « فوق الخمسة عشر » .

(٧) سقط هذا السطر من مخطوطتنا ، فأخذناه من ياقوت ، وبدونه لا يتم السياق ، ويرى الروس ان كلمة

قبل المغرب يجب أن تكون بالمغرب .

(٨) غلوة سهم : الغلوة : الغاية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه . ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى

أربعمائة ، جمعها غلوات وغللاء .

قال :

ورأيتُ القمرَ لا يتوسَّطُ السَّمَاءَ بل يطلعُ في أرجائها^(١) ساعةً ثم يطلع
الفجرُ فيغيبُ القمرُ . وحدثني المَلِكُ أَنَّ وراءَ بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قومٌ
يُقال لهم « ويسو »^(٢) ؛ اللَّيْلُ عندهم أَقْلُ مِنْ ساعة .

قال :

ورأيتُ البلدَ عند طلوع الشمس يحمرُّ^(٣) كحلّ شيءٍ فيه من الأرض
والجبال وكلّ شيءٍ ينظر الإنسانُ إليه حين^(٤) تطلع الشمس كأنها غمامة
كُبرى^(٥) ، فلا تزال الحُمْرَةُ كذلك حتى تتكبد السماء . وعرفني أهلُ
البلد أنه إذا كان الشتاء عادَ اللَّيْلُ في طول النَّهار ، وعاد النَّهارُ في قصر اللَّيْلِ ،
حتى أَنَّ الرَّجَلَ مَنْأَ ليخرجُ إلى موضع^(٦) يقال له « إِتِل » - بيننا وبينه

(١) يروي ياقوت هذه الجملة مختصرة .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٤ / ٩٤٤ : « ويسو : بكسر أوله والسين مهملة وواو : بلاد وراء بلغار
بينها وبين بلغار ثلاثة أشهر » - والمستشرق فرهن يعاق على هذه الكلمة تعليلات طويلة بالصفحة ٢٢٠
ومايلها ، ويرى أن « ويسو Wisu هي « روسيا البيضاء Bielo Russe » ، وانها قرب موسكو ،
غربي ورنك ، ومحصل تعليقه أن الكلمة تتركب من لفظتين « أبيض وبحر » أو منطقة بيضاء . ولا بد
من الملاحظة بأن الناسخ عندنا رسمها « ويسوا » بألف بعد الواو كما يفعل دائماً بمض الناسخ
أخافاً بواو الجمع ! . .

(٣) صوبنا لفظه « تحمر » كما نصاب غالباً من غير أن نشير الى ذلك .

(٤) في الأصل : « وتطلع » - وفي ياقوت : « حين تطلع » .

(٥) في الأصل : « غمامة كبيراً » وصوابها ما في ياقوت .

(٦) في الأصل عندنا : « موضع يقال له » - وفي ياقوت : « نهر يقال له » وكدنا نصاب نستختنا ، ولكن
ياقوت ١ / ١١٢ يقول : « اتل نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلغار .
وقيل : إتل قصبه بلاد الخزر والنهر مسمى بها » فتركنا الكلمة كما جاءت في نستختنا .

أقلُّ من مسيرة^(١) فرسخ - وقتَ طلوعِ الفجرِ فلا يبلغه إلى العتمة^(٢) ،
إلى وقتِ طلوعِ الكواكبِ كلها حتى تطبق السماء . فما برحنا من البلد
حتى امتدَّ الليلُ وقصر النهار^(٣) .

* * *

١٧

ورأيتُهم يتبركون بعواءِ الكلابِ جدًّا ، ويفرحون به ، ويقولون^(٤) :
سنة خصب وبركة وسلامة .

ورأيتُ الحياتِ عندهم كثيرةً حتى أنَّ^(٥) الغصنَ من الشجرة لتلتف
عليه العشرة^(٦) منها والأكثر ، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم . حتى لقد رأيتُ
في بعض المواضع شجرةً طويلةً يكونُ طولها أكثرَ من مائة ذراع ، وقد
سقطتُ وإذا بدنها عظيمٌ جداً فوقفتُ أنظرُ إليه إذ تحرك فراغني^(٧) ذلك .
وتأملته فإذا عليه حيةٌ قريبة^(٨) منه في الغلظِ والطول . فلما رأيتُني سقطتُ

(١) في ياقوت : « مسافة فرسخ » .

(٢) في نسختنا : « إلا وقت العتمة وتطلع الكواكب » - وفي ياقوت : « إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب »

(٣) هذه الجملة الأخيرة نافصة في ياقوت - نقل الاصطخري من غير شك عن ابن فضالان أمر قصر الليل في الصيف وطوله في الشتاء .

(٤) يختلف ياقوت في رواية هذا السطر ، ويروي : « ويقولون تأتي عليهم سنة » .

(٥) في نسختنا : « حتى إذا الغصن من الشجرة لتلتف » - وفي ياقوت : « حتى أن الغصن من الشجر ليالتف »

(٦) في ياقوت : « عشرة منها وأكثر » .

(٧) هذا المقطع كله أغفله ياقوت .

(٨) في النسخة : « قريب » .

عنه ، وغابت بين الشجر فجئت فرعاً . فحدثتُ الملكَ ومَنْ كانَ في مجلسه ، فلم يكثرثوا لذلك . وقال : « لا تجزع فليس تؤذيك » .

ونزلنا مع الملك منزلاً ، فدخلتُ أنا وأصحابي تكين ، وسوسن ، وبارس ، ومعنا رجل من أصحاب الملك بين الشجر فرأينا^(١) عوداً صغيراً أخضر كرقعة المغزل وأطول ، فيه عرق^(٢) أخضر ، على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض ، مفروش عليها مثل النبات^(٣) ، فيها حب لا يشك من يأكله أنه || رمان أمليسي^(٤) ، فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمرٌ عظيم ، فما زلنا نتبعه ونأكله .

[٢٠٦ظ]

* * *

ورأيتُ لهم ثقاًحاً أخضر شديد الخضرة^(٥) وأشد حموضة من خلّ الخمر ، تأكله الجوّاري فيسمن^(٦) عليه . ولم أر في بلدٍ أكثر من شجر البندق ، لقد رأيتُ منه غياضاً تكون الغيضة^(٧) أربعين فرسخاً في مثلها .

(١) في نسختنا : « فاذا لنا » ولا معنى لها ، فاقترح أحد المستشرقين أن تكون : « فاذا أنا بعود » ،

واقترح آخر : « فأرانا عودا » ولكننا فضلنا هذه الرواية التي أثبتناها . وكل ذلك في ياقوت .

(٢) في نسختنا : « فيه عرفنا » وهو خطأ من الناسخ فأصلحناه .

(٣) النبات : الطري من كل شيء حين ينبت صغيراً .

(٤) رمان امليس وأمليسي : حلو طيب ، لا عجم فيه أي لانواة له .

(٥) عاد ياقوت إلى النقل عن ابن فضالان ، ولكنه يوجز في العبارة ويختصرها .

(٦) في نسختنا : « فيسمى » وصوابها ما في ياقوت ، وقد قلنا إن جملة تختلف عما عندنا فلا حاجة إلى

روايتها هنا .

(٧) الغيضة : الأجمة ، ومجتمع الشجر في مغيض الماء ، جمه غياض وأغياض وغيضات .

ورأيت لهم شجراً لا أدري ما هو ، مفرط الطول وساقه ^(١) أجرد
من الورق ، ورؤوسه كرؤوس النخل له حوص ^(٢) | دقاق | ^(٣) ، إلا أنه ^(٤)
مجتمع ، يجيئون ^(٥) إلى موضع يعرفونه من ساقه ، فيثقبونه ، ويجعلون
تحتّه إناء فتجري ^(٦) إليه من ذلك الثقب ماءً أطيب من العسل ، إن
أكثر الإنسان منه أسكره كما يسكر ^(٧) الخمر .

وأكثر أكلهم الجاورس ^(٨) ولحم الدابة ^(٩) ، على أن الحنطة والشعير
كثير ^(١٠) . وكل من زرع شيئاً أخذه لنفسه ؛ ليس للملك فيه حق غير أنهم
يؤدون إليه في كل سنة من كل بيت جلد سمور ^(١١) . وإذا أمر سرية
بالغارة على بعض البلدان فغنمت كان له معهم حصّة . ولا بد لكل من

(١) في نسختنا : « وساقية » وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) أضفنا الكلمة من ياقوت - والحوص : ورق النخل مفرداً حوصة .

(٣) قبل هذا في مخطوطتنا : « وقال » ولا شك في أنها زائدة فحذفناها .

(٤) في نسختنا : « بجوز » وهي غامضة لا تمني شيئاً - وفي ياقوت : « يعمدون إلى موضع من ساق هذه
الشجرة يعرفونه فيثقبونه » ، وقد تعودنا خطة الناسخ فهو كلما رسم « بجوز » فأصلها : « يجيئون » في
النسخة التي نقل عنها .

(٥) في ياقوت : « يجري » .

(٦) في ياقوت : « تسكر الخمر » . لعله يعني بهذا الشجر قصب السكر .

(٧) شرحنا الكلمة في الصفحات السابقة .

(٨) في ياقوت : « ولحم الخيل » .

(٩) في ياقوت : « كثير في بلادهم » .

(١٠) في ياقوت : « جلد ثور » - والسمور حيوان بري يشبه السنور ، يتخذ من جلده فراء ثمينة لينها
وخفتها وادفائها وحسنها ، جمه سماير .

يعترس^(١) أو يدعو دعوةً من زلة^(٢) للملك على قدر الوليمة وساخرج^(٣)
من نبيذ العسل ؛ وحنطة ردية ؛ لأن أرضهم سوداء منتنة .

وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم ، ولكنهم يحفرون في الأرض
آباراً ، ويجعلون الطعام فيها ، فليس يمضي عليه إلا أيام^(٤) يسيرة حتى
يتغير ويريح^(٥) فلا ينتفع به .

وليس لهم^(٦) زيت ، ولا شيرج^(٧) ، ولا دهن بته . وإنما يقيمون
مقام هذه الأدهان دهن السمك ، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً .
ويعملون من الشعير حساء^(٨) يحسونه الجوارى والغلمان . وربما طبخوا الشعير
باللحم ، فأكل الموالي اللحم وأطعموا الجوارى الشعير إلا أن يكون رأس
تيس^(٩) فيطعم من اللحم .

* * *

- (١) لم تقع هذه الجملة في ياقوت - ويقترح أحد المستشرقين أن تكون « يفترس » بالعين .
(٢) الزلة : الصنعة ، والعرس والوليمة ، وما تحمله من مائة صديقك أو قريبك .
(٣) في الأصل : « وساخرج » ، اقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سيخرج » وهي كما يقول وليدي
وكانار : مقياس للسوائل .
(٤) في نسختنا : « أياماً » وهي خطأ في النحو .
(٥) في الأصل : « يريح » وهي من الرائحة السيئة الفاسدة هنا ، ولعلها « يزنح » والدهن إذا زنح فسد
وتغير ، وما تزال تستعمل في لغة العامة .
(٦) في ياقوت : « وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فانهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج فهم
كانوا لذلك زفرين » وكأنه أخذ بالمعنى فجعله بعبارة .
(٧) الشيرج : دهن السمسم .
(٨) حساء وأحساء وحاساه تحسية واحساء ومحساء : أشربه إياه .
(٩) في الأصل : « راس بفسل » بالفاء ، ويقترح بعض المستشرقين أن تكون بالعين ، وآخر يرى أن
تكون « تيس » ولكننا لم نجد لها معنى مفهوماً ، وهي ناقصة في ياقوت لأنه حذف الجملة كلها .

وكلّهم يلبسون القلانس^(١) ، فإذا ركب الملكُ ركب وحده بغير غلام ، ولا أحد يكون معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحدٌ إلاّ قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه || فإذا جاؤهم ردّوا قلانسهم إلى^(٢) رؤوسهم . [٢٠٧ و]
وكذلك كل من يدخل إلى^(٣) الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون^(٤) إليه قد أخذوا قلانسهم فجعلوها تحت آباطهم ، ثم أوموا إليه برؤوسهم ، وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس . وكل من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركاً ولا يُخْرِجُ قلنسوته ، ولا يُظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك .

وكلّهم في قباب ، إلا أن قبة الملك كبيرة جداً ، تسع ألفَ نفس وأكثَر، مفروشة بالفرش الأرمني^(٥) ، وله في وسطها سرير مغشّي بالديباج الرومي .
ومن رسومهم أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أخذَه جدّه دون أبيه ، وقال : « أنا أحق به من أبيه في حضنه^(٦) حتى يصير رجلاً » . وإذا مات

(١) القلانس : جمع قلنسوة ، وهي لباس الرأس . قيل إن أبا جعفر المنصور أمر بلبس القلانس . ولما اتصل سكان أوربة بالشرقيين أيام الحروب الصليبية نقلوا هذه القلانس الطوال ، ومعها الحجر ، وجعلوها لباس النساء ، ولما جاء المستعين سنة ٢٤٨ هـ ، صغر القلانس - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ١٨٦/٢ ومعجم الملابس لدوزي .

(٢) في ياقوت : « فوق رؤوسهم » .

(٣) في ياقوت : « على الملك » .

(٤) في ياقوت : « يقع نظرم عليه يأخذون قلانسهم فيجعلونها » وكذلك يجعل بقية العبارة بالفعل المضارع .

(٥) الفرش الأرمني مشهور وكذلك البسط الأرمنية ، انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ٣٠٢ .

(٦) يقترح أحد المستشرقين أن تكون الكلمة : « في حصته » ولكنها هنا واضحة مفهومة .

منهم الرجلُ ورثه أخوه دون ولده . فعرفتُ الملكَ أنَّ هذا غير جائز ،
وعرفتُه كيف المواريث ، حتى فهمها .

وما رأيتُ أكثر^(١) من الصَّواعق في بلدهم . وإذا وقعت الصاعقةُ على
بيت^(٢) لم يقربوه ، ويتركونه على حالته وجميع مَنْ فيه مِنْ رجلٍ ومالٍ وغير
ذلك حتى يتلفه الزمان ، ويقولون : « هذا بيت^(٣) مغضوب عليهم » .

* * *

وإذا قتل الرجلُ منهم الرجلَ عمداً أقادوه^(٤) به ، وإذا قتله خطأ صنعوا
له صندوقاً من خشب الخزندك ، وجعلوه في جوفه ، وسمروه عليه ، وجعلوا
معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح^(٥) وعلَّقوه
بينها ، وقالوا : « نجعله بين السماء والأرض يصيبه المطر والشمس ، لعل الله
أن يرحمه » . فلا يزال معلقاً حتى يبلية الزمان وتهبَّ به الرياح .

وإذا رأوا إنساناً^(٦) له حركة ومعرفة بالأشياء ، قالوا : « هذا حقه

(١) المقطع السابق ، أغفله ياقوت . وهنا اختصر الجملة .

(٢) في ياقوت : « في دار أحدم » .

(٣) في ياقوت : « هذا موضع مغضوب عليه ، ولعله أصوب .

(٤) أقاده به : أي قتله قوداً ، والقود : القصاص - وهذا المقطع كله ناقص في ياقوت ، وفي النسخة : « قتلوه »

وهي تصحيف صوبناه .

(٥) في الأصل : « الشبائح » ولعلها مصحفة عن « الشبائح » وهي عيدان معروضة في القنب .

(٦) عاد ياقوت إلى نقل ما في ابن فضالان - وفيه : « رأوا رجلاً » .

أَنْ يَخْدُم^(١) رَبَّنَا ، فَأَخَذُوهُ وَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا وَعَلَّقُوهُ فِي شَجَرَةٍ حَتَّى يَنْقَطِعَ^(٢) .

ولقد حدثني^(٣) ترجمانُ الملكِ أَنَّ سِنْدِيًّا سَقَطَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأَقَامَ عِنْدَ الْمَلِكِ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَانِ يَخْدُمُهُ ، وَكَانَ خَفِيفًا فَهَمًّا . فَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ فِي تِجَارَةٍ^(٤) لَهُمْ || فَاسْتَأْذَنَ السَّنْدِيُّ الْمَلِكَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُمْ ، فَتَنَاهَا [٢٠٧ظ] عَنِ ذَلِكَ ، وَأَلْحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ فِي سَفِينَةٍ فَرَأَوْهُ حَرَكَ كَيْسًا فَتَأَمَّرُوا^(٥) بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : « هَذَا يَصْلِحُ لخدمَةِ رَبَّنَا ، فَتَوَجَّهْ^(٦) بِهِ إِلَيْهِ » ، وَاجْتَازُوا فِي طَرِيقِهِمْ بَغِيضَةً فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهَا ، وَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلًا وَشَدُّوهُ فِي رَأْسِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، وَتَرَكَوهُ وَمَضُوا .

* * *

١٨

وَإِذَا كَانُوا يَسِيرُونَ^(٧) فِي طَرِيقٍ فَأَرَادَ أَحَدُهُمُ الْبَوْلَ ، فَبَالَ وَعَلَيْهِ

(١) فِي نَسَخَتْنَا : « أَنْ يَكُونَ يَخْدُمُ رَبَّنَا » - وَفِي يَأْفُوتُ : « أَنْ يَخْدُمَ رَبَّنَا » فَحَذَفْنَا « يَكُونَ » وَبَدَلْنَاهَا تَمَّ الْجُمْلَةَ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ .

(٢) فِي نَسَخَتْنَا : « يَنْقَطِعُ » - وَفِي يَأْفُوتُ : « يَنْقَطِعُ » وَهِيَ أَصُوبٌ .

(٣) هَذَا الْمَقْطَعُ نَافِصٌ كَذَلِكَ فِي يَأْفُوتُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْمَجَازَةُ وَهِيَ الطَّرِيقُ إِذَا قَطَعَ مِنْ أَحَدٍ جَانِبِيهِ إِلَى الْآخَرِ ، وَقِيلَ هُوَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْجُوزِ ، وَجَمَازَةُ النَّهْرِ : الْجَسْرُ - وَيُقْتَرَحُ رَيْتَرُ أَنْ تَكُونَ اللَّفْظَةُ هُنَا « فِي نِجَارَةٍ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَأَمَّرُوا » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَجَّهَ بِهِ » وَلَعَلَّ صَوَابَهَا : « فَتَوَجَّهَ » أَوْ « فَتَوَجَّهَ » .

(٧) عَادَ يَأْفُوتُ إِلَى نَقْلِ مَا فِي ابْنِ فَضَالَانَ .

سلاحه انتهبوه ، وأخذوا [سلاحه] وثيابه ^(١) ، وجميع ما معه ، وهذا رسم لهم . ومن حطَّ عنه سلاحه وجعله ناحيةً وبال لم يعرضوا ^(٢) له .

وينزلُ الرجالُ والنساءُ إلى النَّهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض ^(٣) ، ولا يزنون بوجهٍ ولا سبب . ومن زنا منهم كائناً مَنْ كان ضربوا له أربع سلك ، وشدوا يديه ورجليه إليها وقطعوا بالفأس من رقبته إلى فخذه ^(٤) ، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً . ثم يعلق كل قطعة منه ^(٥) ومنها على شجرة .

وما زلت أجتهد ^(٦) أن يستتر النساء من الرجال [في السباحة] ^(٧) فما استوى لي ذلك . ويمتلون السارق كما يقتلون الزاني ^(٨) .

وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك . فربما وقع عليهم قوم من أعدائهم فقتلوه . وفيهم تجار كثير يخرجون

(١) في ياقوت : « وأخذوا سلاحه » ولعلها أصوب فأضفناها - وفي وليدي يزيد : « وحملوا ذلك على جبهه وقلة درايته » .

(٢) في ياقوت : « لم يترضوا له » وفي وليدي : « وبال حملوا ذلك على درايته ومعرفة ولم يترضوا له » .

(٣) في نسختنا : « بعضهم بمضاً » - وفي ياقوت : « بعضهم من بعض » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « إلى فخذه » .

(٥) في نسختنا : « منهم ومنها » : وفي ياقوت : « منه ومنها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٦) في ياقوت : « قال : ولقد اجتهدت أن تستتر النساء » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٨) هنا يقف ياقوت عن النقل ويقول : « ولهم أخبار اقتصرنا على هذا » .

إلى أرض الترك فيجلبون الغنم ، وإلى بلد يقال له « ويسو »^(١) فيجلبون السمور والشعلب الأسود .

ورأينا فيهم أهل بيت^(٢) يكونون خمسة آلاف نفسٍ من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم ، يُعرفون بالبرنجار^(٣) ، وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ، ولا يعرفون القراءة ، فعلمت جماعة ما يصلون به . ولقد أسلم على يدي رجل يُقال له « طالوت » فأسميته « عبد الله » فقال : « أريد أن تسميني باسمك محمداً^(٤) » ، ففعلتُ . وأسلمت امرأته وأمه وأولاده ، فسموا كلهم « محمداً » . وعلمته : ﴿ الحمد لله ﴾^(٥) و ﴿ قل هو الله أحد ﴾^(٦) فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن^(٧) صار ملك الصقالية .

وكنّا لما وافينا || الملك وجدناه نازلاً على ماءٍ يقال له « خلجة »^(٨) [٢٠٨ و]

- (١) علقتنا على هذه الكلمة : با فيه الكفاية في حاشية الورقة ٢٠٦ و .
 (٢) كذا في الأصل ، ولعله يريد أهل عشيرة أو قبيلة .
 (٣) كذا في الأصل ، ولعله يقصد « المونغول » .
 (٤) تحدثنا في المقدمة عن هذه الكلمة ، فالمؤلف اسمه أحمد بن فضال لا « محمد بن فضال » وقلنا ما فيه الكفاية هناك .
 (٥) سورة الفاتحة .
 (٦) سورة الاخلاص .
 (٧) في الأصل : « إلى صار » وهو تصحيف ، ولعله : « إن صار » أو « إذا صار له ملك الصقالية » .
 (٨) في الأصل : « على ما يقال له خلجة » ولعلها ماء كما يأتي بمد ولم نستطيع أن نجد الموضوع في مواجم البلدان ، فاعلمها مصحفة عن « خلجية » كما ذكرها ابن الورري في خريدة العجائب ٨٩ (طبعة مصر ١٩٣٩) - أو هي خليج من مدن الخزر كما في نخبة الدهر ٢٦٣ .

وهي ثلاث^(١) بحيرات ، منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، إلا أنه^(٢) ليس في جميعها شيء يُلحَقُ غوره . وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصبُّ إلى بلاد الخزر يقال له « نهر إتل » نحو الفرسخ^(٣) . وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كل مدينة ، ويباع فيها المتاع الكثير النفيس .

* * *

١٩

وكان « تكين » حدثني أنَّ في بلد الملك رجلاً^(٤) عظيم الخلق جداً . فلما صرتُ^(٥) إلى البلد سألتُ الملك عنه ، فقال : نعم ، قد كان في بلدنا ومات ، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً . وكان من خبره أنَّ قوماً من التجار خرجوا إلى « نهر إتل » [وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد]^(٦) كما يخرجون . وهذا النهر قد مدَّ وطني^(٧) ماؤه فلم أشعر

(١) في نسختنا : « ثلاثة بحيرات منها اثنتان كبار » فصوبناها .

(٢) في نسختنا : « إلا ان ليس » فاضفنا الهاء إلى « أن » .

(٣) تكلمنا عن نهر اتل في تعليقاتنا السابقة - وفي الأصل هنا : « نحو الفرس » وهي سهو من الناسخ أصلها : « نحو الفرسخ » كما أن الناسخ يخطئ دائماً في رسم اتل فيجعلها (آتل) .

(٤) هنا يرجع ياقوت إلى النقل عن ابن فضلان في صدد تعريفه لنهر اتل ، فيقول : ١ / ١٢٢ : « بلغني أن فيها رجلاً عظيم » .

(٥) في ياقوت : « فلما سرت إلى الملك سأله عنه » .

(٦) أضفناها من ياقوت .

(٧) في نسختنا : « وطفا ماؤه » وفي ياقوت : « وطني ماؤه » وهي أصوب فأخذنا بها .

يوماً^(١) إلا وقد وافاني جماعة من التجار^(٢) ، فقالوا : أيها الملك ، قد قفا على [الماء]^(٣) رجل إن كان من أمة تقرب^(٤) منا ، فلا مقام لنا في هذه الديار ، وليس [لنا]^(٥) غير التحويل .

فركبت معهم حتى صرت^(٦) إلى النهر فإذا أنا بالرجل ، وإذا هو بذراعي^(٧) اثنا عشر ذراعاً ، وإذا له رأس كأ كبير^(٨) ما يكون من القدور ، وأنف أكثر^(٩) من شبر ، وعينان^(١٠) عظيمتان ، وأصابع^(١١) تكون أكثر من شبر. شبر ، فراعني أمره ، وداخلني ما داخل القوم من الفزع ، وأقبلنا نكلمه ولا يكلمنا^(١٢) ، بل ينظر^(١٣) إلينا .

فحملته إلى مكاني ، وكتبت إلى أهل « ويسو » وهم منا على ثلاثة

-
- (١) كلمة « يوماً » لا توجد في ياقوت .
 (٢) كلمة « من التجار » لا توجد كذلك في ياقوت .
 (٣) مبتورة في نسختنا أخذناها عن ياقوت -- ولعل « قفا » مصحفة عن « طفا » .
 (٤) في نسختنا : « بقرب منا » - وفي ياقوت : « تقرب »
 (٥) ناقصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .
 (٦) في ياقوت : « حتى صرت إلى النهر ووقفت عليه » .
 (٧) في ياقوت : « وإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً » .
 (٨) في نسختنا : « رأس أكبر من القدور » - وفي ياقوت : « وإذا رأسه كأ كبير ما يكون » .
 (٩) في ياقوت : « وأنفه أكبر من شبر » .
 (١٠) في ياقوت : « وعيناه » .
 (١١) في ياقوت : « وأصابعه كل واحدة شبر » .
 (١٢) في ياقوت : « وهو لا يتكلم » .
 (١٣) في الأصل بنسختنا : « الا ينظر » - وفي ياقوت : « ولا يزيد على النظر البنا » ، فجعلنا بدلاً من « الا » حرف « بل » .

أَشْهَرُ أَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، فَكَتَبُوا ^(١) إِلَيَّ يَعْرِفُونَنِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ « يَا جُوجِ »
 وَمَأْجُوجِ » ^(٢) . وَهُمْ مَنَّا عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَرَاةٍ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْبَحْرُ ،
 لِأَنَّهُمْ عَلَى شَطِّهِ ، وَهُمْ مِثْلُ الْبِهَائِمِ ^(٣) يَنْكَحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، يُخْرِجُ اللَّهُ
 — عَزَّ وَجَلَّ — لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ سَمَكَةً مِنَ الْبَحْرِ ، فَيَجِيءُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ وَمَعَهُ ^(٤)
 الْمِدْيَةُ فَيَحْزُ مِنْهَا قَدْرًا مَا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي عِيَالَهُ ، فَإِنْ أَخَذَ فَوْقَ مَا يَقْنَعُهُ ^(٥)
 اشْتَكَى بَطْنَهُ ، وَكَذَلِكَ عِيَالُهُ يَشْتَكُونَ بِطُونِهِمْ . وَرَبَّمَا مَاتَ وَمَاتُوا بِأَسْرِهِمْ .
 فَإِذَا أَخَذُوا مِنْهَا [حَاجَتِهِمْ] ^(٦) انْقَلَبَتْ وَوَقَعَتْ ^(٧) فِي الْبَحْرِ . فَهَمَّ فِي كُلِّ
 يَوْمٍ عَلَى ذَلِكَ .

[٢٠٨ظ]

وَيَبْنُوا وَيَبْنِيهِمُ الْبَحْرُ مِنْ جَانِبٍ || وَالْجِبَالُ مُحِيطَةٌ ^(٨) بِهِمْ مِنْ جَوَانِبِ

- (١) فِي يَاقُوتَ : « أَسْأَلُهُمْ فَعَرَفُونَنِي أَنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنْ « — وَلَعَلَّ الْأَنْضَلَ أَنْ تَكُونَ هُنَا « يَعْرِفُونَنِي » .
 (٢) أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ بِمِثَّةٍ بَرِيَّةٍ إِلَى سِدِّ يَا جُوجِ وَمَأْجُوجِ ، وَتَحَدَّثَ عَنْهَا سَلَامُ التَّرْجَمَانِ بِأَسْلُوبٍ مَمْتَعٍ —
 انظُرْ يَاقُوتَ ٥٣/٣ ، وَارْجِعْ إِلَى تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ ، بِالْجُزْءِ الْأَوَّلِ فِيهِ حَدِيثٌ مَطُولٌ عَنْهُ وَعَنِ الْقَوْمِ .
 (٣) فِي يَاقُوتَ : « وَانْتَهَمُ قَوْمٌ كَالْبِهَائِمِ الْهَائِلَةِ عَرَاةَ حَفَاةٍ يَنْكَحُ » .
 (٤) فِي نَسَخَتْنَا : « وَمِنْهَا الْمِدْيَةُ » وَصَوَابُهَا مَارَسْنَا — وَفِي يَاقُوتَ : « فَيَجِيءُ الْوَاحِدَ بِمِدْيَةٍ فَيَحْزُ مِنْهَا بِقَدْرِ
 كِفَايَتِهِ وَكَفَايَةِ عِيَالِهِ » .
 (٥) فِي نَسَخَتْنَا : « فَوْقَ مَا يَقْنَعُهُمْ » وَصَوَابُهَا مَا وَضَعْنَا — وَفِي يَاقُوتَ : « فَإِنْ أَخَذَ فَوْقَ ذَلِكَ اشْتَكَى بَطْنَهُ
 هُوَ وَعِيَالُهُ » .
 (٦) رَأَيْنَا أَضَافَتَهَا عَنْ يَاقُوتَ لِسِيَاقِ .
 (٧) فِي نَسَخَتْنَا : « وَرَفَعَتْ فِي الْبَحْرِ » وَاعْلَمْنَا مَصْحَفَةً : « وَوَقَعَتْ فِي الْبَحْرِ » فَصَوَّبْنَاهَا — وَفِي يَاقُوتَ :
 « وَعَادَتْ إِلَى الْبَحْرِ وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ » — وَحِكَايَةُ الْكَلِمِ السَّمَكِ جَاءَتْ فِي يَاقُوتَ عَنِ الْقَوْمِ ٥٣/٣ :
 « قَالُوا : يَقْدَفُ الْبَحْرُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ سَمَكَتَيْنِ يَكُونُ بَيْنَ رَأْسِ كُلِّ سَمَكَةٍ وَذَنْبِهَا مَسِيرَةٌ عَشْرَةَ أَيَّامٍ
 أَوْ أَكْثَرَ » . وَكُلُّهَا خَرَافَاتٌ تَتَنَاقَلُهَا الْكُتُبُ .
 (٨) يَخْتَصِرُ يَاقُوتَ هُنَا : « وَيَبْنُوا وَيَبْنِيهِمُ الْبَحْرُ وَجِبَالٌ مُحِيطَةٌ » ثُمَّ يَهْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ سَطْرًا وَبَعْضَ السَطْرِ .

أخر: والسُدُّ^(١) أيضاً قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه ،
فإذا أراد الله - عز وجل - أن يُخرجهم^(٢) إلى العمارات سبب لهم فتح
السُدِّ ونضب البحرُ وانقطع عنهم السمك .

قال :

فسألته عن الرجل^(٣) ، فقال : أقام عندي مدة فلم يكن ينظر إليه
صبي إلا مات ، ولا حامل إلا طرحت حملها . وكان إن تمكن من إنسان
عصره بيديه حتى يقتله . فلما رأيت ذلك علقتُه في شجرة عالية حتى مات .
إن أردت أن تنظر إلى عظامه ورأسه مضيت معك حتى تنظر إليها .
فقلت : « أنا والله أحب ذاك فركب معي إلى غيضة كبيرة فيها شجر عظام
فتقدمني^(٤) إلى شجرة^(٥) [سقطت عظامه] ورأسه تحتها ، فرأيت رأسه مثل

(١) انظر خبر السدِّ في ياقوت ٣ / ٥٣ .

(٢) في ياقوت : « فإذا أراد الله اخراجهم انقطع السمك عنهم ونضب البحر وانفتح السد » .

(٣) هنا تخلف رواية ياقوت ، فلمعه شاء أن يوجز في الحكاية فقال : « ثم قال الملك وأقام الرجل عندي
مدة ثم علقت به علة في نخره فمات بها » وهو بذلك يناقض رواية ابن فضالان في موته . فيجمل وفاته
بالعلة ، ولا يقص علينا ما في الرسالة من أخباره في الهول والفرع ، كأنه لا يصدقها . وسبب ذلك ما وقع
من تصحيف في النسخة التي نقل عنها ياقوت ، فيما نظن ، فان كلمة : « شجرة عالية » قد تحرفت إلى
« نخره علة » وقد وقع في بعض مخطوطات معجم البلدان لياقوت : « علة في منخره » وكلها تصحيف ،
وأصوبها ما جاء في نسختنا .

(٤) في نسختنا : « فقدمني » ولعلها « فقدمني » أو « تقدمني » .

(٥) وقع هنا بياض ، فرأي بعضهم أن يكون « جثته فوقها » - وفي طبعة وليدي قال انه رأى ورقة
مطموسة الحروف ملصقة بالأصل فنقلها وهي : « شجرة سقطت عظامه ورأسه » .

القفير^(١) الكبير ، وإذا أضلعه أكبر [من] عراجين^(٢) النخل ، وكذلك
عظام ساقيه وذراعيه ، فتعجبت^(٣) منه ، وانصرفت .

* * *

٢٠

قال :

وارتحل الملك من الماء الذي يسمى « خلجه »^(٤) ، إلى نهر يقال له
« جاوشيز » ، فأقام به شهرين ، ثم أراد الرّحيل فبعث إلى قوم يقال لهم
« سواز »^(٥) يأمرهم بالرّحيل معه ، فأبوا عليه ، واقتروا فرقتين ، فرقة
مع ختنه^(٦) ، وكان قد تملك عليهم ، واسمه « ويرغ »^(٧) . فبعث إليهم
الملك ، وقال : « إنّ الله - عز وجل - قد منّ عليّ بالإسلام^(٨) وبدولة

(١) القفير : خلية الذئب .

(٢) عراجين : جمع عرجون ، وهو أصل المدق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً .

(٣) اختصر ياقوت في وصف مارأى ابن فضالان من عظام الرجل ، فروى : « وخرجت فرأيت عظامه فكانت هائلة جداً » وذلك لأنه لا يصدق مثل هذا ، وقد صرح قائلًا بعد الرواية : « قال المؤلف : هذا وأمثاله هو الذي قدمت البراءة منه ولم أضمن صحته » .

(٤) مرت بنا هذه الكلمة ، وحررنا في تمليقنا عليها فلم نستطع معرفة المكان ، ومثلها « نهر جاوشيز » وهو نهر وصفه ابن فضالان في الصفحة التالية ولعله فرع من نهر الكاماك في كانار ص ١١٠ .

(٥) في الأصل « سوان » ويرى بعض المستشرقين أن تكون « سوار » .

(٦) هذه العبارة غامضة ، ورأى بعض المستشرقين أن تكون : « مع خسة » وفي وليدي : « مع ختنه » فأخذنا بروايته .

(٧) الاسم غامض لم نهتد إليه في المصادر .

(٨) حام المستشرقون حول اسلام ملك الصقالبة وزمانه . والمسعودي ٢ / ١٦ يروي أن ابن ملك البلغار الصقالبة حج قبل عام ٣٢٠ ، ومرّ ببغداد ، واكرمه القوم فيها . فهل كان هذا بتأثير ابن فضالان ؟

أمير المؤمنين ، فأنا عبده ، وهذه الأ [مة] ^(١) قد قلّدتني [فمف] ^(٢)
خالفني لقيته بالسيف . وكانت الفرقة الأخرى مع ملك من قبيلة يُعرف
بملك ^(٣) اسكل ، وكان في طاعته ، إلا أنه لم يكن داخلاً ^(٤) في الإسلام .

فلما وجه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته ، فرحلوا بأجمعهم معه إلى
« نهر جاوشيز » وهو نهر قليل العرض ، يكون عرضه خمسة أذرع ، وماؤه
إلى الشرة ، وفيه مواضع إلى الترقوة ^(٥) ، وأكثره قامة . وحوله شجر ^(٦)
كثير من الشجر الخدنك وغيره .

وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أن بها حيواناً دون الجمل في

الكبر ، وفوق الثور ، رأسه رأس جمل ، وذنبه ذنب ثور || وبدنه بدن [٢٠٩ و]
بغل ، وحوافرُه مثل أظلاف الثور ، له في وسط رأسه قرن واحد غليظ
مستدير ، كلما ارتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح ، فمنه ما يكون
طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل ، يرتعي ورق الشجر ،

(١) ضاع أكثر الكلمة فأكملناها كما تراهي لنا ، وهي ناقصة في ياقوت ، وفي طبعة وليدي : « قد قلّدتني »
فأخذنا بها وفي كانار ص ١١١ : « وهذا الأمر قد قلّدتني »

(٢) بياض ملأناه للسياق .

(٣) طمس أكثر الكلمة ولكن من السهل ردها - وجاء ثانية في الورقة ٢٠٩ ظ ، وقال ابن فضلان إن
هذا الملك تحت يد ملك الصقالبة . وكانت الكلمة : « تعرف » فجعلناها « يعرف » .

(٤) في الأصل : « لم يكن داخل » وهو خطأ نحوي من أخطاء الناسخ .

(٥) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ؛ جمعها التراقي والترايق .

(٦) هنا طمس في المخطوطة ، رسمه وليدي بقوله : « ينبت كثير » - ولكننا تركناه فاستقامت الجملة بدونه .

جيد الخضرة^(١) . إذا رأى الفارس قصده ، فإن كان تحته جواد آمن^(٢) منه
بجهد ، وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ، ثم زجَّ به في الهواء ، واستقبله
بقرنه^(٣) ، فلا يزال كذلك حتى يقتله . ولا يعرض للدابة بوجه ولا سبب ،
وهم يطلبونه في الصحراء والغياض حتى يقتلوه^(٤) . وذلك أنهم^(٥) يصعدون
الشجرَ العالية التي يكون بينها^(٦) ، ويجمع لذلك عدة من الرماة بالسهم
المسمومة فإذا توسَّطهم رموه حتى يُشخَّونه ويقتلوه^(٧) .

ولقد رأيتُ عند الملك ثلاث^(٨) طيفوريات كبار تُشبه الجزع^(٩) اليماني
عرفني أنها معمولة من أصل قرن هذا الحيوان . وذكر بعض أهل البلد
أنه الكركدن .

* * *

- (١) في الأصل : « جيد الخضر » .
(٢) في الأصل : « أمنت » والمقصود هو الرجل فيما نرى .
(٣) هذا هو الحيوان المعروف بوحيد القرن وهو الكركدن اشتهر وجوده في الهند له جثة الفيل وخلقة
الثور ذو حافر على رأسه قرن واحد ، كما يقول بمد قليل .
(٤) في النسخة : « حتى يقتلونه » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .
(٥) في الأصل : « أنه » ولعل صوابها كما رسمنا .
(٦) في الاصل : « الشجر العالية التي يكون بينها » - وفي وليدي : « تكون بيته » .
(٧) في النسخة : « حتى يشخَّونه ويقتلونه » وهو كذلك خطأ من الناسخ في النحو صوبناه .
(٨) في الأصل : « ثلاثة طيفوريات » فأصلحنا المدد - والطيفورية : صحن أو طبق عميق ، كما في تكملة
معاجم العرب لدوزي ٢ / ٤٨ ، وفي ابن بطوطة ٢ / ٣٩١ : « وبين أيديهن طيافير الذهب » .
(٩) في الأصل « الجزع » ويرى بعض المستشرقين أن تكون : الخرز اليماني .

قال :

وما رأيتُ منهم إنساناً يحمرُّ ، بل^(١) أكثرهم معلولٌ . وربما يموت أكثرهم بالقولنج^(٢) ، حتى أنه ليكون بالطفل الرضيع منهم . وإذا مات المسلم عندهم أو زوجُ المرأة^(٣) الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلة تجره ، وبين يديه مطرد^(٤) حتى يصيروا^(٥) به إلى المكان الذي يدفنونه فيه . فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة^(٦) وجعلوه على الأرض ، ثم خطّوا حوله خطأً ، ونحوه ، ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره ، وجعلوا له حُداً ، ودفنوه . وكذلك يفعلون بموتاهم .

ولا تبكي النساء على الميت ، بل^(٧) الرجال منهم يبكون عليه ، يجيئون^(٨)

(١) في النسخة : « بلى » ولعلها : « بل » .

(٢) القولنج : بضم القاف أو فتحها ، مرض مشهور معوي منسوب إلى المعى ، يؤلم جداً ، يسر معه خروج الثقل والريح .

(٣) في النسخة : « وإذا امرأة الخوارزمية وغسلوه » فجعلنا العبارة كما ترى ، وأضفنا كلمة زوج ، وحذفنا الواو قبل غسلوه .

(٤) في النسخة : « وبين بين يحطرد » بغير نقط وهي غامضة ، فعملها « بين اثنين » وقد اخترنا أن تكون يديه بدلاً من بين . وقد شرحنا المطرد قبل هذا ، ولم نهتد إلى معنى العبارة مع ذلك .

(٥) في الأصل : « حتى يصيرون » فحذفنا النون .

(٦) في النسخة : « عن النخلة » وهي تحصيف من الناسخ ، فقد ورد ذكر العجلة التي حمل عليها قبل قليل .

(٧) في النسخة : « بلى » وهي « بل » أخطأ فيها كما أخطأ في السطور السابقة .

(٨) في النسخة : « بجوز » وهي لاشك مصحفة ولعلها : « يجيئون » .

في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجّون بأقبح بكاء يكون وأوحشه .

هؤلاء للأحرار؛ ^(١) فإذا انقضى بكاؤهم وافي العبيد ومعهم جلود مضفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم ^(٢) وما ظهر من أبدانهم بتلك الشيور ^(٣) ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السوط ، ولا بد من أن ينصبوا ^(٤) || بياب ^(٥) قبته مطرداً ، ويحضرون سلاحه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين . [٢٠٩ظ]

فإذا انقضت السنتان ^(٦) حطّوا المطرد ، وأخذوا ^(٧) من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يعرف بها خروجهم من الحزن ، وإن كانت له زوجة تزوجت . هذا إذا كان من الرؤساء . فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم .

(١) في النسخة : « هؤلاء للأحرار » ولعل صوابها « هؤلاء الأحرار » أو « هؤلاء الأحرار » أو « هذا للأحرار » .

(٢) الجنوب : جمع جنب وهو شق الانسان .

(٣) في النسخة : « تلك السمور » وقد رأى المستشرقون أن تكون : « بتلك السمور » وهي معرفة في نظرهم عن السامير - ولكننا نرى أنها مصحفة عن « السيور » والسير قدوة من الجلد مستطيلة جمعها سيور وقد يجمع على أسيار ، وما تزال في لغة العامة إلى اليوم ، فهي أصوب وأصح للسياق .

(٤) في النسخة : « أن ينصبون » وهي برهان من ألف برهان على أخطاء الناسخ في النحو وضعفه فيه .

(٥) في النسخة : « باب قبته » فأضفنا باء الجر - والمطرد : العلم كما شرحنا .

(٦) في النسخة : « السنتين » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٧) أخذوا من شعورهم : أي قصوها ، يقال أخذ من شاربه ومن شعره إذا قصه . وإطالة الشعر للحزن عندهم على عكس العرب ، فهم إذا اطالوا الشعر فلأفراح . وأبو فراس الحمداني في ديوانه ، كما طبعناه بتحقيقنا حين يرثي امه ينكرو إطالة الشعر بعد موتها - انظر الديوان ٢ / ٢١٧ .

وعلى ملك الصقالبة ضريبةً يؤدّيها إلى ملك الخزر من كلّ بيت في مملكته جلد سمور^(١) .

وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها ، وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك^(٢) أن يختار من كلّ عشرة أرؤس رأساً .

وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر . وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة^(٣) ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها ، فاحتجّ عليه ، وردّه ، فبعث وأخذها غصباً ، وهو يهودي ، وهي مسلمة ، فماتت عنده ، فوجه يطلب بنتاً^(٤) له أخرى . فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك « اسكل » ، وهو من تحت يده خيفة^(٥) أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها . وإنما^(٦) دعا ملك الصقالبة أن يكتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر .

* * *

- (١) شرحنا في الصفحات السابقة هذه الكلمة .
 (٢) في النسخة : « فالملك » وصوابها مارسمنا للسياق .
 (٣) في النسخة : « عن ابنته ملك » وهي خطأ من الناسخ صوبناه .
 (٤) هنا يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سألة أخرى » ولا نرى وجهاً لتبديل الكلمة فهي صحيحة في النسخة والسياق يفسرها ، فقد ماتت البنت الأولى فطلب الأخرى ، ولكنه بادر فزوجها ،
 (٥) في النسخة : « وخيفة » فحذفنا الواو ، لأنه بدونها يحسن السياق .
 (٦) لعلها : « وهذا ما دعا » - وسنرى في الكلام على الخزر أن ملكهم يأخذ من بنات الملوك الذين يجاذونه ما يشتهي طوعاً أو كرهاً ، وعنده خمس وعشرون امرأة ؛ فهي عاداته مع كل جيرانه لامع الصقالبة وحدهم .

قال :

وسألته يوماً فقلتُ له : « مملكته واسعة ، وأملاكه جمة وخراجك كثير ، فلم سألتَ السلطانَ أن يبنى حصناً بجالٍ من عنده لا مقدار له » ؟ فقال : « رأيتُ دولةَ الإسلامِ ^(١) مقبلةً ، وأمواهم يؤخذ من حلها ^(٢) ، فالتمستُ ذلك لهذه العلة ، ولو أني أردتُ أن أبنى حصناً من أموال من فضةٍ أو ذهبٍ لما تعذرتُ ذلك عليّ . وإنما تبرّكتُ بجال أمير المؤمنين ، فسألته ذلك » .

(١) في الأصل طمس بقي منه « الاسلام » فرأينا أن تكون « الاسلام » - وفي وليدي : « الأمراء »

(٢) في الأصل : « من حلها » فرأى أحد المستشرقين أن تكون من كلمة « حلّ وربط » وهي من باب

الأموال العامة - ولكننا نرى أن تكون بمعنى حلال ضد الحرام ، والسياق بعد ذلك يدل على المعنى .

[الرواية]

1885

٢١

قال :

ورأيتُ الروسية^(١) وقد وافوا في تجارتهم ، ونزلوا على « نهر إتل^(٢) » فلم أر أتمَّ أبداناً منهم كأنهم النخل^(٣) ، شقر حمر^(٤) لا يلبسون القراطق ولا الخفّاتين [ولكن يلبس]^(٥) الرجل منهم كساءً يشتمل به على أحد شقّيه ، ويخرج إحدى يديه منه . ومع كل واحد منهم فأس وسيف [٢١٠ و] وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا .

وسيو فهم صفائح مُشَطَّبة^(٦) أفرنجية . ومن [حدّ]^(٧) ظُفر الواحد

- (١) هنا يبدأ ياقوت من جديد في النقل عن ابن فضلان ، مادة « روس » بمجمعه ٢ / ٨٣٤ ، وقد أورد أقوال المقدسي ، وغيره ، ثم اتبعه بما عندنا في النسخة . وقد نشر هذا القسم كما قلنا المستشرق فرن سنة ١٨٢٣ وسنفيد من تعليقاته المطولة بالألمانية . ويقول ياقوت أنهم مئة ألف انسان عن المقدسي .
- (٢) يقول الادريسي إنّه المعروف بنهر الرس ، وقد علقنا في الحواشي عن موقعه وقابلنا ماجاء عنه في معجم البلدان لياقوت .
- (٣) وفي أمثال الميداني عن الاجسام : « ترى الفتيان كالنخل » .
- (٤) ينقل فرن عن أخبار الدول لأبي العباس الدمشقي ، مخطوطة في وصف الروس : « وهم بيض شقر » ويقول العرب غالباً عن البيض أنهم شقر ، وفي نخبه الدهر : « وفي هذا الاقليم الترك والخزر والفرنج والأرمنية وباشغرد ومن سامتهم ، وهؤلاء يسمون الشقر » .
- (٥) بياض في الأصل أخذناه عن ياقوت ، والقراطق والخفّاتين مرّ شرحها بالورقة ١٩٩ و
- (٦) الشطبة : طريقة السيف ، أي الواحدة من الخطوط التي في نصله جمعها شطب .
- (٧) الكلمة مطموسة أخذناها عن ياقوت - وقد علق فرن على هذه الجملة مطولاً (ص ٧٦) فنقل إلينا ترجمة المستشرق ده ساسي ، بما خلاصته أن الواحد منهم من ظفر رجله إلى رقبته صور مثل الأشجار والاشكال ، أي أن أجسامهم طبعت عليها الصور من أخمص القدم إلى الرأس مثل اللوحه كما يقول القدماء - وفي قصة ألف ليلة وليلة قريب من هذا المعنى هذه عبارته : « ثم أعرتة ، وركبت النقش على يديه من ظفروه إلى كتفه ، ومن مشط رجله إلى فخذيه ، وكتبت سائر جسده ، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر » - انظر الطبعة الروسية في الصفحة ١٣٢ ، وفيها يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « محضر شجر » .

منهم إلى عنقه مخضر شجرٍ وصور ، وغير ذلك .

وكلّ امرأة منهم فعلى ثديها حُمَّة^(١) مشدودة إما من حديد وإما من فضة ، وإما نحاس ، وإما ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره . وفي كل حُمَّة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضاً . وفي أعناقهنّ^(٢) أطواق من ذهب وفضة ؛ لأنّ الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقاً ، وإنّ ملك عشرين ألفاً صاغ لها طوقين ، وكذلك كلّ^(٣) عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقاً لامرأته . فربّما^(٤) كان في عنق الواحدة منهنّ الأطواق الكثيرة .

وأجلّ الحليّ عندهم الخرز^(٥) الأخضر من الخنزف الذي يكون على السفن

(١) في نسختنا : « حلقة » - وفي ياقوت : « حقة » . والحقة (بالضم) وعاء من الخشب ، وقد تسوى من العاج ، وقد ذكرها عمرو بن كاثوم في معلقته فقال : « وثدياً مثل حق العاج رخصاً » . وابن فضلان يكرر الكلمة ثانية صحيحة فيقول « حقة » لذلك صوبناها .

(٢) في نسختنا « وفي أعناقهم » وصوابها ما في ياقوت : « وفي أعناقهنّ » - ونحدث المستشرق فرهن ص ٧٨ عن الذهب والفضة ووصولها إلى روسية وضرب العملة ، وكلامه هام يجدر الرجوع إليه لمعرفة تبادل الدرهم والعملة أيام العباسيين لذلك الزمان ، وما وجد منها في المتاحف .

(٣) الجملة في ياقوت : « وكلما زاد عشرة آلاف درهم يزيد لها طوقاً آخر » .

(٤) غامضة في نسختنا أخذناها من ياقوت .

(٥) الخرز ما ينظم في السلك من الجذع والودع ، أو من فصوص الحجارة الكريمة ، والخرزات جواهر التاج ، وفي القاموس : « خرزات الملك جواهر تاجه ، كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ليعلم سني ملكه » - انظر تعليقات فرهن ٨٦ - ٩١ عن الكتب في الحرر ومواقع وجوده وقد شرح الخنزف بأنه كل ما عمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً ، ثم أورد ترجمة المستشرقين لهذه الجملة بما يخص السفن ، وأحال إلى كتب الرحلة عن الفرس وأرمينية ، ورأى أن تكون الخنزف مصحفة عن « الخرز » .

يبالغون^(١) فيه ، ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظّمونه^(٢) عقوداً لنسائهم .
 وهم أقدر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ،
 ولا يغسلون أيديهم من الطعام ، بل هم كالحمير الضالّة ، يخيئون^(٣) من بلدهم
 فيرسون سفنهم بإتال ، وهو [نهر]^(٤) كبير ، ويبنون على شطّه^(٥) بيوتاً
 كباراً من الخشب .

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر . ولكلّ
 واحد سرير^(٦) يجلس عليه ، ومعهم الجوّاري^(٧) الرّوقة للتجار ، فينكح
 الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر إليه . وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه
 الحال بعضهم بجذاء بعض . [وربّما]^(٨) يدخل التاجر [عليهم]^(٩) ليشتري
 من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى^(١٠) يقضي أربه .

(١) في نسختنا : « يايعون فيه » - وفي ياقوت : « يبالغون فيه » وهي أصوب ، ولعل الذي ساق الناسخ إلى هذا هو وجود كلمة الشراء بعدها .

(٢) في نسختنا : « وينظّمون » ، وفي ياقوت : « وينظّمونه عقوداً لنسائهم » - وفي طبعة فراهن عن المخطوطات : « وينظّمون عقد النسائهم » وهو تصحيف .

(٣) في نسختنا « بحوز » وهي « يخيئون » كما في ياقوت ، والناسخ يصحّفها دائماً على هذا الشكل .

(٤) بياض أكملناه من ياقوت .

(٥) في ياقوت : « شاطئة » .

(٦) السرير : المقعد ، أو الديوان ، أو الصفة - انظر فراهن ٩٣ .

(٧) في نسختنا : « الجوار روقة » - وفي ياقوت : « ومعهم جواريه الروقة » فصوبناها - والجوّاري الروقة : هنّ الجوّاري الجميلات يرقن للناس .

(٨) ناقصة أخذناها عن ياقوت وحذفنا الواو قبل « يدخل » .

(٩) أخذناها من ياقوت للسياق .

(١٠) في نسختنا : « أو يبعض أربه » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « حتى يقضي أربه »

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون^(١)
وأطفسه . وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ، ومعها قصعة^(٢) كبيرة
فيها ماء ، فتدفعها إلى مولاها فيغسل^(٣) فيها يديه ووجهه ، [وشعر رأسه
فيغسله]^(٤) ويسرّحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويبصق فيها ، ولا [يدع
شيئاً من القدر إلا فعله]^(٥) || في ذلك الماء . فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت
الجارية القصعة إلى الذي^(٦) إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ، ولا تزال
ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وكل واحد
منهم يمتخط ويبصق [فيها]^(٧) ويغسل وجهه وشعره فيها .

[٢١٠ ظ]

* * *

وساعة توافي^(٨) سفنهم إلى هذا المرسي يخرج^(٩) كل واحد منهم

- (١) في نسختنا : « بأقذر ما يكون » - ولعلها : « بأقذر ماء يكون » وليست في ياقوت لأنه اختصر الجملة وأوجز فيها ونحن نرى في هذا التعبير صورة لتعابيره المعروفة فهو يقول : « كأعظم رجل يكون » ، و « بأقبح بكاء يكون وأوحشه » وأما الطفس فهو القدر النجس .
- (٢) في نسختنا : « ومعها غضمة » وهي مصحفة وصحيحها يأتي بعد قليل وفي ياقوت .
- (٣) في نسختنا : « فيغتسل منها » - وفي ياقوت : « فيغسل فيها وجهه ويديه » .
- (٤) بياض في نسختنا مألوفه عن ياقوت .
- (٥) بياض في النسخة مألوفه عن ياقوت .
- (٦) في ياقوت : « إلى الذي يليه فيفعل » .
- (٧) أضفناها من ياقوت للسياق .
- (٨) في نسختنا « وساعة توافي سفنهم » - وفي ياقوت : « وساعة موافاة سفنهم » فصوبنا كلمة « سفن » .
- (٩) في نسختنا : « قد خرج » - في ياقوت : « يخرج » .

ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ^(١) ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان ، وحولها صور صغار ؛ وخلف تلك الصور خشب طوال ، قد نُصبت في الأرض ؛ فيوافي إلى الصورة الكبيرة ، ويسجد لها ، ثم يقول لها : « يا ربّ قد جئت من بلد^(٢) بعيد ، ومعي من الجوارية كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلدأ » ، حتى يذكر جميع ما قدم^(٣) معه من تجارته . [ثم يقول]^(٤) : « وجئتك بهذه الهدية » - ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة - [ويقول]^(٥) : « أريد أن ترزقني تاجراً معه دنائير ودرهم كثيرة فيشتري مني كل ما^(٦) أريد ولا يخالفني فيما أقول » ؛ ثم ينصرف .

فإن تعسّر عليه بيعه وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، فإن تعذّر^(٧) ما يريد حمل إلى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية ،

(١) يعلق فرهن ص ٩٧ على نبيذ ، فينقل آراء زملائه ، بأنه قد يتخذ من التمر ، أو هو كما في رحلة عبد اللطيف البغدادي : « وشراهم المرز وهو نبيذ يتخذ من القمح » .

(٢) في ياقوت : « من بعد » - وفي نسخة كوبنهاغ : « من بلد بعيد » ويبدو أن هذه المخطوطة من معجم ياقوت تتفق في كثير مع روايات نسختنا عن ابن فضالان . وهذا يدل على أن المعجم يجب أن يعاد طبعه على ضوء المخطوطات المتفرقة .

(٣) في طبعة فرهن لياقوت عن الروس : « جميع ما تقدم معه من تجارته » .

(٤) أضقناها عن ياقوت للسياق .

(٥) أضفناها كذلك عن ياقوت لتام السياق ووضوحه . وحذفنا الفاء قبل فعل « أريد » لتابعة ياقوت .

(٦) في نسختنا : « كما أريد » - وفي ياقوت : « كلما أريد » فصوبناها .

(٧) في ياقوت : « فان تعذر عليه » .

وسألها^(١) الشفاعة ، وقال : « هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه^(٢) » ، فلا يزال يطالب^(٣) إلى صورة صورة يسألها ، ويستشفع بها ويتضرع بين يديها ، فربما تسهل^(٤) له البيع فباع ، فيقول : « قد قضى ربي حاجتي ، وأحتاج أن أكافيه » . فيعمد إلى عدة من الغنم أو البقر^(٥) فيقتلها ويتصدق^(٦) ببعض اللحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين [يَدَيَّ]^(٧) تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي^(٨) حولها . ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك . فيقول^(٩) الذي فعله : « قد رضي ربي عني وأكل هديتي » .

* * *

وإذا مرض منهم الواحد [ضربوا له خيمة]^(١٠) ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلمونه ، [بل

(١) في نسختنا : « وسألهم » - وفي ياقوت : « وسألها » .

(٢) ، (٣) كلمتان زائدتان هنا ، لانقمان في ياقوت .

(٤) في نسختنا : « يسهل » - وفي ياقوت : « تسهل » .

(٥) يزيد ياقوت : « على ذلك » .

(٦) في نسختنا : « ويصدق » - وفي ياقوت : « ويتصدق » .

(٧) أضفناها من ياقوت .

(٨) في نسختنا : « الذين » - وفي ياقوت : « التي » .

(٩) في نسختنا : « ويقول » - وفي ياقوت : « فيقول » .

(١٠) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .

لا يتهادونه [(١) في كل أيام (٢) مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً .
فإن برى (٣) وقام رجع إليهم ، وإن مات أحرقوه ، فإن كان مملوكاً تركوه [٢١١ و]
على حاله تأكله (٤) الكلاب وجوارح الطير .

وإذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه
حبلًا وثيقاً ، وعلقوه [فيها ، ويبقى معلقاً] (٥) حتى يتقطع [من
المكث] (٦) بالرياح والأمطار .

* * *

٢٢

وكان يقال [لي] (٧) إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها
الحرق . فكنت أحب أن أقف على ذلك ، حتى بلغني موت رجل منهم
جليل ، فجعلوه في قبره ، وسقفوا (٨) عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع
ثيابه وخباطتها .

- (١) بياض كذلك في نسختنا ، أخذناه من ياقوت .
(٢) في ياقوت : « في كل أيام » ولعل كلمة ماسقطت بين كل وأيام ، مثل كلمة « ثلاثة » أو أن تكون
« في كل أيام مرضه » كما في تعليقات المستشرق فرهن ص ١٠١ ، فأخذنا بها عن نسخة كوبنهاغ لياقوت .
(٣) في النسخة : « برأ »
(٤) في نسختنا « يأكله » - وفي ياقوت « تأكله » .
(٥) بياض ملأناه عن ياقوت .
(٦) إضافة أخذناها من ياقوت - وفي نسختنا « ينقطع بالرياح والأمطار » - وفي ياقوت : « حتى يتقطع
من المكث اما بالرياح أو بالأمطار » .
(٧) الزيادة من ياقوت وفيه : « انهم كانوا يفعلون » .
(٨) في نسختنا : « وسقفوه » - وفي ياقوت : « وسقفوا » .

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها ويحرقونها . والغني يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث . فثلث لأهله ، وثلث^(١) يقطعون له به ثياباً ، وثلث يبنذون^(٢) به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها ، وتُحرق مع مولاها .

وهم مستهترون بالنبيذ^(٣) يشربونه ليلاً ونهاراً ، وربّما مات الواحد منهم والقدح في يده . وإذا مات الرئيس [منهم]^(٤) قال أهله لجواريه وغلمانه : « من منكم يموت معه ؟ » فيقول بعضهم : « أنا » فإذا قال ذلك ، فقد وجب [عليه]^(٥) لا يستوى له أن يرجع [أبداً]^(٦) ، ولو أراد ذلك ما ترك ، وأكثر من يفعل [هذا]^(٧) الجواري .

* * *

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه : « من يموت

(١) في نسختنا : « وثلثاً يقطعون ... وثلثاً يبنذون » وهو خطأ فأصلحناه .

(٢) في ياقوت : « يشربون به نبيذاً » .

(٣) في ياقوت : « مستهترون بالخمير يشربونها » .

(٤) زيادة من ياقوت .

(٥) زيادة من ياقوت .

(٦) زيادة كذلك من ياقوت - وفي صدد الحرق يعاق فرهن هنا ص ١٠٥ على العبيد والغلمان فينقل عن

شمس الدين الدمشقي بالورقة (١٣٣ و) قوله : « وهؤلاء يحرقون ملوكهم إذا ماتوا ويحرقون معهم عبيدهم واماءهم ونساءهم ، ومن كان خاصاً بهم كالكتاب والوزير والنديم والطبيب » .

(٧) في نسختنا : « وأكثر من يفعل الجواري » - وفي ياقوت : « وأكثر ما يفعل هذا الجواري » فأضفنا اسم الاشارة .

معه « ؟ فقالت ^(١) إحداهنّ : « أنا » . فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث ^(٢) سلكت ، حتى أنهما ربما غسلتا ^(٣) رجليها بأيديهما . وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له ، واصلاح ما يحتاج إليه . والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة .

فاما كان ^(٤) اليوم الذي يُحرق فيه هو والجارية ، حضرت إلى النهر [الذي] فيه ^(٥) سفينته ، فإذا هي قد أُخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الخدنك ^(٦) وغيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأناير الكبار ^(٧) من الخشب ، ثم مُدّت حتى جعلت على ذلك الخشب . وأقبلوا يذهبون ويجيئون ^(٨) ويتكلمون [بكلام لا أفهم ، وهو بعد في قبره لم يُخرجوه] ^(٩) . ثم جاءوا بسريير فجعلوه

(١) في نسختنا : « فقال » وهي خطأ .

(٢) في ياقوت : « حيث ما سلكت » .

(٣) في نسختنا : « غسلا رجليها » - وفي ياقوت : « غسلتا رجليها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٤) في نسختنا : « في اليوم » وحرف الجر زائد ، فحذفناه وهو لم يقع في ياقوت .

(٥) في نسختنا : « إلى النهر سفينته فيه » - وفي ياقوت : « الذي فيه سفينته » فأضفنا الذي وقدمنا حرف الجر وضميره .

(٦) في نسختنا : « من خشب الخدنك » - وفي ياقوت : « من خشب الخليج » - وفي طبعة فرهن للنص العربي : « من خشب الخلنج » وهو يملق بالصفحة ١٠٨ تعليقات مطولة ، « والخلنج على وزن سمد شجر يكون بأطراف الهند ، وقيل يكثر في جرجان ، وتتخذ من خشبه الأواني ، فارسي معرب » - ولعله الخدنك نفسه - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ١٨٤ والنصوص العربية عند فرهن حيث يصف زهره ووجه ولونه ولون عوده .

(٧) في نسختنا : « مثل الأناير الكبار » - وفي ياقوت : « مثل الاناس والكبار من الخشب » - والأناير جمع أنبار أو أنبير فارسية الأصل تعني فيما تعني الجسر الذي يوضع للسفينة .

(٨) في نسختنا : « ويجون » وهي مصحفة .

(٩) هنا بياض وطمس أذهب الكلمات وأبقى حرفاً قليلاً ، فأكملناه من ياقوت .

على [السفينة وغشوه بالمضربات الديباج الرومي]^(١) والمساند الديباج [الرومي] ، ثم^(٢) جاءت [امرأة عجوز يقولون لها]^(٣) || ملك الموت ، ففرشت على السرير الفرش^(٤) التي ذكرنا . وهي وليت خياطته وإصلاحه ، وهي تقتل^(٥) الجواري ؛ ورأيتها جوان بيرة^(٦) ، ضخمة ، مكفهرة .

فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحووا الخشب ، واستخرجوه في الإزار الذي^(٧) مات فيه ، فرأيته قد اسود لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهة وطنبوراً ، فأخرجوا جميع ذلك ، فإذا هو لم ينتن ولم يتغير^(٨) منه شيء غير لونه .

فألبسوه سراويل^(٩) ورائاً وخفياً^(١٠) وقرطماً وخفتان ديباج له أزرار

- (١) بياض كذلك ملأناه من ياقوت - والمضربات : المساند - والديباج الرومي : ضرب من الثياب ، وقيل المنسوج من ألوان مختلفة ، فارسي معرب .
- (٢) في نسختنا : « وجاءت » - وفي ياقوت : « ثم جاءت » .
- (٣) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .
- (٤) في ياقوت : « ففرشت على السرير الذي ذكرناه » .
- (٥) في ياقوت : وهي تقبل .
- (٦) في نسختنا « جوان بيرة » - وفي ياقوت : « حواء نيرة » وقد عالج المستشرقون هذه الكلمة ، فرأى أكثرهم أنها فارسية تتركب من كلمتين (جوان وبيره) أي شابة عجوز ، وفي تكملة المعاجم لدوزي ١ / ٢٢٩ يرسمها « جوانبيره » ويقول أنها بمعنى ساحرة أو تحترف صناعة السحر وهي الالهة الموت في الميتولوجيا .
- (٧) في نسختنا : « الذين » وصوابها مارستنا .
- (٨) في نسختنا : « ولم تغير » وصوابه في ياقوت .
- (٩) السراويل : هي الشلوار بالتركية ، وهو لباس قديم منذ سليمان النبي ، كما في السيوطي ، وقد مر بنا شرح الران على أنه نوع من الأحذية .
- (١٠) الخف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل ، سمي كذلك لخفته .

ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية^(١) . وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة . وأجلسوه على المضربة وأسندوه^(٢) بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه .

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه ، وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين^(٣) ، وألقوه في السفينة . ثم جاءوا بجميع^(٤) سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة .

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضاً وألقوهما فيها . ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما ، وطرحوهما فيها .

والجارية التي تريد [أن] تقتل^(٥) ذاهبة وجائئة تدخل قبة قبة من قباهم ، فيجامعها صاحب^(٦) القبة ، ويقول لها : « قولي لمولاي إنما فعلتُ هذا من محبتك » .

* * *

(١) في ياقوت : « ديباج سمور » .

(٢) في نسختنا : « وسندوه » - في ياقوت « وأسندوه » .

(٣) في نسختنا : « بنصيفين » وفي ياقوت : « نصفين » .

(٤) في نسختنا : « جمع سلاحه » .

(٥) في نسختنا : « تريد تقتل » - في ياقوت ؛ « التي تقتل » - وفي مخطوطة كوينهاغ لياقوت : « تريد أن تقتل » وهي قريبة من مخطوطتنا ، فأضفنا أن متابعة المخطوطة .

(٦) في ياقوت : « فيجامعها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولي » - وفي طبعة فرهن : « فيجامعها صاحب القبة يقول لها » - ومخطوطات ياقوت قريبة مما في نسختنا ، فأبقينا على روايتنا - وأما في كتاب هفت اقليم لأمين الرازي فالتفصيل يزيد النص أهمية ، وقد نقل عن مخطوطة لابن فضلان ضاعت -

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاءوا بالجارية إلى شيء ، قد عملوه مثل ملبن^(١) الباب ، فوضعت رجليها^(٢) على أكفّ الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام [لها]^(٣) ، فأنزلوها . ثم أصعدوها ثانية^(٤) ففعلت كـفعلها في المرّة الأولى ، ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ، ففعلت فعلها في المرتين . ثم دفعوا إليها^(٥) دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة .

فسألت الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرّة^(٦) أصعدوها : [هوذا أرى أبي وأمي]^(٧) ، وقالت في الثانية : هوذا [أرى]^(٨) جميع قرابتي الموتى [قُوداً ، وقالت في المرة الثالثة : هوذا أرى مولاي قاعداً في]^(٩) الجنة . [والجنة حسنة خضراء]^(١٠) ، ومعه الرجال [والغلمان ؛

(١) ملبن الباب : قالب الآجر ، وهو هنا حدود الباب من عوارض الفلق يضم ألواح ، ولبننا الباب : جانباه (والعلق عند البنائين حجر يجعل في وسط المدماك يسكر به) .

(٢) في ياقوت : « رجلها » .

(٣) زائدة من ياقوت

(٤) في نسختنا : « الثانية » وصوابها ما في ياقوت « ثانية » - وفي طبعة فرهن « الثانية » فكأنما أخذت عن مثل نسختنا .

(٥) في ياقوت : « دفعوا لها »

(٦) في ياقوت : « قالت في المرة الأولى » .

(٧) بياض في الأصل أكملناه من ياقوت .

(٨) زيادة من ياقوت لسياق .

(٩) بياض كذلك ، ملأناه عن ياقوت .

(١٠) جملة طمس أكثرها وبقي منها بعض الحروف فأكملناها عن ياقوت .

وهو يدعوني] ^(١) فاذهبوا [بي إليه ! « فرّوا بها] ^(٢) نحو السفينة فنزعت [وارين ^(٣) كانا عليها ، ودفعتهما إلى المرأة ^(٤) التي تُسمى [ملك الموت وهي] ^(٥) التي تقتلها . ونزعت خلخالين كانا ^(٦) عليها ، ودفعتهما [إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا] ^(٧) المرأة المعروفة بملك الموت .

ثم أصدوها إلى السفينة ، ولم يدخلوها [إلى القبة] ^(٨) . وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ^(٩) ، ودفعوا إليها قدحاً نبيداً فغنت عليه وشربته . فقال لي الترجمان : « إنها تودّع صواحباتها ^(١٠) بذلك » . ثم دُفع إليها قدح آخر ، فأخذته وطوّلت الغناء ، والعجوز تستحشها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها . فرأيتها وقد تبلّدت ^(١١) وأرادت دخول ^(١٢) القبة ،

-
- (١) بياض كذلك نقلناه عن ياقوت .
(٢) جملة طمس أكثرها وبقيت حروف ، فأكملناها عن ياقوت .
(٣) في نسختنا : « فنزعت وارين كانا معها » - في ياقوت : « فنزعت سوارين كانتا معها » .
(٤) في ياقوت : « المرأة العجوز » .
(٥) بياض أكملناه من ياقوت .
(٦) في ياقوت « كانتا عليها » - والخلخال حلية من فضة كسوار تلبسها نساء العرب في أرجلهم .
(٧) جملة أصاب أكثرها طمس فحاشا وبقيت بعض حروف أكملناها من ياقوت ، وقد حذف ياقوت كلمة « المرأة » .
(٨) في نسختنا : « ولم يدخلوا » وبمدها بياض أكملناه عن ياقوت .
(٩) في نسختنا : « التراس الخشب » - وفي ياقوت « التراس والخشب » - والتراس في الأصل جمع ترس وهو صفصه من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .
(١٠) في إحدى نسخ ياقوت : « صويحاتها » .
(١١) تبلّد : تردد متحيراً ، وفي الشعر القديم وردت الكلمة بهذا المعنى .
(١٢) في ياقوت : « الدخول الى القبة » .

فأدخلت [رأسها] ^(١) بينها وبين السفينة ، فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها ^(٢) القبة ، ودخلت معها .
 وأخذ ^(٣) الرجال يضربون بالخشب ^(٤) على التراس لئلا يُسمع صوتُ صياحها [فيجزع غيرها] ^(٥) من الجواري ، ولا يطلبن الموت مع مواليهن .
 ثم دخل ^(٦) إلى القبة ستة رجال [فجامعوا] ^(٧) بأسرهم الجارية . ثم أضجعوها إلى جانب ^(٨) مولاها ، وأمسك اثنان رجلينها واثنان يديها .
 وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً [مخالفاً ، ودفعته] ^(٩) إلى ائتين ليجذباه ^(١٠) . وأقبلت ومعهما خنجر ^(١١) عريض النصل ، [فأقبلت تدخله] ^(١٢) [بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه] ^(١٣) والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت .

- (١) إضافة من ياقوت لماء البياض في النسخة - وفي ياقوت : « فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة » .
 (٢) في نسختنا : « وأدخلته القبة » - وفي ياقوت : « وأدخلتها القبة ودخلت معها العجوز » .
 (٣) في ياقوت : « وأخذوا الرجال » .
 (٤) في نسختنا : « يضربون الخشب » - وفي ياقوت : « يضربون بالخشب » .
 (٥) طمس أكثر حروف الكلمة فأكملناها عن ياقوت .
 (٦) في ياقوت : « دخل القبة » .
 (٧) بياض أكملناه من ياقوت .
 (٨) في ياقوت : « الى جنب مولاها الميت » .
 (٩) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - ويرى المستشرق قرهن في تفسير الكلمة شها بالآية الكريمة : « أيديهم من خلاف » .
 (١٠) في نسختنا « ليجذباه » وهو خطأ في النحو على عادة الناسخ .
 (١١) في نسختنا : « ومعهما جهر » وهو تحريف صوابه في ياقوت .
 (١٢) طمس أكثر حروف هذه الجملة فأكملناها عن ياقوت .
 (١٣) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - وفي بعض نسخ ياقوت سطر يبدو انه سقط من نسختنا أو - من

ثم وافى [أقربُ النَّاسِ إلى ذلك الميث فأخذ خشبة^(١)] وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقري [نحو^(٢)] قفاه إلى السفينة، ووجهه [إلى الناس] والخشبة^(٣) المشعلة في يده الواحدة، ويده الأخرى على باب أسته، وهو عريان [حتى] أحرق الخشب المعبأ^(٤) الذي تحت السفينة [من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها]^(٥).

ثم وافى الناس بالخشب^(٦) والخطب، ومع [كل] واحد خشبة قد ألهب رأسها، فيلقونها في ذلك الخشب. فتأخذ^(٧) النار في الخطب، [ثم في السفينة ثم في القبة]^(٨)، والرجل والجارية، وجميع ما فيها. [ثم هبت]^(٩) ريح عظيمة هائلة [فاشتدَّ لهبُ النار]^(١٠) واضطرم تسعرها، [وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعتَه]^(١١) يكلم || الترجمان الذي [٢١٢ظ]

— نسخة ياقوت المطبوعة هذا نصه : « وجرتها ثم أدخلتها مرة أخرى في غير موضع من بين أضلاعها ، وجرتها فلم تزل تدخل السكين وتجرها في موضع بين أضلاعها » ولعلّ الجملة عندنا مختصرة من هذه .

(١) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت .

(٢) زيادة من ياقوت

(٣) في نسختنا : « ووجهه... والخشبة المشعلة في يده واحدة » - وفي ياقوت : « والخشبة في يده الواحدة »

فرأينا أن كلمة (وجهه) زائدة فحذفناها لأنه لا تتم لها ، فلمله يريد : « ووجهه إلى الناس » ، ثم أصلحنا « الواحدة » .

(٤) في ياقوت : « الخشب الذي عبوه تحت السفينة » .

(٥) إضافة من ياقوت من غير أن يوجد طمس أو نقص ، جعلناها لتتمة السياق .

(٦) في الأصل عندنا : : « وافى الناس الخشب » وصوابها في ياقوت

(٧) في نسختنا : « ويأخذ النار » فأضفنا الفاء .

(٨) بياض في نسختنا أتمناه عن ياقوت .

(٩) بياض كذلك لأناه عن ياقوت .

(١٠) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت ، وأصلحنا العبارة بعده بإضافة حرفين سقطا في أولها « اضطرم » .

(١١) بياض في النسخة أكملناه عن ياقوت .

معي^(١) ، فسألته [عما قال له]^(٢) ، فقال : « إنه يقول : أأنتم^(٣) يا معاشر العرب حمقى » [فقلت : « لم^(٤) ذلك ؟ » قال : « إنكم^(٥) تعمدون إلى أحب الناس إليكم] وأكرمهم عليكم فطرحونه [^(٦) في التراب ، وتأكله^(٧) التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه [بالنار]^(٨) في لحظة ، فيدخل [الجنة من]^(٩) وقته وساعته .

[ثم ضحك ضحكاً مفرطاً]^(١٠) فسألتُ عن ذلك فقال : « من محبة ربه له ، قد بعث الريح حتى [تأخذه]^(١١) في ساعة . فما مضت^(١٢) على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رمدداً^(١٣) .

-
- (١) في ياقوت : « الذي معه » .
(٢) طمست حروف كثيرة من هذه الجملة فتمسرت قراءتها ، لذلك أخذناها عن ياقوت ، وكانت في الأصل : « عن ٤٠٠٠ » .
(٣) في ياقوت : « أنتم معاشر » .
(٤) بياض لم تقع على تتمته في ياقوت فقد اختصره ، ولعلنا وفقنا في اختيار ما يجل محله ، وقد وقع مثله في طبعة وليدي .
(٥) في ياقوت : « حمقى لأنكم تعمدون » .
(٦) بياض في نسختنا أخذناه من ياقوت .
(٧) في ياقوت : « فتأكله الهوام والدود » .
(٨) زيادة من ياقوت من غير أن يقع عندنا طمس او بياض ، فأخذناها لتتمة السياق .
(٩) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .
(١٠) زيادة رأينا اضافتها من ياقوت ، لاكمال السياق ، وأما جملة : « فسألت عن ذلك » فهي ناقصة في ياقوت ، والجملة فيه كما يلي : « ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال من محبة ربه » .
(١١) بياض في نسختنا أتمناه عن ياقوت - في بعض نسخ ياقوت : « قد تهب الريح » وكذلك في طبعة فرهن ص ٢٠ .
(١٢) في نسختنا : « فما قضت » وهو تصحيف صوابه في ياقوت .
(١٣) في نسختنا : « رماداً ثم رمدوا » ولم نزلها معنى ، وصوابها في ياقوت : « رماداً رمدداً » - والرماد ذفاق الفحم من حراقة النار - والرمدد : المتناهي في الاحتراق والدقة .

ثم بنوا على موضع السفينة، [وكانوا] ^(١) قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتلّ المدور، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك ^(٢)، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس، وانصرفوا.

* * *

قال :

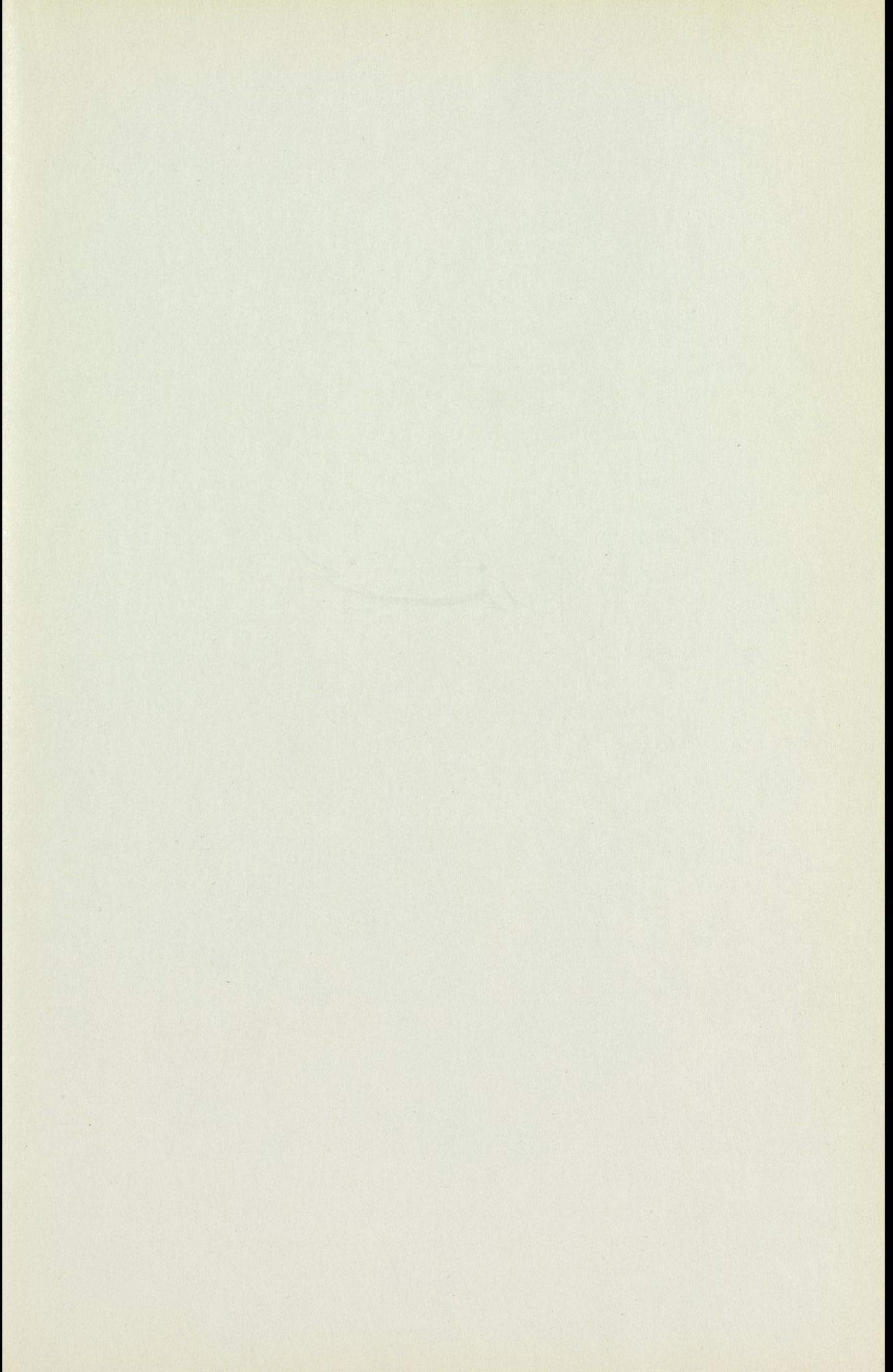
ومن [رسم] ^(٣) ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده، فهم ^(٤) يموتون بموته ويُقتلون دونه . ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه ^(٥)، وتصنع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطؤها ^(٦). وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره ^(٧)، وسريره عظيم مرصع بنفيس الجواهر ^(٨)، ويجلس معه على السرير أربعون جارية [لفراشه] ^(٩)، وربما وطئ الواحدة منهنّ بحضرة أصحابه الذين ذكرنا .

- (١) زيادة من ياقوت يقتضيا السياق ، ولم يقع طمس أو بياض .
 (٢) في نسختنا : « خدنك » - وفي ياقوت : « خدنج » وهو واحد ، فارسية معربة .
 (٣) بياض أكملناه عن ياقوت .
 (٤) في نسختنا : « منهم يموت بموته » - وفي طبعة فرهن : « منهم يموتون بموته » - وفي ياقوت : « فهم يموتون بموته » وهو أصوب في رأينا .
 (٥) في نسختنا : « وتغسل لباسه وتضع » - في ياقوت : « وتغسل رأسه وتصنع » .
 (٦) في نسختنا : « يطأ هؤلاء » وهو خطأ من الناسخ فقد عمى عليه المعنى وهم .
 (٧) السرير : التخت ، ويقلب على تخت الملك لما يجلب من سرور ، جمه أسرة وسرر .
 (٨) في ياقوت : « بنفيس الجواهر » .
 (٩) بياض في نسختنا ، أكملناه عن ياقوت .

ولا ينزل عن سريرته، فإذا ^(١) أراد قضاء حاجة [قضاها] ^(٢) في طشت.
 وإذا أراد الركوبَ قدموا ^(٣) دابته إلى السرير [فركبها منه] ^(٤) . وإذا
 [أراد] ^(٥) النزول قدم دابته حتى ^(٦) يكون نزوله عليه . وله خليفة
 يسوس الجيوش ؛ [ويواقع الأعداء ويخلفه] ^(٧) في رعيته .

-
- (١) في نسختنا : « فان أراد » - في ياقوت : « فاذا أراد » .
 (١) بياض في النسخة نقلناه عن ياقوت-والطشت أو الطست : إناه من نحاس لغسل اليد، مؤنثة ، جمعها طسوت
 (٣) في نسختنا : « قدم دابته » - وفي ياقوت : « قدموا دابته » .
 (٤) بياض في الموضعين من النسخة ملأناهما عن ياقوت .
 (٥) في نسختنا : « حتى ينزل دابته » - وفي ياقوت : « حتى يكون نزوله عليه » ولعلها أصوب
 فاتخذناها متناً .
 (٦) بياض وطمس حذفاً أكثر مما لم الجملة فرددناها عن ياقوت - وهنا ينتهي فصل الروس يقول فيه
 ياقوت ٢/٨٤٠ : « هذا ما نقلته من رسالة ابن فضلان حرفاً حرفاً ، وعليه عهدة ما حكاه والله أعلم
 بصحته » وبذلك يقف المستشرق فرهن في تعليقاته طبعاً ، لانتهاه فصل الروس .

[انخیزد]



٢٣

فأما^(١) ملك الخزر ، واسمه^(٢) خاقان ، فإنه لا يظهر إلا في كل [أربعة أشهر متزهاً]^(٣) ، ويقال له خاقان الكبير ، ويقال خليفته خاقان به ، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها^(٤) ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو . وله تدعن الملوك الذين يصاقبونه^(٥) . ويدخل [في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلا حافياً

(١) أوردت نسختنا ثلاثة سطور عن الخزر ، ثم بترت وخرمت أوراقها بعدها . وكنا قدرنا ان النقص فيها كان بمقدار ورقة أو ورقتين فحسب . وعدنا الى ياقوت بمادة الخزر ، فاذا به يثبت عن ابن فضلان ثلاث صفحات قال إنه نقلها من رسالته . ولكن التحقيق الطويل ساقنا إلى أن النصف الأول منها ليس لابن فضلان ، لأنه يقع في الاصطخرى ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وفي ابن حوقل ٣٨٩/٢ فلعل ياقوت نقل عنها ، وأما النصف الثاني فلم نجده في هذين المصدرين ، وإنما انفرد به ياقوت ٤٣٨/٢ ، فأورد هذه السطور الثلاثة وتابع النقل عن ابن فضلان ، فأثبتنا ذلك كله على أنه لابن فضلان برواية ياقوت ، لأننا رأينا فيه نفس كاتبنا وألفاظه ولهذا ضمناه اليه وجمنااه بين معقوفتين ، كما شرحنا الأمر في المقدمة على تفصيل ، وهكذا اتصلت سطور نسختنا بسطور ياقوت - وقد رأينا أخيراً بعد طبع هذه السطور أن وليدي فعل مثلنا فعلنا في طبعته .

(٢) في ياقوت : « وأما ملك الخزر فاسمه خاقان وأنه » - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فان عظيمهم يسمى خاقان خزر وهو أجل من ملك الخزر ، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه ، واذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاءوا به فيخنقونه بحريرة ... الخ » والتفصيل فيه هام يجدر الرجوع اليه ، ويقول ان الخزر لا يشبهون الأتراك فهم سود الشعور .

(٣) ناقص في نسختنا أخذناه عن ياقوت .

(٤) في نسختنا : « الجيوش ويسوس » - في ياقوت : « الجيش ويسوسها » وهي أصح .

(٥) صاقب : قارب ودنا - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر الا انصرف ولم يقاتله تعظيماً له » . وهنا تقف النسخة وتنتهي . ومن هنا نبدأ بالنقل عن ياقوت حرفياً تماماً للنص ٤٣٨/٢ - ٤٣٩ : فنجمله بين هاتين المعقوفتين . وقد فعل مثلنا المستشرق الروسي فمعلق على الخزر وأتبمه بابن فضلان من هذا المكان - انظر طبعة كرفالفسكي ص ١٦٦ - ١٧١ وفعل قبله مثل هذا فراه حين طبع فصل الخزر عن ياقوت ، وقد رأينا أن وليدي فعل مثل ذلك .

وبيده حطب ، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود ، جلس مع الملك على سريرته عن يمينه . ويخلفه رجلٌ يقال له كندر^(١) خاقان ، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشيفر^(٢) .

ورسم الملك الأكبر^(٣) أن لا يجلس للناس ، ولا يكلمهم ، ولا يدخل عليه أحدٌ غير من ذكرنا . والولايات في الحلّ والعقد والعقوبات وتدير المملكة على خليفته خاقان به .

ورسمُ الملك الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة^(٤) فيها عشرون بيتاً ، ويحفر له في كل بيت منها قبر ، وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ؛ وتفرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك^(٥) . وتحت الدار نهر ؛ والنهر^(٦) نهر كبير يجري ، ويحملون القبر فوق ذلك النهر ، ويقولون : « حتى لا يصل إليه شيطانٌ ولا إنسان ولا دود ولا هوام » .

وإذا دُفن ضربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من

(١) انظر حدود العالم ، طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) في بعض المصادر : « جاوشفر » وكلمة جاوشتر تركية معروفة - انظر دوزي تكملة معاجم العرب ، ودائرة المعارف الاسلامية ١/٨٦٤ .

(٣) في نشرة فرهن : « الملك الأعظم الأكبر » .

(٤) يترجمها فرهن بالقصر « Palatium » .

(٥) النورة : في الأصل حجر الكلس ، وقيل إنها عربية وقيل معربة .

(٦) وردت هذه الجملة كذلك في الأصل - وأورد المستشرق الروسي ١٦٨ رواية أخرى في بعض النسخ

هذا نصها : « وتحت الدار نهر والنهر كبير يجري فوقه ، ويحملون ذلك القبر بينها » - وفي بعض

مخطوطات يافوت الأخرى : « ويحملون النهر فوق ذلك القبر » .

تلك البيوت . ويسمى قبره الجنة . ويقولون : « قد دخل الجنة » ، وتُقرش البيوتُ كلها بالديباج المنسوج بالذهب .

ورسمُ ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة^(١) ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعاً أو كرهاً . وله من الجواري السراري لفراشه ستون ، ما منهن إلا فائقة الجمال . وكل واحدة من الحرائر^(٢) والسراري في قصر مفرد^(٣) ، لها قبة مغطاة بالساج^(٤) ، وحول كل قبة مضرب^(٥) ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها . فإذا أراد أن يطاء بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى^(٦) يجعلها في فراشه . ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ، ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .

وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلا خراً لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه .

-
- (١) في نسخة فرهن عن الخزر : « بنت » .
(٢) في نسخة فرهن : « من الجوار والسراري » .
(٣) في طبعة فرهن : « قصر مفرد » .
(٤) الساج : شجر يعظم جداً ، لا يبيت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لانتكاد الأرض تبليه ، جمه سيجان ، الواحدة ساجة .
(٥) المضرب : الساحة والمكان كما في معجم دوزي ، وقيل هو الفسطاط العظيم جمه مضارب .
(٦) في فرهن : « حتى يجعلونها » وهي خطأ .

ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلتها الرعية وخاصته ، وقالوا : « هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه » .

وإذا بعث سرية لم تولّ الدبر^(١) بوجه ولا سبب . فإن انهزمت قُتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم ، وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر ، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة .

ولملك الخزر مدينة عظيمة على « نهر إتل » ، وهي جانبان . في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه . وعلى المسلمين رجلٌ من غلمان الملك^(٢) يقال له خز ، وهو مسلم . وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره^(٣) .

(٢) رأى المستشرق في هذه الصيغة اقتباساً من القرآن الكريم : « ويولون الدبر » ٤٠/٤ من سورة الدبر . ونحن نرى في الجملة التالية : « بوجه ولا سبب » صيغة من صيغ ابن فضال كررها في الرسالة بمواضع منها .

(٣) يروي المستشرق الروسي نصاً من بعض المخطوطات عند فرهن : « رجل من أصحاب غلمان الملك يقال له خز » ولعلها أصوب من « خز » .

(٤) هنا رأينا أن نقف عن النقل عن ياقوت ، لأن ما بعدها لا يشبه أسلوب ابن فضال ، وفيه جملة مؤرخة بعام محدود هو سنة ٣١٠ هـ ، وقد عرفنا أن صاحبنا غادرها قبل ذلك . فنحن لانرى رأى فرهن ووليدي ولا كوفافسكي في الحاقها بنص الخزر على أنها لابن فضال . وان كنا نعتقد أن الفصل ما يزال ناقصاً لم يتم ، ولكننا عملنا بالقول المشهور ما لا يدرك كله لا يترك جله .

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام والقبائل والطوائف
- ٢ - فهرس المواضع والأماكن
- ٣ - فهرس الحضارة واللغة
- ٤ - فهرس الكتب والمراجع
- ٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

فهرس الأعلام والقبائل والطوائف

أدخلنا في هذه الفهارس ماجاء في رسالة ابن فضلان وماورد في تعليقاتنا بالحواشي وما وقع في مقدمتنا لدراسة الرسالة وصاحبها ، لم نفرق بين المتن والحاشية بأرقام صغيرة أو كبيرة كما كنا نفعل دائماً وذلك لقلّة صفحات الرسالة . واعتبرنا كلمة ابن وأب أساسية في صلب الكلمة ، وجعلنا في هذا الفهرس كتب المؤلفين إلى جانب أسمائهم داخل الأقواس ، فقد ذكرناهم في الحواشي حيناً بأسمائهم وحيناً بعناوين كتبهم .

تفاهيل البقايا والادراك

لقد مررت في هذه السطور بالمشاهد التي لا يمكن
وصفها بالخيال بل هي من واقع الحياة التي
تدور حولنا في كل لحظة. إنها تلك البقايا
التي نراها في كل مكان، والتي نلحظها
في كل لحظة. إنها تلك البقايا التي
تدور حولنا في كل لحظة، والتي نلحظها
في كل لحظة. إنها تلك البقايا التي
تدور حولنا في كل لحظة، والتي نلحظها
في كل لحظة.

أ

آل طولون ٣٨

ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٩ ،

ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ٦٨

ابن جرير الطبري (تاريخ الامم والملوك) ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١١٥ ،

ابن حوقل (صورة الارض) ١٥ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

١١٩ ، ١٦٩

ابن خرداذبة (المسالك والممالك) ١٤ ، ١٥ ،

ابن رسته (الأعلام النفيسة) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ،

ابن الطقطقي (الفخري في الآداب) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥ ،

ابن العديم (بغية الطلب) ٧٦

ابن الفقيه الهمداني (البلدان) ١٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١١٥ ،

ابن فضلان = أحمد بن فضلان

ابن قارن ٧٤

ابن مسكويه = مسكويه

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ٢٧ ، ١٢٢ ،

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ١٣١

أبو دلف (مسعر بن مهلهل) ١٧ ، ١٠٦ ،

أبو عبيدة البكري (معجم ما استعجم) ٤٦ ، ٥٥ ، ١٢٢ ،

الأتراك (أو الترك) ٧ ، ٩ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ٨٩ ،

٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،

أترك بن القطعان ١٠١

أحمد بن علقى صعلوك ٧٤ ، ٣٨

أحمد بن فضلان بن العباس (بن راشد بن حماد) ١٩ ، ١٧ ، ١٣ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١

١٠٣ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٢١

١٣٩ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٢٣ ، ١١٩ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٠٥ ، ١٠٤

١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٦٦ ، ١٥٠ ، ١٤٩

أحمد بن موسى الخوارزمي ٧٨ ، ٧٧

الأدرسي (نزهة المشتاق) ١٤٩ ، ٦٩ ، ٤٤

اسماعيل بن أحمد (صاحب خراسان) ٦٩ ، ٢٤

الاصطخري (مسالك الممالك) ١٢٧ ، ٩١ ، ٦٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٤٦ ، ٤١ ، ١٥

الأطروش العلوي ٧٥

ألمش بن يلطوار (ألمش بن شلكي يلطوار) ١١٧ ، ١٠٣ ، ٦٧ ، ٥٧ ، ٤٨ ، ٢٢

امرؤ القيس (الشاعر) ١٣

ايلغز ١٠٣

ب

بارس الصقلابي ١٠٧ ، ١٠٥ ، ٦٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٢ ، ١٢٨ ، ٨٧ ، ٦٩ ، ٢٤ ، ٢٣

البجناك ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٥٣

البخاري (الصحيح) ١١٨

برتولد (المستشرق) ١١٧ ، ٩١ ، ٤٦

البرنجار ١٣٥

بروكلمن (تاريخ الأدب العربي) ٧٦

البزنطيون ٢٩

البكري = أبو عبيدة البكري

بلال (مؤذن النبي صلعم) ١٢١

البلغار ٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٦٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦

بلاك (المستشرق) ٤٨ ، ٩

بيلايف (المستشرق) ١٠

ت

الترك = الأتراك

الترکمان ٨١

التغزغزية ٩١

تکين التركي ٢٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٦

ج

الجرمان ١٦

جعفر بن عبد الله (أمير بلغار) ١١٨

الجهشياري ٦٧

الجوهري (الصحاح) ٨٢ ، ١١٤

جوينبول (المستشرق) ١٢١

الجيھاني (أبو عبد الله محمد) ٥٦ ، ٧٦

ح

حامد بن العباس (الوزير) ١٨ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١١٤

الحسن بن بلطوار — ألمش بن يلطوار

حمويه كوسا ٧٥

خ

خاقان الخزر ٥٤ ، ٥٦ ، ١٦٩

الخزر ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ،

١٧٢ ، ١٧١

الغزلجية ٩١

خليل مردم ٩ ، ١٠

د

الداعي (الحسن بن القاسم الحسيني) ٧٤ ، ٧٥

دقورجاك (المستشرق) ٤٦

دنلوب (المستشرق) ٩ ، ٤٨

دهساسي (سلقستر المستشرق) ١٤٩

دوزي (تكملة معاجم العرب ومعجم الملابس) ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١

و

راسموسن (المستشرق) ٤٤

الروس ٧ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦

الروسي = كوقالقسكي

الروم ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

ريتر (تعليقات المستشرق ريتر) ٤٨ ، ١٣٣

ريشارد فراي = فراي

روزن (المستشرق) ٤٦

ز

زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون) ١٧

زكي وليدي طوغان (الطبعة الاولى لرسالة ابن فضلان) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ،

١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢

س

- السامانيون ١٧
 السكاندناقيون ٢٩
 السلجوقيون ٩١
 سلام الترجمان ١٧ ، ١٣٨
 السلاقيون ١٦
 سليمان النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٥٨
 سميرادسكي (هنري) ٣٣
 سواز ١٤٠
 السودان ١٨
 سوسن الرسي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٨
 السيوطي (جلال الدين) ١١٨ ، ١٥٨

ش

- شمس الدين دمشقي = شيخ الربوة
 شيخ الربوة (نخبة الدهر) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦

ص

- الصابيء (المؤرخ ، تحفة الأمراء) ١٨ ، ١٩
 صاعد بن مخلد ١٩ ، ٢٠
 الصقالبة ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٥
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥

ط

- طالوت ٢٧ ، ٣٧ ، ١٣٥
 طاهر بن علي ٧٦
 طرخان ١٠٣ ، ١٠٤

ع

- عبد الله ٢٧ ، ٣٨ ، ١٣٥
 عبد الله بن باشتو الخزري ٢٣ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠
 العجم ٣٨ ، ٤٢
 عديّ بن عبد الباقي (أبو عمر) ٢٠
 عليّ بن أبي طالب ٨٢
 عليّ بن عيسى (وزير المقتدر) ١١٥
 عليّ بن عيسى بن الجراح ١٨
 عليّ بن الفرات (أبو الحسن الوزير) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
 عمرو بن كلثوم (الشاعر) ١٥٠
 عيسى بن محمد المروزي ٩١
 عيسى بن مريم (عليهما السلام) ١١٨

غ

- الغزية ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦
 غطريف بن عطاء (عامل خراسان) ٧٩

ف

- فراي ريتشارد (المستشرق تعليقات على الرسالة) ٩ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،
 ١١٠ ، ١٠٧
 الفرنك ٢٩
 فرون (المستشرق في ترجمة ابن فضلان الى الألمانية) ٢٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٢
 فستبرغ (المستشرق) ٤٦
 الفضل بن موسى النصراني ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
 فلاديمير ٦٧

ق

- قدامة بن جعفر ١٤
 قريش ١٣
 القطعان (أبو أترك) ١٠٢
 القفجق ١٠٦
 قلواس (دليل القافلة) ٨٨

ك

- كانار (ترجمة ابن فضلان الى الفرنسية) ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١
 كراتشكوفسكي (المستشرق) ٤٩ ، ٥٨
 كريمير (المستشرق) ٣٨
 كندر خاقان ١٧٠
 الكندي ١٤
 كوذركين ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١
 كوفالفسكي (مترجم رسالة ابن فضلان الى الروسية) ٥٠ ، ١١٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢

ل

- ليلي بن نعمان الديلمي ٧٥

م

- مأجوج (ويأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨
 ماركوارت (المستشرق) ٤٧
 محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) ٢٧ ، ١١٧ ، ١٢١
 محمد بن سليمان (فاتح مصر) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٥
 محمد بن عراق (خوارزم شاه) ٨٥
 محمد كرد علي ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٥١
 المستعين بالله (الخليفة) ١٣١

مسعر بن مهلهل = أبو دلف

المسعودي (مروج الذهب) ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٤٠

مسكويه (تجارب الامم) ١٩ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥

المعتضد بالله (الخليفة) ١٨

المقتدر بالله (الخليفة) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١١٧

المقدسي (أحسن التقاسيم) ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩

المكتفي بالله (الخليفة) ٦٩

المهلبى ٧٥

ن

النابعة الشيباني (ديوانه) ٨٢

النبيّ = محمد صلعم

نذير الحزمى ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١١٥

نسطور ٢٩

نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

نيكلسون (المستشرق) ٤٥

نيكيثا اليسيف (المستشرق) ٩

هـ

هارون الرشيد ١٧ ، ٧٩

الهندود ٣٣

و

الواثق بالله (الخليفة) ١٧ ، ١٣٨

وستنفلد (المستشرق) ٤٦

ويرغ ١٤٠

ويسو ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٢٦

ي

يأجوج (ومأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨

ياقوت الحموي (معجم البلدان) ١٠ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ،

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٢

يبغو (ملك الترك) ١٠١

اليقوبي ١٤

يلطوار = ألمش بن يلطوار

ينال ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤

اليهود ٢٣ ، ٤٠ ، ١١٩

اليونان ١٤

Faint header text at the top of the page, possibly including a date or page number.

First line of faint body text.

Second line of faint body text.

Third line of faint body text.

Fourth line of faint body text.

Fifth line of faint body text.

Sixth line of faint body text.

Seventh line of faint body text.

Eighth line of faint body text.

Ninth line of faint body text.

Tenth line of faint body text.

Eleventh line of faint body text.

Twelfth line of faint body text at the bottom of the page.

فهرس المواضع والأماكن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحر القبحق ١٠٦	١
بحر ورنك ٤٦	آسية الصغرى ٤٤
بخارى ٢٥ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،	آفرير ٧٦
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩١	آمل ٧٦ ، ٧٥
براغ ٤٦	الاتحاد السوفياتي ٩
بغداد (مدينة السلام) ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،	إتل ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٩ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٦٨ ،	١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٧٢
٧٣ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ،	أرثخمشين ٦٨ ، ٧٧
بودابست ٧	أردكو ٨٢
بيكند ٧٦ ، ٧٨	أرمينية ١٥٠
ت	استكهولم ٤٥
تركستان ١٠٦	اسكل ١٤١ ، ١٤٥
ج	اصبهان ٧٤
الجبال ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٤	الاندلس ١٥ ، ١٦
الجبل ١٥	أنقرة ١٣
جرجان ٧٥ ، ١٥٧	إفريقية ١٤
الجرجانية ٢٥ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،	أوربة ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٦٩ ، ٩١ ، ١٣١ ،
٨٩ ، ٩٦ ، ١١٣	أوزبكستان ٧٦
الجزيرة العربية ١٣	ايران ٤٧
جيت ٨٩	ب
ح	باريس ٤٥
الحبشة ١٣	بحر آزوف ١٠٦
حلب ٤٤ ، ١٠٩	بحر البلطيق ١٦

الريّ ٢٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٧٥

حلوان ٧٣

ز

الحيرة ١٣

زمنجان ٨٩

خ

خاركوف ٥٠

س

سان بطرسبورغ = لننغراد

٢٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ،

١٢٢

ساوة ٧٤

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ١١٩ ،

سرخس ٧٨ ، ٧٥

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ،

سمرقند ٧٦ ، ٧٥

١٣٥ ، ١٤٠ ،

سمنان ٧٤

خوار الريّ ٧٤

ش

الشام ١٣

٢٤ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ،

شتوتغارت ٤٨

٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ،

٩٦ ، ٩٩

ص

الصحراء الكبرى ١٥

د

الصين ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٩

دار البستان ٢٠

الدامغان ٧٤

ط

طبرستان ٧٥

دجلة = نهر دجلة

طهران ٧٤ ، ٢٥

الديسكرة ٧٣

طوس ٤٧ ، ٤٩

دمشق ٧ ، ١٣

الدينور ٧٣

ع

العراق ٦٩

و

رباط طاهر بن عليّ ٧٦

غ

روستوك ٤٥

غانة ٣٤

١٦ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ،

ف

٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٩ ،

فارس ١٥

١٥٠

١٠٤٠ ١٠٢٠ ٧٨٠ ٧٦٠ ٧٥٠ ٥٢ مرو

مشهد = طوس

٦٩٠ ٣٨٠ ١٧ مصر

١٢٦٠ ٤٩٠ ٢٢ موسكو

ن

٦٨ نصيبين

نهر اتل = إتل

١٠٦ نهر أختى

١٠٦ نهر أذل

١٠٧ نهر أرخز

١١٠ نهر أورن

١١٠ نهر أورم

١٠٧ نهر باجاغ

١١٠ نهر بايناخ

١٠٧ نهر جاخا

١٠٥ نهر جاخش

١٠٥ نهر جام

١٤١٠ ١٤٠٠ ١١٠ نهر جاوشيز

١١٠ نهر جرمشان

٨٣٠ ٨١٠ ٧٦٠ ٧٥٠ ٢٥ نهر جيحون

١٠٧٠ ٨٦

١٠٧ نهر جيخ

٩١ نهر الدانوب

١٢٦ نهر دجلة

١٠٧ نهر سمور

١٩ نهر الفرات

١١٥ فرنسة

الفولغا = نهر الفولغا

ق

٢٢ قازان

٧٣ قرميسين (كرمانشاه)

١٣ القسطنطينية

٧٥ قشمهان

١٤ القوقاز

٧٤ قومس

ك

كشميهن = قشمهان

٩ كمبريج

١٥٩٠ ١٥٥٠ ١٥٣٠ ٤٥ كوبنهاغ

٣٤ كوغة

٩١ كيماك

ل

٤٧٠ ٤٦٠ ٤٥٠ ٣٣ لنفراد

٤٧ لييتسيك

٦٧ ليدن

م

٧ المجمع العلمي العربي بدمشق

١٠ المجمع العلمي السوفياتي

٢٩٠ ١٦٠ ١٤ المحيط الاطلسي

١٦ المحيط الهندي

٢٠ المخرم

٢٩	النيجر	٦٣٧٠٣٠٠٢٥٠٢٤٠٢٢	نهر الفولغا
٩٨٠٧٥٠٧٤٠٢٥	نيسابور	١٠٦٠٩٤٠٩١٠٥٠٠٤٦	
هـ			نهر كنال ١٠٧
٨٤	حراقة		نهر كنجلو ١٠٧
٧٤٠٧٣٠٢٥	همدان		نهر الملك ٧٣
١٥٧٠١٤٢٠٣٤٠٢٩٠١٤	الهند		نهر وتبا ١٠٦
و			نهر وارش ١٠٦
٧٣	واسط		نهر وتيغ ١١٠
٩	الولايات المتحدة	١٠٥٠١٠٤	نهر يغندي
٤٦	ويابة (كييف)		نهر يناسنه ١١٠
			النهران ٧٣

فهرس الحضارة واللغة

جعلنا هذا الفهرس لترتيب الكلمات اللغوية التي شرحناها، وألفاظ الحضارة وكلماتها مما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن واللباس والرياش وأسماء الحيوان والنبات، ومما يصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي زارها ابن فضلان .

والرقم الأول بعد الكلمة يدل على مكان شرحها والتعليق عليها في هذه الطبعة ؛ وأما الأرقام التالية فتدل على أماكن وجودها وتكرار ورودها .

Handwritten text in Arabic script, appearing as a list or series of entries. The text is very faint and difficult to read, but seems to contain several lines of text, possibly starting with "بسم الله الرحمن الرحيم" (In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful).

د	أ
الداق ٧٩	أزاح العلة ٧٦
الدراهم السمرقندية ٧٩	أقاده به ١٣٢
الدراهم الطازجة ٨٢	الأناير ١٥٧
الدراهم الغطريفية ٧٩	ب
الدراهم المزيفة ٨٢	باي باف ١٠٤، ٩٨
الدراهم المسيبية = الدنانير المسيبية	بذرقه ٧٧
درز القرطق ١٠٨	برنس ٨٧
الدنانير المسيبية ١٠٢، ٨٨	البوستين ١٠١، ٨٥
الدوامات ٨٢	ت
الديباج الرومي ١٥٨، ١٣١، ١٥	تبلد ١٦١
ر	ج
ران ١٥٨، ٨٧	الجاورس ١٢٩، ١٠٤، ١٠١، ٩٥، ٨٦
رمدد ١٦٤	الجواري الروقة ١٥١
رمان أمليسي ١٢٨	جوان بيرة ١٥٨
س	ح
الساج (خشب) ١٧٢	حراقة ٨٤
ساخرخ (مقياس) ١٣٠	خ
سبال، أسبلة ١٠٣، ١٠٠	خدنج = خدك
السجو ١١٦	الخدك (خشب) ١٤١، ١٣٢، ١٠٥
سروال ١٥٨، ٨٧	١٦٥، ١٥٧
الشفر ١٠٧، ١٠٤، ٨٦	خفتان ١٥٨، ١٤٩، ١٠٤، ٩٨، ٨٧
سمور ١٥٩، ١٥٣، ١٤٥، ١٣٥، ١٢٩	خلنج = خدك
السيور ١٤٤	

١٥٨ ، ١٤٩	ش
القفير ١٤٠	الشبّه ٧٩
قلانس ، قلنسوة ١٣١ ، ١٥٩	الشبائح ١٣٢
القولنج ١٤٣	شيرج ١٣٠
ك	ض
الكعاب (دراهم) ٨٢	ضبنة ١٠١
كيمخت ٨٧	ط
م	الطاغ (حطب) ٨٣ ، ٩٠
المرصد ٧٨	طاق ٨٧
المضرب ١٧١	الظفس ١٥٢
المضربات ١٥٨	الظيفورية ١٤٢
المطرذ ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤	ع
المقنعة ٩٤ ، ١٠٢	عامل المعاون ٧٨
ملبن الباب ١٦٠	عراجين النخل ١٤٠
ن	غ
النبيذ ٩٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩	غلوة سهم ١٢٥
النمكسوذ ٨٦	ق
	قرطق ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨

فهرس الكتب والمراجع

أوردنا في هذا الفهرس أسماء الكتب والمراجع التي وردت في هذه الطبعة ،
وذكرنا السنين والمدن لبيان الطبعات وتحديدتها ، وجعلنا ترتيب المصادر
العربية أو المعربة أولاً ثم أوردنا بعدها المصادر الغربية . وقد اخترنا أن نذكر
هذه المصادر الأوربية بالحروف العربية تجنباً لصعوبة طباعتها فهي بالروسية
والألمانية والمجرية والفرنسية ، لذلك ترجمنا العناوين تعريفاً بما فيها ، والمطلعون
على اللغات الأجنبية يعرفون مظاهها ويحسنون الرجوع إليها في يسر وسهولة .

113

Faint, illegible handwritten text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

أ — المصادر العربية والمترجمة الى العربية
(مرتبة على حروف المعجم)

- ١ — أحسن التقاسيم — للمقدسي (ليدن ١٩٠٦) ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩
- ٢ — إرشاد الأريب أو معجم الادباء — لياقوت الحموي (طبعة الدكتور الرفاعي بالقاهرة ١٩٣٦) ٧٦
- ٣ — بغية الطلب في تاريخ حلب — لكامل الدين بن العديم (مخطوطة) ٧٦
- ٤ — بلدان الخلافة الشرقية — تأليف لسترنج وترجمة فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) ٧٦
- ٥ — البلدان — لأبي بكر أحمد بن محمد الهذاني المعروف بابن الفقيه (طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ) ٧٦ ، ١١٥
- تاريخ ابن الأثير = الكامل في التاريخ
- تاريخ ابن جرير = تاريخ الامم والملوك
- تاريخ ابن عساكر = تاريخ مدينة دمشق أو التاريخ الكبير
- ٦ — تاريخ الأمم والملوك — لابن جرير الطبري (المطبعة الحسينية بمصر) ٦٨ ، ١١٥ ، ٧٤ ، ٦٩
- ٧ — تاريخ مدينة دمشق — للحافظ أبي القاسم علي بن عساكر (طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١) ١٣٨
- ٨ — تجارب الأمم وتعاقب الهمم — لمسكويه (طبعة آمدروز بمصر ١٩١٥) ١٩ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٩ ، ٣٨
- ٩ — تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء — للصابي (طبعة آمدروز بيروت ١٩٠٤) ١٩
- تكملة معاجم العرب = معجم لتكملة معاجم العرب

- ١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان بباريس ١٨٤٠) ١١٣
- ١١ — حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠
- ١٢ — الحضارة الاسلامية — لآدم متز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريده ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥
- ١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥
- ١٤ — ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤
- ١٥ — ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢
- ١٦ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧
- ١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ١٤٢ ، ٩٤
- ١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣
- ١٩ — رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧
- ٢٠ — صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤
- ٢١ — صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩
- ٢٢ — صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤
- ٢٣ — الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨
- ٢٤ — الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

- ٢٥ - الفرغ بعد الشدة - تأليف أبي علي المحسن التنوخي (الهلال بمصر
١٩٠٣) ٣٨
- ٢٦ - فهرست الكتب والمخطوطات بمدينة مشهد (بالفارسية - طوس ١٣٤٥) ٤٧
- ٢٧ - الكامل في التاريخ - لابن الأثير (مصر ١٣٤٨ - ١٣٥٣) ٧٤ ، ٧٥ ،
١١٩ ، ١٠٤ ، ٧٦
- ٢٨ - مروج الذهب - للمسعودي (طبعة ده مینار في باريس ١٨٦١) ٣٤ ،
١٤٠ ، ٧٤
- ٢٩ - مسالك الممالك - للاصطخري (لیدن ١٩٢٧) ٥٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٦٩
- ٣٠ - المسالك والممالك - للجيهاني (ذكره ابن العديم في بغية الطلب) ٧٦
- ٣١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ عليّ الهيثمي (القاهرة ١٣٥٢هـ) ١٢١
- ٣٢ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - زامباور (ترجمة المرحوم الدكتور
زكي محمد حسن وزملائه ، القاهرة ١٩٥١) ٧٤ ، ٨٠
- ٣٣ - معجم البلدان - لياقوت الحموي (طبعة وستنفلد في ليتسيك ١٨٦٦)
ذكرنا أرقامه في فهرس الاعلام فيحسن الرجوع اليه هناك باسم ياقوت
- ٣٤ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع - للبكري (القاهرة ١٩٤٩)
- ٣٥ - المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم - لأبي منصور الجواليقي
(طبعة المرحوم أحمد محمد شاكر ، مصر ١٣٦١ هـ) ٨٢
- ٣٦ - مفاتيح العلوم - لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (القاهرة ١٣٤٢ هـ)
١٠١ ، ٩٧
- ٣٧ - النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ٦٨
- ٣٨ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - لشمس الدين الدمشقي المعروف
بشيخ الربوة (طبعة مهردن في ليتسيك ١٩٢٣) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
١٤٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩

٣٩ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق — للادريسي (مخطوطة) ٦٩

ب — المصادر الغربية والمجلات الأجنبية

(بعنوانين ترجمناها الى العربية)

- ٤٠ — تعليقات المستشرق ريتز في مجلة المستشرقين الالمان (لييتسيك ١٩٤٢
بالجزء ٩٦ ص ٩٨ — ١٢٦) على طبعة زكي وليدي لرسالة ابن فضلان
- ٤١ — تعليقات المستشرقين بلاك وفراي ، على رسالة ابن فضلان طبعة زكي وليدي
(في مجلة بيزانطينا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة)
- ٤٢ — تعليقات المستشرق دنلوب على طبعة وليدي للرسالة (في المجلة الالمانية
دنيا الشرق ، شتوتغارت من الصفحة ٣٠٧ — ٣١٢)
- ٤٣ — تعليقات المستشرق تشاكالادي في المجلة المجرية (بودابست ١٩٥١ من
الصفحة ٢١٧ — ٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان)
- ٤٤ — ترجمة رسالة ابن فضلان الى الفرنسية^(١) مع خرائط الرحلة والتعليقات،
عن طبعة وليدي (بقلم ماريوس كانار في مجلة معهد الدراسات الشرقية ،
الجزائر ١٩٥٨ من الصفحة ٤١ — ١٤٦)
- ٤٥ — الثقافة في عهد الخلفاء — فون كريمير (بالالمانية ١٨٨٨) ٣٨
- ٤٦ — رحلة ابن فضلان^(١) — طبعة زكي وليدي طوغان مع التحقيق والترجمة
والدراسة (في مجلة المستشرقين الالمان ١٩٣٩ ، الجزء الرابع والعشرون)
- ٤٧ — رحلة ابن فضلان الى البلغار — ترجمة وتعليق المستشرق الروسي
كوفالفسكي مع مقدمة المستشرق كراتشكوفسكي وكل ذلك بالروسية ،
(موسكو ١٩٣٩ في ١٩٣ صفحة مع صور شمسية للمخطوطة)

(١) وصلتني هذه الترجمة بعد طبع المقدمة ، في الوقت الذي وصلتني فيه الصورة
الشمسية لطبعة زكي وليدي وتعليقاته على رحلة ابن فضلان ، فأفدت من هذين العاملين
النفسيين .

- ٤٨ — رحلة ابن فضلان الى الروسية ، وما ذكره الجغرافيون عن رحلات العرب الى روسيا منذ أقدم الازمان (نص بالعربية مع الترجمة والتعليق والدراسة باللغة الالمانية ، للمستشرق فرن بطرسبورغ ١٨٢٣)
 — طبعة وليدي = رحلة ابن فضلان
- ٤٩ — معجم لتكملة معاجم العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في باريس ١٩٢٧)
 ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١
- معجم الملابس لدوزي = المعجم المفصل لاسماء
- ٥٠ — المعجم المفصل لاسماء الملابس عند العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في امستردام ١٨٤٥)
 ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٣١
- ٥١ — الموسوعة الاسلامية أو دائرة المعارف الاسلامية — للمستشرقين (بالفرنسية في ليدن ١٩١٣)
 ٦٧ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٧٠

فهرس محتويات هذه الطبعة

الصفحة

١ - مقدمة المحقق

٧

تمهيد

الفصل الاول - رحلة ابن فضلان

١٣

كتب الرحلة في العصر

١٨

حال العصر

٢٢

الوفد والخطبة

٢٩

أهمية الرحلة

الفصل الثاني - تحقيق رساله

٣٧

مؤلف الرسالة

٤٢

فصول من الرسالة

٤٧

مخطوطة الرسالة

٥١

طريقتنا في التحقيق

٦١

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

٥٥

سته نماذج وألواح للمخطوطة والرحلة

ب - رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

٦٧

فاتحة الكتاب

٧٣

العجم والترك

في فارس

الصفحة

٧٦

في بخارى

٨٠

في خوارزم

٨٣

في الجرجانية

٩١

عند الغزية

١٠٦

عند البجناك

١٠٧

عند الباشغرد

الصقالبة

١١٣

عند الصقالبة

الروسية

١٤٩

عند الروسية

الخزر

١٦٩

عند الخزر

ج - الفهراس

١٧٥

١ - فهرس الاعلام والقبائل والطوائف

١٨٧

٢ - فهرس المواضع والاماكن

١٩٣

٣ - فهرس الحضارة واللغة

١٩٧

٤ - فهرس الكتب والمراجع

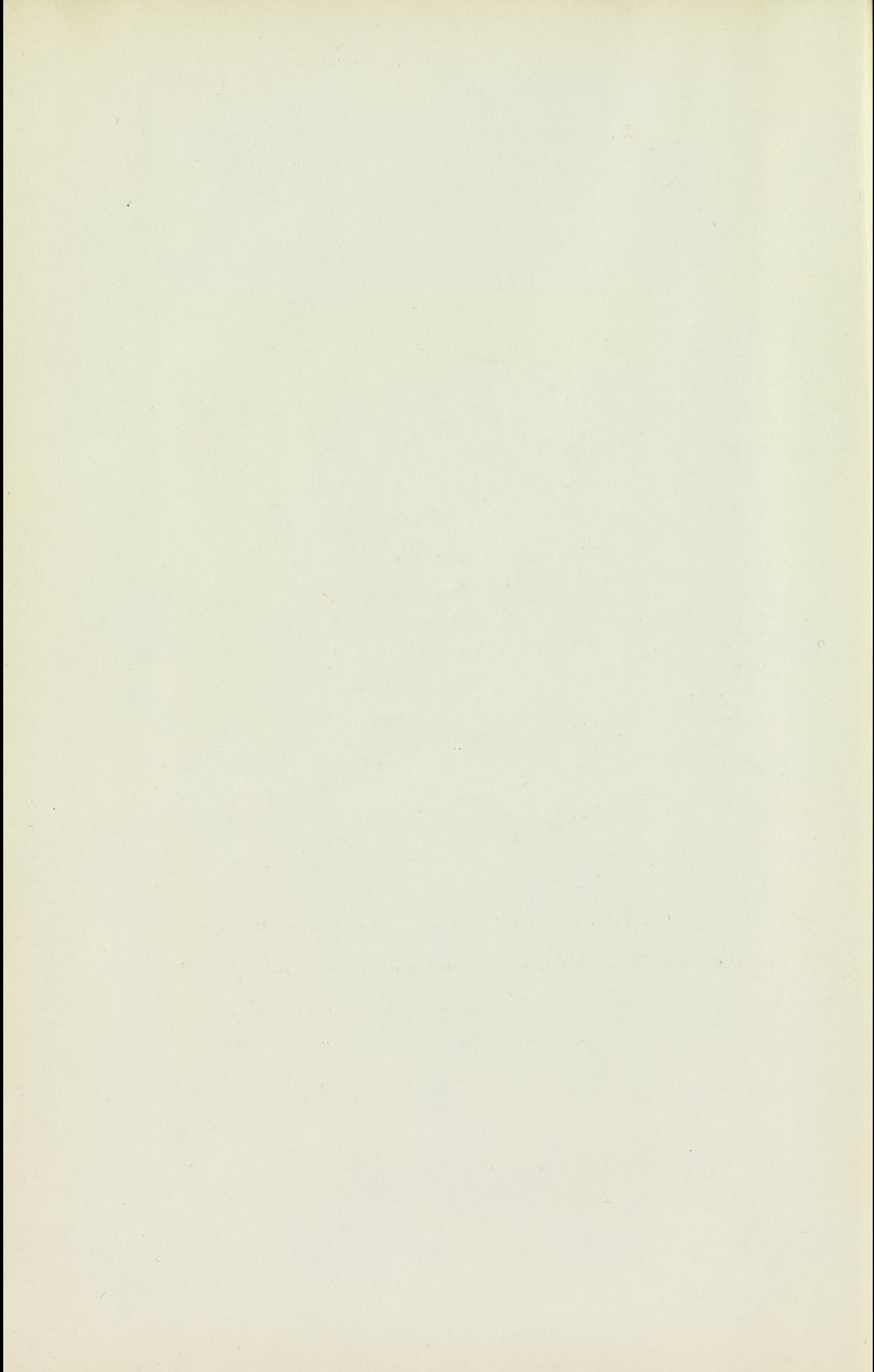
٢٠٤

٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

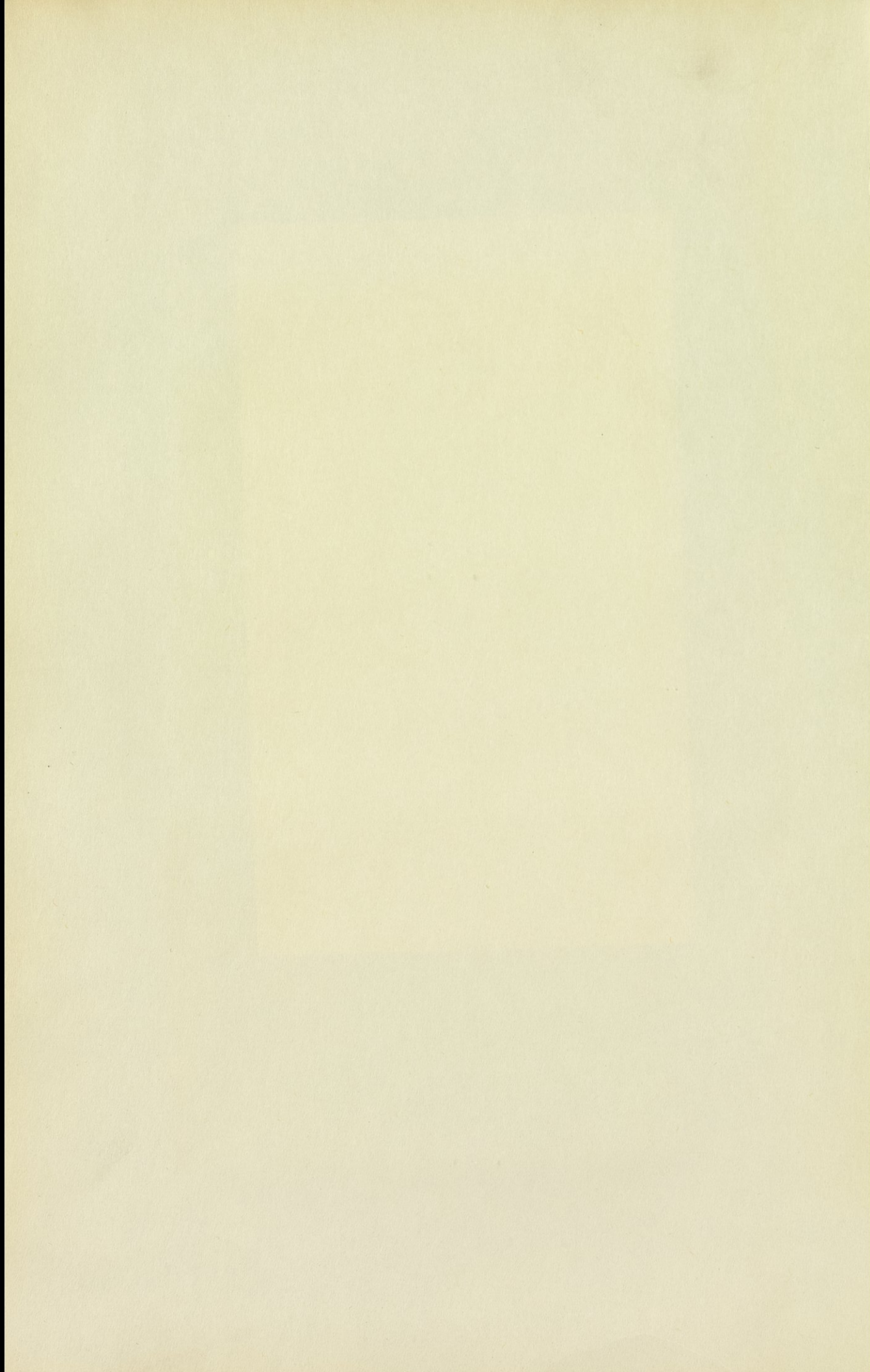
استدراك وتصويب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
إدراك	أدراك	٨	١٠
اختار	أختار	١٥	٤١
XXIV	XX11	١٥	٤٨
149	144	١٦	٤٨
فانه	فاته	١٤	٨٣
ولبود	رلبود	١٤	٨٥
وَجوز	وُجوز	١	٩٥
يحضروا	يحضرون	٦	١٤٤

(هذا وقد تقع في الحواشي أخطاء في النقط ، أو سقوط في الحروف أثناء الطبع ، أو يلاحظ في النص زيادة في ضبط بعض الحروف لا لزوم لها فذلك فوق قدرة المحقق وأبعد من متناول يده ، فمعدرة من القارئ الكريم) .



تم طبع هذا الكتاب في دمشق
بالمطبعة الهاشمية يوم الاربعاء
٦ ذي الحجة ١٣٧٩ الموافق
١ حزيران (يونيو) ١٩٦٠



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0044030711

947.05

Ib5

10483977

BOUND

APR 14 1961

